



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

هوية التشيع

الدكتور احمد الزوايلي



مؤسسة دار الكتاب الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هويته التشيع

كاتب:

احمد الوائلى

نشرت فى الطباعة:

موسسه السبطين عليه السلام العالميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	هويه التشيع
٩	اشاره
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١٠	مقدمة الطبعة الاولى
١١	تمهيد
١٥	متى بدأ التشيع
١٧	الادلة على تكون الشيع أيام النبي
١٨	رواد التشيع الأوائل
١٨	اشاره
٢٠	تعقيب على الرواد من الشيعة
٢١	الشيعة غير الروافض
٢٤	فارسية التشيع
٢٨	اقوال الباحثين في فارسية التشيع
٣٣	هوية التشيع العرقية وآراء الباحثين فيها
٣٣	اشاره
٣٣	مقومات الهوية العرقية
٣٥	ائمة الشيعة من هم
٣٦	اشاره
٣٦	السنة والفرس
٣٦	ايران السنية
٣٧	اللغة والمذاهب الإسلامية
٣٧	اشاره

- ٣٩ نموذجان من السنة الفرس
- ٤١ اسباب رمى التشيع بالفارسية
- ٤١ للإجابة على هذا السؤال نقول
- ٤٢ فى رمى التشيع بالفارسية
- ٤٢ فى رمى الشيعة بالفارسية
- ٤٤ كيف صار الفرس شيعة
- ٤٥ هوية التشيع العقائدية
- ٤٥ التوطئة
- ٤٦ قول للشعبى
- ٤٦ تعقيبان
- ٤٧ عقائدهم بأفلامهم
- ٤٨ عبدالله بن سبأ
- ٤٨ اشاره
- ٤٨ من الذى حاك عبدالله بن سبأ
- ٥١ رأينا فى عبدالله بن سبأ
- ٥١ رأى طه حسين
- ٥١ آراء المستشرقين
- ٥٢ آراء إسلامية اخرى بابن سبأ
- ٥٣ لماذا تنسب الشيعة لابن سبأ
- ٥٣ اشاره
- ٥٤ عصمة الأئمة وأدلتها العقلية
- ٥٥ الادلة النقلية على عصمة الإمام
- ٥٥ موقف السنة من العصمة
- ٥٦ رأى ابن تيمية فى العصمة

٥٦	رأى جمهور السنة فى العصمة
٥٧	التفتازانى والعصمة
٥٧	الايحى والعصمة
٥٧	مناقشة كتاب نشأة الآراء والمذاهب
٥٧	اشاره
٥٨	تعقيب
٥٩	السنة و علم الغيب
٦٢	موقفنا من الغلو والغلاة
٦٢	آراء بعض الباحثين
٦٤	اين موضع الغلو
٦٥	من عقائدنا - المهدي
٦٥	اشاره
٦٨	عقيدة المسلمين بالمهدى
٦٩	المردود الإيجابى فى عقيدة المهدي
٦٩	المردود السلبى فى عقيدة المهدي
٧٠	التقية و أحكامها
٧١	تعريف التقية
٧١	اقوال فرق المسلمين فيها
٧٣	من الافتراءات على الشيعة
٧٣	اشاره
٧٤	فى الجمع بين النساء
٧٥	الشك بالنبوة
٧٧	رمى التشيع بالشعوبية
٨٣	پاورقى

تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية ٩٣

هوية التشيع

إشارة

سرشناسه : وائلى، احمد

عنوان و نام پديد آور : هوية التشيع / احمد الوائلى ؛ تحقيق موسسه السبطين عليهم السلام العالميه.

مشخصات نشر : قم : موسسه السبطين العالميه، ١٤٢٨ق = [١٣٨٦].

مشخصات ظاهري : ٢٨٥، [٢] ص.

شابك : ١٦٠٠٠ ريال ١-٥١-٨٧١٦-٩٦٤-٩٧٨ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : چاپ سوم.

يادداشت : چاپ اول : ١٤٢٦ق = [١٣٨٤].

يادداشت : کتابنامه : ٢٨٦ - ٢٨٧، همچنين به صورت زيرنويس.

موضوع : شيعه -- عقايد

موضوع : شيعه -- دفاعيه ها و رديه ها

شناسه افزوده : موسسه السبطين العالميه

رده بندي كنگره : ١٣٨٦ ٩٥٢/BP٢١١/٥

رده بندي ديوبى : ٢٩٧/٤١٧٢

شماره كتابشناسى ملي : ١٢٦١٢٥٩

مقدمه الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم بإحسان وبعد: لقد كان لهذا الكتيب على وجاته صدى استحسان في نفوس القراء وذلك للمنهج الذى اختطه هذا الكتاب أكثر منه للكتاب نفسه لوضوح أن مضمون الكتاب ليس من الضخامة بحيث يشكل رقماً فريداً بل هو بضعة وريقات ربما أحسن فيها التعبير وحسن الاختيار والإلتفات لمواطن ذات وقع خاص بالنفوس ذلك مضافاً للمنهج، وكان من المؤشرات على إقبال القراء عليه نفاذ نسخ الطبعة سريعاً مع أننا لم ننوه عنه في صحيفته أو دعاية بل طرح في السوق بصورة عادية. إن هذه الظاهرة تشجعنا على الكتابة في أمثال هذا الموضوع مما هو محل أخذ ورد بين فرق المسلمين لا لزيادة الركام بل لصهره حتى يذوب على أن يكون من وراء الكتابة في هذه المواضيع روح مؤمن سنشد وجه الله تعالى ويتوحي إزالة الضباب عن طريق المعالم المشتركة بين المسلمين في مختلف أبعاد الحضارة الإسلامية مما هو في حكم شرعى أو عقيدة إسلامية أو تاريخ مسلم، ولعل من نافله القول أن ننوه بأن ثمرات الأقلام النظيفة من الوسائل الناجعة لخدمة المسلمين ومن الطرق الصحيحة لتفاهم المسلمين. هذا بالإضافة إلى أن ذلك يقطع الطريق على الأقلام المأجورة التي ترتزق [صفحة ٤] باشعال النار وبث الألغام في المجتمع المسلم مما نراه عند كثير من المأجورين بين آونة وأخرى حيث يزيد ذلك من قناعتنا بأن وراء ذلك أصابع تقليدية ما برحت تمارس لعلبتها الخبيثة كلما سنحت لها الفرص. وأكرر ما سبق أن أشرت إليه في الطبعة الأولى عن وجود شىء من التشنج في التعبير مما قد يعتبر كاشفاً عن ضغن أو حقد - معاذ الله - في حين لا يعدو أن يكون غضبة إيمانية من روح حساس إزاء كل ما يمس وحدة المسلمين وقد يبرره تصور بفاعلية هذا الأسلوب من غيره. ولما كان الكمال لله وحده والإنسان

محل النقص كانت محاولة الإزدياد في التكامل من الأمور الحسوية. ومن هذا المنطق قمت بشيء من التهذيب والإضافات التي أراها متممة لمواضيع الكتاب. وأملى بالقارئ الكريم أن يرى في الكتاب صورة من صور النقد الموضوعي البناء. وصرخة في وجه بعض هواة الشتائم الذين ينبزون غيرهم بأمر هو عندهم قبل كونه عند خصومهم ولكن الهوى يعمى ويصم. وما أروع ما قيل من أن شخصاً قيل له: لماذا تبدلون حرف الذال بالزاء والقاف بالعين في نطقكم؟ فقال: كلا (نحن لا نغول ذلك) وفي نهاية هذه السطور أدعو القارئ الكريم أن يوجهني بالتنبية على ما في الكتاب من عيب أو شطحات فالمؤمن مرآة المؤمن. هداانا الله لما يحب ويرضى والحمد لله أولاً وآخراً. المؤلف [صفحة ٥]

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد: هناك أمور لا غنى للقارئ هذا الكتاب عن الإمام بها قبل الدخول في صلب الموضوع لأنها تتضمن الإجابة لما قد يعن للقارئ من سؤال خلال قراءته للكتاب كما أنها ستجعل القارئ يفهم الكتاب في حدود عناوينه لثلاث- يكبر العنوان على المعنون أو العكس. وتتخلص هذه الأمور في الآتي: ١- قد يتبادر إلى ذهن القارئ من عنوان الكتاب - هوية التشيع - أن الكتاب سيبحث كل ما للتشيع من سمات وخواص سواء كانت من المقومات أو من السمات التي أضيفت إليه. ولكي أبعث القارئ عن هذا التصور: ألفت نظره إلى أنني لم أستوعب كل ما للتشيع من نعوت وصفات إنما تعرضت هنا لأمور تكفي لإيضاح هوية التشيع وفي الوقت ذاته يدور حولها نزاع بين مختلف الفرق الإسلامية من جانب وبين الإمامية من فرق المسلمين وما يزال الجدل يحدث حولها برغم ما كتب حولها وبرغم إشباعها بالبحث منذ أزمته طويلاً وهي تتناول من التشيع جوانب عرقية وجوانب فكرية. ٢- وعلى وجه القطع هناك كثيرون كتبوا في موضوع الشيعة والتشيع كتباً أكثر عمقاً وأوفى استيعاباً وأطول نفساً مما كتب هنا ولكني أتصور أنني عالجت هنا بنمط وأسلوب يختلف عن أنماط الأخرى، ولست أريد أن أفصل هذا النمط [صفحة ٦] الذي اخترته على الأنماط الأخرى ولكني أعتقد أنه أوصل إلى نفس القارئ من غيره فإن كان ذلك هو الواقع فهو المطلوب وإلا- فلست بأول من اجتهد وأخطأ وما أكثرهم على امتداد تاريخنا. ٣- وسيجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب بعض الإلتهابات التي سببتها الجروح المزمنة في تاريخ المسلمين وسيجد ما يتبع الإلتهابات من ألم وتشنج مما هو ظاهرة طبيعية لا طبيعية يسببها إفلات الزمام أحياناً بالرغم من ترويض الأعصاب وقسرها على التحمل، وكل من مارس الكتابة في أمثال هذه المواضيع يعلم مقدار الحرج والمشقة في ضبط الأعصاب هنا لما يرى - ومع الأسف الشديد - من مناوالات بين فرق المسلمين فيها كثير من عدم الموضوعية وفقدان الشعور بمسؤولية الكلمة وأهميتها الأمور الذي تكوّن معه على مرّ الأيام خزين وركام من التركة الخطرة والوباء الأسود الذي يعمد بين الآونة والأخرى جماعة ممن هم ليسوا ببعيدين عن الشبهات إلى إثارتها والإصطياح خلال أجوائه المظلمة وسوف يبقى هذا الوضع خطراً ما دام هذا الركام موجوداً على متناول أيدينا دون أن نعمل على تصفيته وتخليص الأضواء عليه وتعريته تعرية كاملة لنصل إلى رأى في وجوده وآثاره. وأعود لأقول إن ضبط الأعصاب في مثل هذا الموقف أمر ليس بالهين بدهاءة إن الإنسان مسير بأموره النفسية أكثر مما هو مسير بأموره العقلية إلا من عصمه الخلق وهذبه الدين والله المسؤول أن يجعلنا منهم. ٤- وقد يقول قائل: إنه مع ما ذكرت آنفاً فما هي جدوى الكتابة في أمثال هذه المواضيع؟ ونحن نجد إصراراً عجيباً على طرحها كل مرة كما هي كأنها لم تعالج ولم يكثر حولها الأخذ والرد ولم تحصل الإجابة على مضامينها في أكثر من مورد ومورد. إن هذه القضية تكاد تجعل الإنسان يقتنع بعدم جدوى علاج أمثال هذه الأمور والحريص على الوقت من أن يهدر في أمثال هذه الميادين، وللإجابة على ذلك أقول: إن افتراض أن الباب موصد في وجه [صفحة ٧] الإصلاح هو انهزامية أمام التحدى. وما كانت الفتوح في أى ميدان إلا مقابلة التحدى بمثله. إن الباحثين عن الواقع لم يخل منهم عصر من العصور، وإن الذين غلبت عليهم شبهات تاهوا فيها ليسوا بالقليلين وترك أمثال هذين بدون التعاون معهما أمر ليس مما يستسيغه من يحمل رسالة في دفع الحياة إلى الأفضل كما أنه ليس من الدين في

شيء. إن تمكين الأقلام المشبوهة من نفوس المسلمين وأفكارهم لتتخذ منها فرائس هو إسهام بشكل وآخر مع تلك الأقلام فيما تجترحه من آثام. إننا مدعوون لكنس هذا الركام عن طريق المسلمين حتى يكون الدرب سمحاً لا حجاباً أمام خطاهم. وكل نتائج تحرز في هذا الميدان هي فتح وانسجام مع دعوة الإسلام للجهاد بالقلم والفكر وليس في المنطق فس شيء أن نترك المريض يصارع الداء بدون أن نعطيه جرعة دواء ونحن نملك القدرة فيما نظن على ذلك. وكم من إنسان عاش دهوراً طويلاً فريسه لعجز أو عصبية ثم رجع إلى الموضوعية نتيجة إلهام الأقلام على تنقية الأجواء خصوصاً إذا استطاعت الأقلام أن تسافر بنا عبر دنيانا إلى فجرنا الأصيل الذي شع بالتسامح ورفت فيه نسائم من نقاء الروح وطهر الضمير وطبعت الحياة فيه على مزاج الإسلام الطهور. ٥ - وما يهون الخطب أن مواطن الخلاف بين فرق المسلمين منذ كانت لم تصل إلى الأصول وإنما هي في نطاق الفروع وإن حاول كثير منهم أن يوصلها إلى الأصول عن طريق عناوين ثانوية ولوازم تحاول الدخول من أبواب خفية. لكنّها وبشيء من التأمل والتحليل ترتد عن الأصول إلى الفروع وما دام الإسلام في روحه الكريمة يفترض الصحة في فعل المسلم ابتداءً فعلياً معالجة هذه الأمور بوحى من هذا الروح. وما دامت العقول متفاوتة والمدارك مختلفة فمن المنطق أن نقول إن الاختلاف في مسائل الفكر سنة الكون وسجية النفوس وخاصة العقول وإنما يحمل على نسيان هذه الحقائق الأفق الضيق والعصبية الرعناء والتسرع في الإندفاع وما أجدنا بالإبتعاد عنها. [صفحة ٨]

٦ - ولما كانت مواضع الكتاب ومسائله مختلفة فسوف لا يجد القارئ وحده في الموضوع واتبعاً لذلك فسيختلف أسلوب المعالجة ونمط تناول والمزاج الذي يمليه الموقف. مع إدراكنا أن هذه المسائل يجمعها عنوان العقائد ولكن أجزاء هذا العنوان متنوعة. ونحن ندرك أن تسمية كثير مما يحمله الإنسان المسلم ويتحله عقيدة فيه كثير من التجوز، فقد لا يعتقد ولا يدين بما يحمله من أفكار أحياناً وإنما هو مجرد شعار تمليه مصلحة أو تحتمه عصبية أو تفرضه تقاليد درج عليها الإنسان. وهذا هو سر تمسك بعض الناس بأفكار يعلم بطلانها سلفاً ولكنه التمذهب الإيديولوجي الناتج من مختلف الأسباب والذي هو من مصائبنا التي نرجو أن يعافينا الله منها.

٧ - وكل الذي أرجوه من القارئ أن لا يسمى بعض معالجات هذا الكتاب دعوة للطائفية عن طريق الدعوة إلى ترك الطائفية مما هو من قبيل المصادرة على المطلوب. وذلك لأن منطق المقارعة أحياناً من طرق تصحيح المسار فإن مبضع الجراح لا يريد الانتقام وإن سبب ألماً. وإن وضع السيف أمام السيف قد لا يكون دعوة إلى القتال بل دعوة إلى تركه وإن الحمل على باب شرب الدواء ليس عن بغض وإن كان الدواء مرّاً. وستبقى الأهداف دائماً وراء الأعمال تحدد هوياتها وتشكل مبرراً لما قد يكون في وسائلها من قسوة شريطة أن لا تنزل الوسائل إلى المستويات الملوثة وما دام الهدف كبيراً فسوف تستساغ بعض الوسائل في حالات كثيرة كما يملئها العقل ويقرها الواقع. ٨ - وبعد ذلك كله فإني ومن منطلق كوني إمامياً أدعو كل قارئ أن يتلبس الأدوار التي مرت بالشيعة والظروف والملابسات التي اكتفتهم وجوداً واستمراراً ثم يتصوّر ما تفرزه تلك الحالات من مظاهر سلوكية حتى تكون معياراً بين يديه يفسر خلال أجوائها المعاشة كثيراً من مظاهر السلوك الفكرى والاجتماعى عند الشيعة وبذلك يتعد عن الشطط في الحكم عليهم. فإذا رأهم يشددون على فكرة التقية فليعلم أنهم لم يخرجوا بها عن نطاق واقع مرّ. [صفحة ٩] تكييفوا معه ضمن مقاييس الشرع، وإذا رأى أن ردود الفعل عن بعضهم في بعض المواقف عنيفة فلا ينسى عنف الفعل ذاته وهكذا ليكن الإنسان نفسه مقياساً للآخرين وميزاناً يزن به سلوك غيره. ٩ - أضمن هذه الوريقات دعوة إلى كل فرق المسلمين أن يدرسوا بعضهم البعض بروح عملية وأن يتبينوا هذه الخلفيات المشبوهة التي لعبت دوراً كبيراً وما زالت في تمزيق المسلمين ثم لقيموا نتائج هذا الوضع ليروا من هو الذى يقطف الثمار من وراء هذا الوضع وبعد ذلك كله نحن مدعوون إلى وضع التاريخ في ساحة الإتهام وبالحواف الكبيرة لنحاكمه وننتهي إلى التخلص من كثير من مآسيه التي نعيشها فالتاريخ فاعل في داخلنا وإن بعد العهد بيننا وبين مواده ومكوناته. نسأل الله تعالى العون على مسيرتنا في درب الحياة الوعر وإضاءة طريقنا بنور منه والحمد لله أولاً وآخراً. [صفحة ١١]

التشيع لغة: هو المشايعة أى المتابعة والمناصرة والموالاة [١]. فالشيعة بالمعنى اللغوى هم الأتباع والأنصار وقد غلب هذا الإسم على أتباع علي عليه السلام حتى اختص بهم وأصبح إذا أُطلق ينصرف إليهم. وبهذا المعنى اللغوى استعمل القرآن الكريم لفظه الشيعة كما فى قوله تعالى: (وإن من شيعته لإبراهيم) ٨٣ الصافات وكقوله تعالى: (هذا من شيعته وهذا من عدوه) ١٥ القصص. التشيع اصطلاحاً: هو: الاعتقاد بآراء وأفكار معينة وقد اختلف الباحثون فى هذه الأفكار والآراء كثرة وقله وسيمر علينا ذلك مفصلاً فالتشيع بالمعنى الثانى أعم منه بالمعنى الأول. وبينهما من النسب عموم وخصوص مطلقاً والعموم فى جانب التشيع بالمعنى الثانى لشموله لكل منهما. وانطلاقاً من كون التشيع اعتقاداً بآراء معينة ذهب العلماء والباحثون تبعاً لذلك إلى تعريفه على اختلاف بينهم فى سعة مدى هذه التعاريف وضيقة وإليك نماذج من تعريفاتهم: [صفحة ١٢] ١ - الشهيد الثانى فى كتابه شرح اللمعة قال: «الشيعة من شايح علياً - أى اتبعه وقدمه على غيره فى الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقى الأئمة، فيدخل فيهم الإمامة والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفظحية» [٢]. ٢ - الشيخ المفيد فى كتاب الموسوعة كما نقله عنه المؤلف قال: «الشيعة هم من شايح علياً وقدمه على أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى نصاً كما يرى الإمامية أو وصفاً كما يرى الجارودية». وقد نقل هذا المضمون نفسه كامل مصطفى الشيبى فى كتابه الصلة [٣]. ٣ - الشهرستانى فى الملل والنحل قال: «الشيعة هم الذين شايحوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصايه أما جلياً وأما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده» [٤]. ٤ - النوبختى فى كتابه الفرق قال: «الشيعة هم فرقة علي بن أبى طالب المسمون بشيعة علي فى زمن النبى ومن وافق مودته مودة علي» [٥]. ٥ - محمد فريد وجدى فى كتابه دائرة معارف القرن العشرين قال: «الشيعة هم الذين شايحوا علياً فى إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الكبراء والصغائر والقول بالتولّى والتبرّى [صفحة ١٣] قولاً وفعلاً إلا فى حال التقية إذا خافوا بطش ظالم» [٦]. هذه النماذج من التعريفات إنما قدمتها لنعرف ما هى مقومات التشيع فى نظر الباحثين. وقد تبين من بعضها: الإقطار على وصف الشيعة بأنهم يقدمون علياً على غيره لوجود نصوص فى ذلك أو وجود صفات اختص بها ولم تتوفر لغيره والواضح من ذلك أن جوهر التشيع هو الإلتزام بإمامة علي وولده وتقديمه على غيره لوجود نصوص عندهم فى ذلك وينتج من ذلك الإلتزام بأمرين: الأول: بما أن الإمامة وليدة النصوص فهى امتداد للنوبة يترتب عليها ما يترتب على النبوة من لوزام عدى الوحي فإن نزوله مختص بالأنبياء. الثانى: أن الإمامة لا تتم بالإنتخاب والإختيار وإنما بالتعيين من الله تعالى فهو الذى ينص على الإمام عن طريق النبى، وإنما يختاره لتوفر مؤهلات عنده لا توجد عند غيره. أما الزيادة على ما ذكرناه التى وردت فى التعريفات التى نقلناها والتى قد توجد فى كتب الشيعة الأخرى فهى مستفاد من أخبار وهى أعم من كونها من أصول المذهب أو من أصول الإسلام كما سنرى ذلك فيما يأتى أن الغرض من هذه الإشارة هو إلقاء الضوء على نقطة يؤكد عليها الباحثون عند استعراضهم لذكر الشيعة وعقائدهم: ألا وهى التأكيد على إدخال آراء أريد لها أن تكون خيوطاً تصل بين التشيع واليهودية، أو النصرانية، أو الزندقة. ومحاولة إيصال التشيع لعريقات معينة. وهى محاولة لا تخفى على أعين النقاد بأنها غير موضوعية. إن هذه المحاولة تريد تصوير التشيع بأنه تطور لا كما تتطور العقائد والمذاهب الأخرى. وفى التوسع وقبول الإضافات السلمية نتيجة تبرعم بعض الآراء وإنما هو تطور غير سليم وغير نظيف أفسد مضمون التشيع. [صفحة ١٤] وسأستعرض بعض هذه الأقوال لتكون مجرد مؤشر على هذا الإتجاه وسأعقب عليها بما أراه: تطوّر التشيع ١ - رسم الدكتور عبدالعزيز الدورى هذا التطور عن طريق تقسيمه للتشيع إلى روحى بدأ أيام النبى عليه الصلاة والسلام وسياسى حدث بعد مقتل الإمام علي، وقد استدلل لذلك بأن التشيع بمعناه البسيط دون باقى خواصه الإصطلاحية قد استعمل فى صحيفة التحكيم التى نصت على شيعة لعلي وشيعة لمعاوية مما يعطى معنى المشايعة والمناصرة فقط دون باقى الصفات والأبعاد السياسية التى حدثت بعد ذلك [٧]. ٢ - محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف قال: «الشيعة هم الذين شايحوا علياً فى إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده ويقولون بعصمة الأئمة من الصغائر والكبراء والقول بالتولّى والتبرّى قولاً وفعلاً إلا فى حال التقية إذا خافوا بطش ظالم وهم خمس فرق: «كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة

وإسماعيلية» وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه» [٨]. إن هذه المقطفة من فريد وجدى سبق أن ذكرت قسماً منها في التعريف بالتشيع، وذكرت هنا المقطفة بكاملها ليتضح منها أن مضمونها يغطي التشيع منذ أيامه الأولى حتى الآن لأن من الواضح أن هذه المضامين لم تولد دفعة واحدة وإنما دخلت لمضمون التشيع تدريجاً. وقد خلط فريد وجدى فيها بين السمات والمقومات وجعل من ليس من الشيعة منهم ونسب لهم ما هم منه براء ولا أريد أن أتعجل الرد عليه فستمر علينا أمثال هذه النسب الرد عليها في مكانها من الكتاب. [صفحة ١٥] ٣- الدكتور كامل مصطفى في كتابه الصلوة قال: «ويتضح بعد ذلك أن التشيع قد عاصر بدء الإسلام باعتباره جوهرأ له، وأنه ظهر كحركة سياسية بعد أن نازع معاوية علياً على الإمارة وتدير شؤون المسلمين ويتبين بعد ذلك أن تبلور الحركة السياسية تحت إسم الشيعة كان بعد قتل الحسين عليه السلام مباشرة وإن كانت الحركة سبقت الإصطلاح وبذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل في كلمة بيانها أن التشيع كان تكتلاً إسلامياً ظهرت نزعتة أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان واستقل الإصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين [٩] وواضح من هذا النص أن التشيع مرّ بأدوار تطوّر فيها كما يقول كامل. ٤- الدكتور أحمد أمين قال: «إن التشيع بدأ بمعنى ساذج وهو أن علياً أولى من غيره من وجهتين: كفايته الشخصية وقرابته للنبي. ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية. وحيث أن أكبر عنصر دخل الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع». [١٠]. وواضح هنا مما ذكره أحمد أمين أن التشيع تطور لا بشيء من داخله وإنما بإضافات واسباغ من عناصر أخرى دخلت الإسلام واختارت التشيع فنقلت ما عندها من أفكار وعقائد إليه حتى أصبحت جزءاً منه وإن الفرس بالذات تركوا بصماتهم على المذهب أكثر من غيرهم كما يريد أحمد أمين أن يصوره. وهو زعم أخذه أحمد أمين من غيره وغيره أخذه من غيره وهكذا حتى أوشك أن يصبح من الأمور المتسالم عليها عند الباحثين وقريباً سأوقفك على زيف هذه الدعوى والهدف من الإصرار على ربط التشيع بالفارسية شكلاً ومضموناً. ٥- الدكتور أحمد محمود صبحي قال: [صفحة ١٦] «بعد ذكر الرواد من الشيعة - والتشيع بالنسبة للشيعة المتأخرين مثل الزهد في عصر الرسول والخلفاء الراشدين والفرق بينه وبين التصوف الذي شابهه عناصر غنوصية وتأثر بتيارات فكرية متباينة كما عرف لدى محيي الدين ابن عربي والسهورودي مثلاً» [١١]. وبعد أن استعرضنا هذه الأمثلة من أقول الكتاب التي فرقوا بها بين التشيع في الصدر الأول وما تلا ذلك من عصور أود أن أعقب على ذلك بما يلي: ١- أن كمية الأفكار والمعتقدات في المضمون الشيعي تتسع في الأزمنة المتأخرة عما كانت عليه في الصدر الأول دون شك في ذلك ولكن هذه الزيادة ليست أكثر من المضمون الأصلي للتشيع وإنما هي تفصيل وبيان لمجمله، إنها ليست بإضافة أجزاء وإنما هي ظهور جزئيات انطبق عليها المفهوم الكلي للتشيع وقد ظهرت هذه الجزئيات بفعل تطور الزمن. وكمثال لذلك: موضوع النصوص التي وردت على لسان النبي عليه الصلاة والسلام هل هي مجرد إشارة لفضل الإمام عليّ أم أنها على شكل يلزم المسلمين بالقول بإمامته وعلى نحو الوصية له بالخلافة وتبعاً لذلك هل أن هذه الإمامة تقف عند حد المؤهلات أم أن الإمام يجب أن يكون النموذج المثالي فيكون أشجع الناس وأعلم الناس وأعدل الناس وهكذا تبرعم موضوع العصمة وغيره. وكل هذه الأمور داخله في صلب موضوع الإمامة وليست هي بأمور زائدة على الموضوع بل اشتقاقات أولدها التطور الفكري وزيادة أعداد وأنواع معتنقى المذهب. ٢- إن مثل هذا التطور كمثل كل تطور حدث، ومن ذلك تطور الإسلام بصفته مقسماً للمذاهب. فالمسلمون منذ وجدوا كان من عقيدتهم الاعتراف بالله عز وجل وجوده ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص وكل ذلك على نحو الإجمال. وعندما اتسعت مجالات التفكير وانفتح العالم الإسلامي على أمم وثقافات متنوعة. تبرعمت أسئلة وجدت أفكار فرجع [صفحة ١٧] المسلمون إلى ما آمنوا به إجمالاً يبينون مجمله ويفصلون مختصره، فنشأ من إيمانهم بأن الله خالق كل شيء: النزاع بإعطاء السبب الطبيعي صفة الخلق وذلك يؤدي إلى تعدد الخالق كما تصوروا، أم أن ذلك لا- يقدر بانفراد الله تعالى بصفة الخالق: إذ أن الله تعالى جهة تأثير ليست من مقدرات المخلوقين وكل ما للمخلوقين إنما هو من جهة أخرى ولا يقدر ذلك في كون الله تعالى أحسن الخالقين. وتبرعمت عن هذه المسألة خلق أفعال العباد وربط ذلك كله بالجبر والإختيار وهكذا. ومثل آخر هو إيمان المسلمين منذ وجدوا بحجية ظواهر القرآن الكريم

فنشأ من ذلك النزاع حول حجيه ظواهر بعض الآيات لأنّ لأزم ذلك نسبة ما لا يصح إلى الله تعالى وذلك مثل قوله تعالى: (وجوه يؤمئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ٢٢/سورة القيامة. حيث ذهب أهل السنة إلى جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة استناداً إلى ظاهر الآية، بينما ذهب الإمامية إلى استحالة رؤيته تعالى لاستلزام الرؤية الجسمية وبالتالي التركيب فالحاجة فالحدوث وانتهاء كل ذلك إلى نفى الألوهية وقد أولوا النظر هنا بأنه انتظار الرحمة كما يقول شخص لآخر ينتظر منه الرحمة أنا أنظر إليك وإلى عطفك وذلك شائع في لغة العرب وحضارتهم والقرآن نزل بلغة العرب وسلك منهجهم في المحاورات. هذا بالإضافة إلى أن الله تعالى نسب هنا النظر إلى الوجوه وهي ليست من أعضاء النظر من قبيل قوله تعالى: (ما ينظرون إلا صحية واحدة تأخذهم وهم يخصمون) ٤٩/يس. مثال آخر أذكره للتدليل على اتساع المضمون الإسلامي عما كان عليه في الصدر الأول فقد آمن المسلمون منذ وجدوا بأن الله تعالى لا يفعل العيب وجاءت ظواهر الآيات تؤيد ذلك فقد جاء في قوله تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم) ٢/سورة الملك. وجاء بقوله: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لابين) ٣٨/الدخان. فتنازع المسلمون بعد ذلك في أن أفعال الله تعالى هل هي معللة ولازم ذلك نسبة النقص إلى الله لأنّ كل فاعل للعلّة إنما يحتاج لتلك العلة، أم أن أفعاله تعالى غير معللة ولازم ذلك أن فعله [صفحة ١٨] عبث تعالى الله عن ذلك، فذهب أهل السنة إلى أن أفعاله غير معللة، وذهب الإمامية إلى أنها معللة بدون حاجة منه تعالى للعلّة وإنما يعود نفع العلة للعباد أنفسهم وبذلك يجمع بين الأمرين من كونه تعالى لا- يفعل العيب ومن كونه غنياً عن الحاجة. ومع جميع ما ذكرناه لا يقال إن المسلمين تطورت عقائدهم وزاد مضمون الإسلام عما كان عليه في الصدر الأول وإنما الذي حدث أن المسلمين توسعوا في شرح الأمور المجملّة عندما اضطروا لذلك نتيجة تفاعلهم مع ثقافات مختلفة وأفكار متنوعة فالمسلم في صدر الإسلام والمسلم في أيامنا مصدر تشريعه الكتاب والسنة ولكنّه فيما مضى أخذهما مجملين والآن احتاج إلى التفصيل لوجود دواعي وجدت ولم تكن موجودة في الصدر الأول فإذا كان التطور المنسوب إلى التشيع على هذا النحو الذي حدث في الإسلام نفسه فهو واقع بهذا المعنى لا- نزاع في ذلك، أما إذا كان استحداث آراء جديدة وبعيدة عن روح الإسلام فلا- لأنّ كل ما ياباه الإسلام ياباه التشيع بالضرورة إن التطور الذي حدث في الإسلام على الشكل الذي ذكرناه لم يشكل قدحاً في عقائد فرق المسلمين، وإذا كان ما حدث في التشيع من تطور مثل ما حدث في الإسلام ككل فما له هنا يشكل قدحاً في العقيدة ويثير شكوكاً لا مبرر لها؟. ٣- ومع التنزل وافتراس دخول عضو إضافي على جسم التشيع كما يريد أن يثبت البعض اعتباطاً وهي منفي فإنّ مثل هذا الفرض ياباه الفكر الشيعي إذا كان مما لا يلتقى مع كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والخطوط الإسلامية العامة، إنّ مثل هذا الفرض هو رأى يرد إلى نحر قائله فكل ما هو ليس من الإسلام فهو ليس من التشيع في شيء بداهة أنّ التشيع من عطاء فكره أهل البيت وهم عدل الكتاب وهم مثل سفينة نوح فعلى هذا يكون ما ينسب إلى التشيع من هذا القبيل إنما هو خلط بين التشيع والشيعة وكثير ممن يُنعت بأنه من الشيعة يرفضه الهيكل الشيعي فيما له من حدود وهو ما سنمر عليه ونذكر أدلته، والشأن في ذلك شأن التفكير السنّي الذي ينفي عنه بعض المنتسبين إليه ممن تثبت انحرافهم عن خطوط الإسلام ولا- يقدر وجود أمثالهم عند أهل السنة، ولا يُنتزع من وجود [صفحة ١٩] أمثال هؤلاء حكم عام يعمم على أهل السنة. وعلى أسوأ الفروض لو وجدت أفكار إضافية طارئة على جسم أي مذهب من المذاهب وزائدة على محتواه الأصلي كما هو الفرض ولكنها لا تشكل إنكار ضرورية من ضروريات الدين ولا ردة ولا انحرافاً فإنّ أمثالها لا يبرر رمي من وجدت عنده بالمروق عن الدين والخروج عن الإسلام وربطهم باليهودية والنصرانية وأمثال ذلك من النسب التي لا يتفوه بها مسلم على أخيه وله ضمير خلق مسلم يصدر في سلوكه عن تعاليم الإسلام. فمتى كان القول بالوصاية مثلاً وأنّ لكل نبي وصياً وأنّ الأوصياء يجب كونهم معصومين حتى يتحقق الغرض من نصبهم قادة للأمم والإعتقاد بأنّ المهديّ حيّ وأمثال ذلك من العقائد موجباً من الدين ومدعاة لشن حملات شعواء كانت وما تزال يجترها الخلف عن السلف دون أن يتبين ما هي مصادرها ودون أن يحللها ويناقشها. إنّ صرف هذه الطاقات في ميادين التهريج أقل ما يوصف به أنّه عمل غير مسؤول بالإضافة إلى إمكان توجيه هذه الطاقات إلى ميادين إيجابية في الخلق والإبداع وفي جمع الشمل ولم الشعث وتنظيف الأجواء الإسلامية من الحقد والكراهية التي لا

يفيد منها إلا أعداء الإسلام. إن الذين يقفون وراء نعرات التشويش والفرقة قوم بعيدون عن روح الإسلام وجوهره وليسوا ببعيدين عن الشبهات خصوصاً وأن أمثال هذه المواضيع يجب أن تبفى محصورة في نطاق العلماء فقط وأن لا تنزل إلى مستوى الأوساط من الناس فضلاً عن العامة وذلك لأنّ للعلماء مناعة تبعدهم عن النظرة المرتجلة والنعرة الجاهلية كما هو المفروض إنّ المفاعلات الطائفية في تصوّر أخطر على الإنسانية من المفاعلات النووية، وحسب تاريخ المسلمين خلافات كانت وما تزال غصّة في فم كل مؤمن بالله تعالى وبدينه وكل داع لرسالات السماء التي من أول أهدافها تأصيل الروح الإنسانية في كل أنماط السلوك عند البشر. [صفحة ٢٣]

متى بدأ التشيع

فيما مضى في فصل التمهيد انتهينا إلى أن التشيع في بداياته ونهاياته واحد وأنّ التطور المفترض فيه ما هو إلا تبرعم أفكار مستنبطة من الأصول حدثت عند الممارسة. وعناوين هي ثمرة لتفاعل بين أفكار ولمقارعة حجج بعضها ببعض مما يوجد عادة في التاريخ الثقافي لكل نحلة من النحل. والآذن لا بد من الرجوع إلى بداية التشيع وبذرتة التاريخية واستظهار ما إذا كانت سنخيتها تتحد مع الفكر الإسلامي أم لا. ثم ما هو حجمها أي البنية الشيعية يوم ولادتها. وما هي أرضية تكوينها. وهل هي عملية عاطفية أم عملية عقلانية إنتهى إليها معتنقوها بمعاناه وتقويم واعين. ولما كانت هذه الأمور مما اختلف فيه تبعاً لاستنتاج الباحثين ومزاجهم ومسبقاتهم وما ترجح لديهم بمرجح من المرجحات فلا بد من تقديم نماذج من آراء الباحثين في هذه المواضيع تكون المادة الخام ثم يبقى على القارئ أن يستشف الحقيقة من وراء ذلك ويكوّن له رأياً يجتهد في أن يكون موضوعياً. إنّ المؤرخين والباحثين عندما يحددون فترة نشوء التشيع يتوزعون على مدى يتدّى من أيام النبي ونهاياته بعد مقتل الحسين عليه السلام. وسأستعرض لك نماذج من آرائهم في ذلك وأترك ما أذهب إليه إلى آخر الفصل. أ- رأى يرى أنهم تكونوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام. وممن يذهب لهذا: [صفحة ٢٤] أولاً: ابن خلدون: فقد قال: إنّ الشيعة ظهرت لما توفي الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحقّ بالأمر وأنّ الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأفّفوا من ذلك [١٢] الخ. ثانياً: الدكتور أحمد أمين فقد قال: وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي أنّ أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه» [١٣]. ثالثاً: الدكتور حسن إبراهيم فقد قال: ولا غرو فقد اختلف المسلمون أثر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم فيمن يولونه الخلافة وانتهى الأمر بتولية أبي بكر وأدى ذلك إلى انقسام الأمة العربية إلى فريقين جماعة وشيعية [١٤]. رابعاً: اليعقوبي قال: وبعد جماعة من المتخلفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيع ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبدالمطلب [١٥]. وتعقيباً على ذكر المتخلفين عن بيعة الخليفة أبي بكر قال الدكتور أحمد محمود صبحي: إنّ بواعث هؤلاء مختلفه في التخلف فلا يستدل منها على أنّهم كلهم من الشيعة. وقد يكون ما قاله صحيحاً غير أنّ المتخلفين الذين ذكرهم المؤرخون أكدت كتب التراجم على أنّهم شيعة وستأتى الإشارة لذلك في محلها من الكتاب [١٦]. خامساً: المستشرق جولد تسيهر قال: إنّ التشيع نشأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وبالضبط بعد حادثة السقيفة [١٧]. [صفحة ٢٥] ب- رأى الذي يذهب إلى أنّ التشيع نشأ أيام عثمان ومن الداهيين لذلك: جماعة من المؤرخين والباحثين منهم: ابن حزم وجماعة آخرون ذكرهم بالتفصيل يحيى هاشم فرغل في كتابه [١٨] وقد استند إلى مبررات شرحها. ج- رأى الذي يذهب إلى تكوّن الشيعة أيام خلافة الإمام عليّ عليه السلام، ومن الداهيين إلى هذا الرأي النوبختي في كتابه فرق الشيعة [١٩] وابن النديم في الفهرست حيث حدده بفترة واقعة البصرة وما سبقها من مقدمات كان لها الأثر المباشر في تبلور فرقة الشيعة وتكوينها [٢٠]. د- رأى الذي يذهب إلى أنّ ظهور التشيع كان بعد واقعة الطف على اختلاف في الكيفية بين الداهيين لهذا الرأي حيث يرى بعضهم أنّ بوادر التشيع التي سبقت واقعة الطف لم تصل إلى حد تكوين مذهب متميز له طابعه وخواصه وإنما حدث ذلك بعد واقعة الطف بينما يذهب [٢١] آخرون إلى إنّ وجود المذهب قبل واقعة الطف كان لا يعدو النزعة الروحية ولكن بعد واقعة الطف أخذ طابعاً سياسياً وعمق جذوره في

النفوس وتحددت أبعاده إلى كثير من المضامين، وكثير من المستشرقين يذهبون لهذا الرأي وأغلب المحدثين من الكتاب. يقول الدكتور كامل مصطفى إن استقلال الإصطلاح الدال على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين عليه السلام حيث أصبح التشيع كياناً مميزاً له طابعه الخاص. في حيث يذهب الدكتور عبدالعزيز الدوري إلى أن التشيع تميز سياسياً ابتداءً من مقتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ويتضمن ذلك فترة قتل الحسين عليه السلام حيث يعتبرها امتداداً للفترة السابقة [٢٢]. وإلى هذا الرأي يذهب بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية حيث [صفحة ٢٦] يقول: والحق أن ميتة الشهداء الذي ماتها الحسين ولم يكن لها أي أثر سياسي هذا على زعمه - قد عملت في التطور الديني للشيعة حزب عليّ الذي أصبح بعد ملتقى جمع النزعات المناوئة للعرب - وهو زعم باطل - واليوم لا يزال ضريح الحسين عليه السلام في كربلاء أقدس محجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما فتوا يعتبرون الثواء الأخير في جواره غاية ما يطمعون فيه [٢٣]. إن رأي بروكلمان بالإضافة لما فيه من دس يخالف ما عليه معظم من ربط ظهور التشيع بمقتل الحسين حيث يذهبون إلى أن التميز السياسي للمذهب ولدته واقعة الطف، بينما يرى بروكلمان أن لا أثر سياسي للواقعة فهو من قبيل إنكار البدهيات وإنما يقصر أثر الواقعة على تعميق المذهب دينياً فقط. وقد شايح بروكلمان في هذا الرأي جماعة آخرون ذكرهم يحيى فرغل مفصلاً في كتابه [٢٤] إن هذه الآراء الأربعة في نشأة التشيع لا تصمد أمام المناقشة ولا أريد أن أتعجل الرد عليها فسأذكر الرأي الخامس ومنه يتضح تماماً أن هذه الآراء تستند إلى أحداث أو مض فيها التشيع نتيجة احتكاكه بمؤثر من المؤثرات في تلك الفترة التي أرخت بها تلك الآراء ظهور التشيع فظنوه ولد آنذاك بينما هو موجود بكيانه الكامل منذ الصدر الأول. وقد آن الأوان لأعرض لك رأي جمهور الشيعة وخاصة المحققين منهم: هـ- رأي الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى. حيث ذهب هؤلاء إلى أن التشيع ولد أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن النبي نفسه هو الذي غرسه في النفوس عن طريق الأحاديث التي وردت على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكشفت عما لعليّ عليه السلام من مكانة في مواقع متعددة رواها إضافة إلى الشيعة ثقاة أهل السنة ومنها: ما رواه السيوطي عن ابن عساكر عند تفسير الآيتين السادسة والسابعة من سورة النبي بسنده عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ عليه السلام [صفحة ٢٧] وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة: فنزل قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية) وأخرج ابن عدى عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام هم أنت وشيعتك. وأخرج ابن مردويه عن عليّ عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قوله تعالى: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلخ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محجلين [٢٥] ومن هنا ذهب أبو حاتم الرازي إلى أن أول إسم لمذهب ظهور في الإسلام هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة أبو ذر وعمار ومقداد وسلمان الفارسي وبعد صفين اشتهر موالى عليّ بهذا اللقب [٢٦]. إن هذه الأحاديث التي مرت والتي أخرجها كل من ابن عساكر وابن عدى وابن مردويه يعقب عليها أحمد محمود صبحي في كتابه نظرية الإمامة فيقول: ولا- تفيد الأحاديث الواردة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق عليّ عليه السلام أن لعليّ شيعة في زمان النبي فقد تنبأ النبي بظهور بعض الفرق كإشارته إلى الخوارج والمارقين كما ينسب إليه أنه قال لعليّ إنك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ولا يدل ذلك على وجود جماعة مستقلة لها عقائد متميزة أو تصورات خاصة [٢٧] وأنا ألفت نظر الدكتور أحمد محمود إلى أن الشيعة لا يستدلون على ظهور التشيع أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما ورد على لسانه من أحاديث، فالمسألة كما يسميها الأصوليون على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، أي لا يلزم وجودهم بالفعل كما استظهره الدكتور وإنما هي صفات ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشيعة متى وجدوا وأينما وجدوا، أما الاستدلال على ظهور الشيعة أيام النبي فمن روايات وقرائن كثيرة يوردونها في هذا المقام، أورد قسماً منها الدكتور عبدالعزيز الدوري واستعرض مصادرها [٢٨] مع ملاحظة أنه قيد [صفحة ٢٨] التشيع بأنه تشيع روجي كما نص على قسم من أدلتهم على ذلك يحيى هاشم فرغل في كتابه [٢٩]. إن بعض هذه الآراء يرجع بالبداية الزمنية في ظهور الشيعة إلى

وقت مبكر في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث التأمّت جماعة من الصحابة تفضل علياً عليه السلام على غيره من الصحابة وتتخذة رئيساً ومن هؤلاء عمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود وجابر بن عبد الله وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري وبنو هاشم الخ [٣٠]. ولهذا ذهب الباحثون إلى تخطئه من يؤرخ للتشيع وظهوره بعصور متأخرة مع أن الأدلة التاريخية متوفرة على وجودهم أيام الرسول صلوات الله عليه وآله: يقول محمد بن عبد الله عنان في كتابه تاريخ الجمعيات السرية عند تعليقه على الحادثة التي روتها كتب السيرة [٣١] حين جمع النبي عشيرته عند نزول قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) ٢١٤/الشعراء، ودعاهم إلى اتباعه فلم يجبه الا علي بن أبي طالب فأخذ النبي برفقته وقال: هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا الخ. علق محمد عبد الله بقوله: من الخطأ أن يقال: إن الشيعة إنما ظهوروا لأول مرة عند انشقاق الخوارج بل كان بدء الشيعة وظهورهم في عصر الرسول حين أمر بإنذار عشيرته بهذه الآية. [صفحة ٢٩]

الادلة على تكون الشيع أيام النبي

١- النصوص التاريخية على وصف جماعة بالتشيع أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد مرت الإشارة لذلك، ولهذا يقول الحسن بن موسى النوبختي عند تحديده للشيعة: فالشيعة فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي - ثم عدد جماعة منهم وقال: - وهم أول سمي باسم التشيع لأن اسم التشيع كان قديماً لشيعة إبراهيم [٣٢]. ٢- ما عليه جمهور الباحثين والمؤرخين الذين ذهبوا إلى أن التشيع ظهر يوم السقيفة فإن ذلك ينهص دليلاً على وجوده أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه من غير المعقول أن يتبلور التشيع بأسبوع واحد - أي المدة بين وجود الرسول ووفاته بحيث يتخذ جماعة من الناس مواقف معينة ويتضح لهم اتجاه له ميزاته وخواصه فإن مثل هذه الآراء تحتاج في تكوينها وتبلورها إلى وقت ليس بالقليل وكل من له إمام بحوادث السقيفة وموقف الممتنعين عن بيعه أبي بكر وحجاجهم في ذلك الموضوع يجزم بأن تلك المواقف لم تتكون بوقت قصير وبسرعة كهذه السرعة وذلك لوجود اتجاهات متبلورة وتاصل في طرح نظريات معينة. ٣- إن من غير المعقول أن ترد على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث في تفضيل [صفحة ٣٠] الإمام علي عليه السلام والإشارة إلى مؤهلاته ثم يقف المسلمون من ذلك موقف غير المبالي وهم من هم في إيمانهم وطاعتهم للرسول عليه السلام ولا سيما والمواقف في ذلك قد تعددت وسأذكر لك منها. أ- الموقف الأول: عندما نزل قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) ٢١٤/ من سورة الشعراء قال المؤرخون: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا علياً عليه السلام وأمره أن يصنع طعاماً ويدعو آل عبدالمطلب وعددهم يومئذ أربعون رجلاً وبعد أن أكلوا وشربوا من لبن أعد لهم قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يا بني عبدالمطلب إنني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً - يقول علي - وقلت وإنني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برفقتي ثم قال: إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع [٣٣]. ب- الموقف الثاني: يقول أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دخلت على النبي وهو يوحى إليه فرأيت حية فنمت بينها وبين النبي لئلا يصل إليه أذى منها حتى انتهى عنه الوحي فأمرني بقتلها وسمعتة يقول: الحمد لله الذي أكمل علي منته وهنيئاً علي بتفضيل الله إياه.. بعد أن قرأ قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ٥٥/المائدة. وقد أجمع أعلام أهل السنة والشيعة على نزول هذه الآية في علي عليه السلام ومنهم السيوطي في الدر المثور عند تفسير الآية المذكورة وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب والبيضاوي في [صفحة ٣١] تفسيره والزمخشري في الكشاف والثعلبي في تفسيره والطبرسي في مجمع البيان وغيرهم من أعلام المفسرين والمحدثين. ومن الغريب أن يقف الألوسي في تفسيره روح المعاني موقفاً يمثل الإسفاف والركه في دفع هذه الآية عن علي عليه السلام ويريك كيف

يهبط التعصب بالإنسان إلى درك مقيت وإلى تهافت غير معهود. وإن المرء ليستغرب من هذا الرجل فإن له مواقف متناقضة من علي عليه السلام فتارة يعطيه حقه وأخرى يقف منه موقفاً متشنجاً وبوسع كل من قرأ الألوسي في مؤلفاته أن يرى هذه الظاهرة. ج - الموقف الثالث: موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم وذلك عند نزول الآية: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) ٦٩/المائدة. وعندها أوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الركب وصنعوا له منبراً من أحجاج الإبل خطب عليه خطبته المعروفة ثم أخذ بيد علي وقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فكررها ثلاثاً ثم قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فلقبه الخليفة الثاني فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وقد ذكر الرازي في سبب نزول الآية عشرة وجوه ومنها أنها نزلت في علي عليه السلام ثم عقب بعد ذلك بقوله: وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي - يريد الباقر - [٣٤] إن حديث الغدير أخرجه جماعة من حفاظ أهل السنة وقد رواه ابن حجر في صواعقه عن ثلاثين صحابياً ونص علي أن طريقه صحيحة وبعضها حسن [٣٥]. وأورده ابن حمزة الحنفي مخرجاً له عن أبي الطفيل عامر بن واثله بهذه [صفحة ٣٢] الصورة. قال: إن أسامة بن زيد قال لعلي: لست مولاي إنما مولاي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كأنتي قد دعيت فأجبت إنني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض إن الله مولاي وأنا مولى كل مؤمن من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [٣٦]. وقد ألف في موضوع الغدير من السنة والشيعنة ست وعشرون مؤلفاً [٣٧] ولا أريد التحدث بصراحة حديث الغدير في أولوية الإمام علي عليه السلام وتقديمه على كافة الصحابة فان الأمر قد أشبع من قبل الباحثين ولكني أريد أن أسائل الدكتور أحمد شلبي الذي يقول إن حديث الغدير لم يرد له ذكر إلا في كتب الشيعة، فأقول له هل هناك شيء من الشعور بالمسؤولية عندك وعند أمثالك ممن يرمون الكلام على عواهنه فأنت تحمل أمانة للأجيال فمن الأمانة هذا القول إن كتب أهل نحلتهك وحفاظ قومك أوردت الحديث بمصادره الموثوقة فإذا كنت لا تقرأ أو تقرأ ولا تريد أن تعرف فاسكت يرحمك الله فهو خير لك من التعرض أما لنسبة الجهل أو العصبية، ولا يقل عن الدكتور شلبي من يذهب إلى أن لفظ المولى هنا إنما يراد منه ابن العم فهو أحد معاني هذه اللفظة المشتركة ولا رد لي على هذا إلا أن أقول: اللهم ارحم عقولنا من المسخ. إن هذه مجرد أمثلة من مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التنويه بفضل علي عليه السلام ولا يمكن أن تمر هذه المواقف والكثير الكثير من أمثالها دون أن تشد الناس لعلي ودون أن تدفعهم للتعرف على هذا الإنسان الذي هو وصي النبي، الذي يشركه القرآن بالولاية العامة مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لا بد للمسلمين من إطاعة هذه الأوامر التي وردت بالنصوص والإلتفاف حول من وردت فيه ذلك هو معنى التشيع الذي نقول: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بذر بذرته وقد أينعت في حياته وعرف جماعة بالتشيع لعلي والإلتفاف حوله وللتدليل على ذلك سأذكر لك أسماء الرعيل الأول من الصحابة الذين عرفوا بتشييعهم وولائهم للإمام علي عليه السلام. [صفحة ٣٣]

رواد التشيع الأوائل

إشاره

جندب بن جنادة، أبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر، سلمان الفارسي، المقداد بن عمر بن ثعلبة الكندي، حذيفة بن اليمان صاحب سر النبي، خزيمه ابن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين، الخباب بن الأرت الخزاعي أحد المعذيين في الله، سعد بن مالك أبو سعيد الخدري، أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري، قيس ابن سعد بن عباد الأنصاري، أنس بن الحرث بن منبه أحد شهداء كربلاء، أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد الذي استضافه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخوله للمدينة، جابر بن عبد الله الأنصاري أحد أصحاب بيعة العقبة،

هاشم بن أبي وقاص المرقال فاتح جلولاء، محمد بن الخليفة أبي بكر تلميذ عليّ وربييه، مالك بن الحرث الأشتر النخعي، مالك بن نويرة ردف الملوكة الذي قتله خالد بن الوليد، البراء ابن عازب الأنصاري، أبي بن كعب سيد القراء، عبادة بن الصامت الأنصاري، عبدالله بن مسعود صاحب وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن سادات القراء، أبو الأسود الدؤلي، ظالم بن عمير واضح أسس النحو بأمر الإمام عليّ، خالد بن سعيد بن أبي عامر بن أمية بن عبد شمس خامس من أسلم، أسيد بن ثعلبة الأنصاري من أهل بدر، الأسود بن عيسى بن وهب من أهل بدر، بشير ابن مسعود الأنصاري من أهل بدر ومن القتلى بواقعة الحرة بالمدينة، ثابت أبو فضالة الأنصاري من أهل بدر، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري من أهل بدر، رافع بن خديج الأنصاري ممن شهد أحداً ولم يبلغ وأجازته النبي صلى الله عليه وآله وسلم، [صفحة ٣٤] كعب بن عمير بن عبادة الأنصاري من أهل بدر، سماك بن خرشة أبو دجانه الأنصاري من أهل بدر، سهيل بن عمرو الأنصاري من أهل بدر، عتيك بن التيهان من أهل بدر، ثابت بن عبيد الأنصاري من أهل بدر، ثابت بن حطيم ابن عدى الأنصاري من أهل بدر، سهيل بن حنيف الأنصاري من أهل بدر، أبو مسعود عقبه بن عمر من أهل بدر، أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي شهد مشاهدته كلها مع مشاهد عليّ عليه السلام وممن بايع البيعتين العقبة والرضوان وهاجر الهجرتين للحبشة مع جعفر وللمدينة مع المسلمين، أبو بردة بن دينار الأنصاري من أهل بدر، أبو عمر الأنصاري من أهل بدر، أبو قتادة الحارث بن ربيع الأنصاري من أهل بدر، عقبه بن عمر بن ثعلبة الأنصاري من أهل بدر، قرظة بن كعب الأنصاري، بشير بن عبدالمنذر الأنصاري أحد النقباء ببيعة العقبة، يزيد بن نويرة بن الحارث الأنصاري ممن شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة، ثابت بن عبدالله الأنصاري، جبلة بن ثعلبة الأنصاري، جبلة بن عمير بن أوس الأنصاري، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي، زيد بن أرقم الأنصاري، شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعة عشر واقعة، أعين بن ضبيعة بن ناجية التميمي، الأصعب بن نباتة، يزيد الأسلمي من أهل بيعة الرضوان، تميم بن خزام، ثابت ابن دينار أبو حمزة الثمالي صاحب الدعاء المعروف، جندب بن زهير الأزدي، جعدة بن هيرة المخزومي، حارثة بن قدامة التميمي، جبير بن الجناح الأنصاري، حبيب بن مظاهر الأسدي، حكيم بن جبلة العبدي الليثي، خالد ابن أبي دجانه الأنصاري، خالد بن الوليد الأنصاري، زيد بن صوحان الليثي، الحجاج بن غاربه الأنصاري، زيد بن شرحبيل الأنصاري، زيد بن جبلة التميمي، بديل بن ورقاء الخزاعي، أبو عثمان الأنصاري، مسعود بن مالك الأسدي، ثعلبة أبو عمرة الأنصاري، أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، عبدالله بن حزام الأنصاري شهيد أحد، سعد بن منصور الثقفي، سعد بن الحارث ابن الصمد الأنصاري، الحارث بن عمر الأنصاري، سليمان بن صرد الخزاعي، شرحبيل بن مرة الهمداني، شبيب بن رت النميري، سهل بن عمر [صفحة ٣٥] صاحب المربد، سهيل بن عمر أخو سهل المار ذكره، عبد الرحمن الخزاعي، عبدالله بن خراش، عبدالله بن سهيل الأنصاري، عبيد الله بن العازر، عدى ابن حاتم الطائي، عروة بن مالك الأسلمي، عقبه بن عامر السلمي، عمر بن هلال الأنصاري، عمر بن أنس بن عون الأنصاري من أهل بدر، هند بن أبي هالة الأسدي، وهب بن عبدالله بن مسلم بن جنادة، هاني بن عروة المذحجي، هيرة بن النعمان الجعفي، يزيد بن قيس بن عبدالله، يزيد بن حوريت الأنصاري، يعلى بن عمير النهدي، أنس بن مدرك الخثعمي، عمرو العبدي الليثي، عميرة الليثي، عليم بن سلمة التميمي، عمير بن حارث السلمي، علباء بن الهيثم بن جرير وأبوه الهيثم من قواد الحملة في قتال الفرس بواقعة ذي قار، عون بن عبدالله الأزدي، علاء بن عمر الأنصاري، نهشل بن ضمرة الحنظلي، المهاجر بن خالد المخزومي، مخنف بن سليم العبدي الليثي، محمد بن عمير التميمي، حازم بن أبي حازم النجلى، عبيد بن التيهان الأنصاري، وهو أول المبايعين للنبي ليلة العقبة، أبو فضالة الأنصاري، أويس القرني الأنصاري، زياد بن النضر الحارثي، عوض بن علاط السلمي معاذ بن عفراء الأنصاري، عبدالله بن سليم العبدي الليثي، علاء بن عروة الأزدي، القاسم بن سليم العبدي الليثي، عبدالله بن رقية العبدي الليثي، منقذ بن النعمان العبدي الليثي، الحارث بن حسان الذهلي صاحب راية بكر بن وائل، بجير بن دلجة، يزيد بن حجية التميمي، عامر بن قيس الطائي، رافع الغطفاني الأشجعي، سالم بن أبي الجعد، عبيد بن أبي الجعد، زياد بن أبي الجعد، أبان ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس من أمراء السرايا أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلص أصحاب الإمام عليّ عليه السلام. حرمله بن المنذر

الطائي أبو زيد، والمجموع مائة وثلاث وثلاثون. هذه شريحة أو نماذج من الرواد الأوائل في التشيع ذكرتهم بدون انتقاء أو اختيار وإنما مررت بكتب الرجال فذكرت منها هذه المجموعة وقد نصت على [صفحة ٣٦] تشيعهم المصادر التالية [٣٨]. بعد ملاحظة هذه الشريحة من الطبقة الأولى من الشيعة تتضح لنا أمور هامة، في موضوعنا أعرضها أمام القارئ الواعي الرائد للحق والموضوعية، وإلا فما أكثر من يقرأ ولا يتجاوز مضمون السطور عينيه، وقد يقرأ أحياناً ولا يريد أن يصدق ما يقرأ مع توفر شرائط الصحة فيما يقرأ ومع وجود الثقة النفسية بمضمون ما يقرأه، ولكنه التكوين النفسى والذهنى الذى ينشأ عليه الإنسان منذ الصغر فيكاد يكون غريزة من الغرائز التى يطبع عليها الإنسان.

تعقيب على الرواد من الشيعة

هذه الأمور التى ذكرت أنى سأعرض لها تعقيباً على نوعيئة الرواد الأوائل هى: أولاً: إن هؤلاء الشيعة الذين مر ذكرهم مع أنهم كانوا من الذاهبين إلى أولوية الإمام على عليه السلام بالخلافة لأنه الإمام المفترض الطاعة المنصوص عليه ومع اعتقادهم بأن من تقدم عليه أخذ مالىس له ومع امتناع كثير منهم من البيعة للخليفة الأول واعتصامهم ببيت الإمام على عليه السلام مع كل ذلك لم يعرف عن أحد منهم أنه شتم فرداً من الصحابة أو تناوله بطريقة غير مستساغة بل كانوا أكبر من ذلك وأصلب عوداً من خصومهم - مما يدل على أن بعض من عرف بظاهرة شتم الصحابة إنما صدر منه ذلك كعملية رد فعل لأفعال متعددة وسنمر على ذلك قريباً - إنهم مع اختلافهم مع الحكم لم يلجأوا إلى شتم أو بذاء لأنهم يعرفون أن الحقوق لا يوصل إليها بالشتم وليس الشتم من شيم الأبطال، والذى يريد أن يسجل ظلامه أو يشير إلى حق سلب فإن طرق ذلك ليس منها الشتم فى شىء، [صفحة ٣٧] وإنما هناك مناهج سليمة فى الوصول لذلك. وقد حرص أمير المؤمنين عليه السلام على تربية أتباعه على المنهج السليم ومن مواقفه فى ذلك ما رواه نصر بن مزاحم قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على بعض من كان فى جيشه بصفين فسمعهم يشتمون معاوية وأصحابه فقال لابن عدى ولعمر بن الحمق وغيرهما: كرهت لكم أن تكونوا لعانيين شتامين تشتمون وتبرأون ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم اللهم احقن دماءهم ودماءنا، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله منهم، ويرعوى عن الغي والعدوان منهم من لهج به لكان أحب إليّ وخيراً لكم فقالوا: يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك وتؤادب بأدبك [٣٩] إن هذا الموقف منه عليه السلام ليشعرهم أن الشتم وسيلة نابية وليست كريمة ثم هى بعد ذلك تنفيس عن طاقه يمكن الإستفادة منها بادخارها وصرفها فى عمل إيجابى يضاف لذلك أن الشتم مدعاة للإساءة لمقدسات الشاتم نفسه ومن هنا حرم الفقهاء شتم الصنم إذا أدى إلى شتم الله تعالى مستفيدين ذلك من قوله تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) ١٠٨/الأنعام. من أجل ذلك كله كان الشيعة أظهر ألسنة من أن يشتموا وأبعد عن هذا الموقف النبوى ولذلك رأينا كثيراً من الباحثين يؤكدون هذا الجانب فى حياة الرواد الأوائل من الشيعة مع أنهم يثبتون عقيدتهم بتقديم الإمام على عليه السلام ومن هؤلاء: أ - الدكتور أحمد أمين: يقول عن هؤلاء إنهم قسم المقتصد الذى يرى بأن أبا بكر وعمر وعثمان ومن شايعهم أخطأوا إذ رضوا أن يكونوا خلفاء مع علمهم بفضل علىّ وإنه خير منهم [٤٠]. [صفحة ٣٨] ب - ابن خلدون يقول: كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك وأسفوا له إلا أن القوم لرسوخ قدمهم فى الدين وحرصهم على الإلفة لم يزيدوا فى ذلك على النجوى بالتأفف والأسف [٤١]. ج - ابن حجر فى الإستيعاب: يقول فى ترجمة أبى الطفيل: عامر بن واثلة بن كنانة اللبثى أبو الطفيل أدرك من حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين وكان مولده عام أحد ومات سنة مائة ويقال: إنه آخر من رأى النبى، وقد روى نحو أربعة أحاديث وكان محباً لعليّ وكان من أصحابه فى مشاهدته وكان ثقة مأموناً يعترف بفضل الشيخين إلا أنه يقدم علياً إنتهى باختصار [٤٢]. وبعد هذه المقتطفات أود أن ألفت النظر أنى خلال مراجعاتى كتب التاريخ لم أر فى الفترة التى تمتد من بعد وفاة النبى حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد

إلى الشتم من أصحاب الإمام، وإنما هناك من قيم الخلفاء وقيم الإمام وحتى في أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحداً ممن تقدم الإمام بالخلافة يقول أبو الأسود الدؤلي: أَحَبَّ محمداً حباً شديداً++ وعباساً وحمزة والوصيا يقول الأزدلون بنو قشير++ طوال الدهر ما تنسى علياً أحبهم لحب الله حتى++ أجيء إذا بعثت على هوي بنو عم النبي وأقربوه++ أحب الناس كلهم إلينا فإن يك جهم رشداً أصبه++ ولست بمخطئ إن كان غياً [٤٣]. [صفحة ٣٩] يضاف لذلك أنه حتى في الفترة الثانية أى فى عهد الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة، أو التابعين: يقول ابن خلكان فى ترجمه يحيى بن يعمر: كان شيعياً من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم [٤٤]. [صفحة ٤٠]

الشيعة غير الروافض

من كان ذكرته يتضح أمر آخر وهو أن ما دأب عليه بعض الكتاب من رمى الشيعة بالرفض وتسميتهم بالروافض نشأ مؤخراً وبأسباب خاصة سنذكرها: إن هذا الزمن الذى نشأ فيه نعت الشيعة بالروافض هو فى أيام الأمويين، ولذلك جاءت النصوص تنعت الروافض بأنهم قسم من الشيعة لا الشيعة كما يريد البعض ومن تلك النصوص: ١ - محمد مرتضى الزبيدي فى تاج العروس قال: والروافض كل جند تركوا قائدهم والرافضة فرقة منهم، والرافضة أيضاً فرقة من الشيعة قال الأصمعي سموا بذلك لأنهم باعوا زيد بن علي ثم قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى وقال لا- كانا وزيرى جدى فتركوه ورفضوه وارضوا عنه [٤٥]. ٢ - إسماعيل بن حماد الجوهري قال فى الصحاح: عند مادة رفض مورداً نفس المضمون الذى ذكره الزبيدي فكأنه نسخة طبق الأصل [٤٦]. [صفحة ٤١] ٣ - القاضى عياض فرق القاضى عياض فى كتابه ترتيب المدارك فى أعلام مذهب مالك بين الشيعة والرافضة وذلك حينما قارن مذهب الإمام مالك بغيره فقال: فلم نر مذهباً من المذاهب غيره أسلم منه فإن فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة والشيعة إلا مذهب مالك فإننا ما سمعنا أحداً من نقله مذهبه قال بشيء من هذه البدع [٤٧]. ومن الواضح من هذه الجملة أن الرافضة غير الشيعة لمكان التباين الناتج من العطف. ومن هذا ومن غيره مما نقله أصحاب المقالات مما لا يخرج عن نفس المضمون يتضح أن اصطلاح الروافض مأخوذ بمعناه اللغوى فى أنه لكل جند رفضوا قائدهم، وتطبيقه على أصحاب زيد من باب تطبيق الكلى على أحد مصاديقه وإلى هنا فإن المسألة طبيعية. ولكن الذى يلفت النظر أن يكون أصحاب زيد طلبوا منه البراءة من الشيخين فإن ذلك محل تأمل طويل للأسباب التالية: ١ - إن هؤلاء الذين طلبوا البراءة لو كانوا شيعة فلا بد أنهم حريصون على نصر زيد وكسب المعركة ضرورة أن مصيرهم مرتبط بمصير زيد فإذا هزم فمعنى ذلك القضاء عليهم قضاء تاماً خصوصاً وأن خصومهم الأمويون الذين يقتلون على الظنة والتهمة كل من يميل إلى آل أبي طالب، فما الذى دفعهم إلى خلق هذه البلبلة التى أدت إلى انفضاض جند زيد عنه وبالتالي إلى خسارته للمعركة فموته شهيداً على أيدي الأمويين فلا بد أن يكون هؤلاء ليسوا من الشيعة وإنما هم جماعة مندسة أرادت إحداث البلبلة للقضاء على زيد واحتمال كسبه للمعركة. ٢ - وعلى فرض التنزل والقول بوجود فرقة خاصة من رأيها رفض الشيخين فما معنى سحب هذا اللقب على كل شيعى يوالى أهل البيت حتى أصبح هذا الأمر من المسلمات فوجدنا الإمام الشافعى يقول فى آياته الشهيرة: [صفحة ٤٢] يا ركباً قف بالمحصب من منى++ واهتف بقاعد جمعها والناهض سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى++ أيضاً كملتظم الفرات الفائض أعلمت أن التشيع مذهبي++ إنى أقول به ولست بناقض إن كان رفضاً حب آل محمد++ فليشهد الثقلان أنى رافضى البيت الأخير من هذه الآيات ذكره الزبيدي فى تاج العروس فى مادة رفض [٤٨] وباقيها فى ترجمه الشافعى بمختلف الكتب. إن تعبير الإمام الشافعى: إن كان رفضاً حب آل محمد يدل على أن هناك إرادة لسحب اللقب هو رافضى على كل شيعى مبالغه فى التشهير بهم وشحن المشاعر ضدهم مما سنلمح كثيراً من الأمثلة له، ومما يؤيد على أنها تتمشى مع تخطيط شامل يستهدف محاصرة التشيع والتشهير به وبكل وسيلة سليمة كان أم لا. ٣ - قد يقال إنه لا شك فى وجود جماعة شتامين للصحابة فما هو السبب فى كونهم من هذا الصنف فى حين تدعون أن الشتم لا تقره الشيعة ولا أئمتهم وللجواب على هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى مجموعة من الأسباب

تشكل فعلاً عنيفاً استوجب رد الفعل ومن هذه الأسباب ما يلي: أسباب الشتم أ- المطاردة والتنكيل المروع للشيعة وبالشيعة وما تعرضوا له من قتل وإبادة على الظنة والتهمه وفي أحسن الحالات الملاحقة لهم والمحاربة برزقهم ومنعهم عن عطائهم من بيت المال وفرض الضرائب عليهم وغزلهم اجتماعياً وسياسياً وبوسع القارئ الرجوع إلى التاريخ الأموي في الكوفة وغيرها من المدن الشيعية ليقف بنفسه على ما وصلت إليه الحالة وما انتهى إليه ولاة الأمويين من قسوة ومن هبوط [صفحة ٤٣] في الإنسانية إلى مستويات يتبرأ منها الوحش في العهدين الأموي والعباسي [٤٩] إن مثل هذا الإضطهاد يستلزم التنفيس عن الكبت فقد يكون هذا التنفيس في عمل إيجابي بشكل من الأشكال وأحياناً قد يكون سلبياً فيلجأ إلى هذا الشتم. ولسنا نبرر ذلك بحال من الأحوال لما سبق أن ذكرناه من أسباب. ب- إن الذي أسس هذه الظاهرة هم الأمويون أنفسهم لأنهم شتموا الإمام علياً عليه السلام على المنابر وشتموا أهل البيت لمدة ثمانين سنة واستمر هذا الوضع حتى أن محاولة الرجل الطيب عمر بن عبدالعزيز لم تنجح في منع الشتم وكانت كلمة الأمويين وبالذات معاوية أنهم إنما أسسوا شتمه ليدرج عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، فنشأت مقابل ذلك ردة الفعل. ومما عمق هذه الظاهرة: هو الإلتواء في معالجة هذه المشكلة من قبل بعض أعلام السنة. وعلى سبيل المثال نجد ابن تيمية يؤلف كتابه الصارم المسلول في كفر من شتم الرسول أو أحد أصحاب الرسول، ويحشد فيه الأدلة على كفر الشاتم ولكنه مع ذلك ومع علمه بما قام به معاوية والأمويون لا يقول بكفر الأمويين الذين قاموا بشتيم الإمام عليه السلام وأهله. إن علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ضحى بكل ذرة من كيانه في خدمة الإسلام والمسلمين فلماذا لا يكفر شاتمهم؟ وستسمع الجواب طبعاً بأنه تاب وغفر الله له وانتهى الأمر. وإليك مثلاً آخر: لقد تولى يزيد بن معاوية الحكم لمدة ثلاث سنوات قتل في سنة منها الحسين وأهل بيت رسول الله وسبى عيالهم وذبح أطفالهم وعمل فيهم أعمالاً لا تصدر من كسرى وقيصر. وفي سنة ثانية قتل عشرة آلاف من المسلمين وسبعمائتة من الصحابة حملة القرآن، واستباح المدينة ثلاثة أيام وسمح لجند أهل الشام أن يهتكوا أعراض المسلمات وذبح الأطفال حتى كان الجندي الشامي يأخذ الرضيع من ضرع أمه ويقذف به الجدار حتى ينتشر مخه على الجدار وأجبر الناس على بيعه يزيد على [صفحة ٤٤] أساس أنهم عبيد له، أخاف المدينة وروع الناس وأحال أرض المدينة المنورة إلى برك من الدماء وتلول من الأشلاء. وفي سنة ثالثة سلط المنجنيقات على الكعبة وهدمها وأحرقها وزعزع أركانها وجعل القتال داخل المسجد الحرام وسال الدم حتى في قاع الكعبة وقد استعرض ذلك مفصلاً كل من تاريخ الخميس للديار بكرى والطبري وابن الأثير والمسعودي في مروج الذهب وغيرهم من المؤرخين في أحداث سنة ستين حتى ثلاث وستين من الهجرة. ومع ذلك كله تجد كثيراً من أعلام السنة يخطئون من يخرج لقتال يزيد وأن الخارج عليه يحدث فتنه ووصل الأمر إلى حد تخطئه الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة فكأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة» ما كان يعلم بأنه يقاتل يزيد وحينما يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الحسين وأصحابه يدخلون الجنة بغير حساب» [٥٠] لم يأخذ في حسابه أنهم خارجون على يزيد اللهم اهد قومنا، وكأن ابن العربي المالكي أعرف بمصائر الأمور من النبي نفسه الذي يرسم للحسين مصيره ويأمره بتنفيذ ذلك، رأيت معي إلى أي مستوى من المهازل تصل الدنيا؟ وهذا الإمام الغزالي الذي سنقف قريباً معه وقفه قصيرة يقول وأمام عينيه عشرات من كتب السير والتاريخ التي تؤكد بالطرق الموثوقة بشاعة الأحداث التي تمت بأمر يزيد وبفعله المباشر لبعضها. يقول في باب اللعن من كتابه إحياء العلوم: فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين، أو أمر به، قلنا هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به مالم يثبت، فضلاً عن لعنه، لأنه لا- يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، إلى أن قال: فإن قيل: أن يقال «قاتل الحسين لعنه الله، أو الأمر بقتله لعنه الله» قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله [٥١]. [صفحة ٤٥] ربك أيها القارئ هل تملك أعصابك وأنت تسمع مثل هذا الكلام يصدر من مثل هذا الشخص؟. هل كل كتب السير والتاريخ عند المسلمين والتي نصت على صدور هذه الأحداث أمراً ومباشراً من يزيد كلها لا تثبت أفعال يزيد ولا تدينه؟! وعنده أن يزيد وأمثاله من قتلة الأنبياء وأبناء الأنبياء ممن يوفقون للتوبة؟! إن كل وسائل الإثبات لا تثبت إدانة يزيد عن الغزالي، ولكن يثبت عنده من طيف رء آه أنه رأى الله تعالى واجتمع به ووضع يده بيده وحادثه

وأفاض عليه من نوره [٥٢]. يقول صاحب مفتاح السعادة: إنَّ أبا بكر النساج أُلحد العزالي في قبره وخرج متغير اللون فسألوه عن ذلك فقال: رأيت يداً يمنى خرجت من تجاه القبلة وسمعت منادياً ينادى ضع يد محمد الغزالي في يد سيد المرسلين [٥٣] إنَّ أمثال هذه المواقف تثبت بوسائل إثبات من هذا النوع ولكن كتب التاريخ كلها لا تشكل وسلياً إثبات في إدانته يزيداً!... ويصل الأمر إلى رمي آل البيت بالشذوذ فضلاً عن عدم ترتيب الأثر على شتمهم فيقول ابن خلدون في المقدمة: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلها أصول واهية. يقول ذلك ونصب عينه أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في أهل بيته كما رواه ابن حجر في بصواعقه [٥٤] «في كل خلف من أمي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإنَّ أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فانظروا من توفدون» ونصب عينه أيضاً ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كما رواه الحاكم في المستدرک: «ومن أحبَّ أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة التي وعدني بها ربِّي [صفحة ٤٦] وهي جنّة الخلد فليتولَّ علياً وذريته من عبدى فإنهم لم يخرجوكم من هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة» [٥٥]. ومع ذلك كله فأهل البيت شاذون مبتدعون في نظر الشعوبى ابن خلدون إنَّي والله يعلم إذ أورد أمثال هذه المقاطع إنما أريد وضع اليد على الدملة التي أهلكتنا التها بها عبر السنين. إنَّ أمثال هذه المواقف إنما تعمق جذور الخلاف فيكون التنفيس عنا سلبياً أحياناً إنَّ كتاب المسلمين مسؤولون عن شجب هذه المواقف التي رحل واضعوها وبقيت مصدر بلاء على المسلمين. إنَّ مما يبعث على الإستغراب أن يسكت علماء وكتاب المسلمين على أقوال ابن خلدون وأمثاله مع قيام الأدلة على أن آل محمد هم الإمتداد المضمونى لمحمد صلى الله عليه وآله. بالإضافة إلى ذلك كله إنَّ السنن التي تروى عن طريق أهل البيت عليهم السلام لا يعمل بها بينما يعمل ببدع واستحسانات وردت عن طريق غيرهم خذ مثلاً مسألة الأذان الذي حذف منه فقرة حى على خير العمل من ثبوتها وأنها جزء من الأذان بطرق مختلفة يقول صاحب مبادئ الفقه في هذا الموضوع ما يلي: كيفية الأذان هي: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح، حى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. هذا هو الأذان الذى اتفق البصريون والكوفيون على كلماته، وتبعهما الشاميون والمصريون ومذهب الحجازيين والزيدية والمالكية إلى أن كلمة الله أكبر في أول الأذان مرتان لا أربع وعليه عمل أهل المدينة وأما «الصلاة خير من النوم» فليست من الأذان الشرعى: ففي تيسير الوصول عن مالك أنه بلغه أن المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: الصلاة خير من النوم فأمره عمر أن يجعلها نداء الصبح. ولذلك قال أبو حنيفة: هذه الجملة تزداد بعد إكمال [صفحة ٤٧] الأذان لأنها ليست من السنة. أما «حى على خير العمل» فمذاهب العترة أنها بين حى على الفلاح وبين الله أكبر، «دليلهم في ذلك من كتب السنة ما يلي: روى البيهقى في السنة أن علي بن الحسين زين العابدين كان يقول إذا قال حى على الفلاح حى على خير العمل ويقول هو الأذان الأول. وأورد في شرح التجريد مثل هذه الرواية عن ابن أبى شيبه ثم قال: وليس يجوز أن يحمل قوله «هو الأذان الأول» لا على أنه أذان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وزاد رواية أخرى عن ابن عمر: أنه بما زاد في أذانه حى على خير العمل، وأورد البيهقى هذه الرواية عن ابن عمر أيضاً. ونقل ابن الوزير عن المحب الطبرى الشافعى في كتابه إحكام الأحكام ما نصه: ذكر الحيعلة بحى على خير العمل عن صدقة بن يسار عن ابن أمامة سهل بن حنيف أنه كان إذا أذن قال: «حى على خير العمل» أخرجه سعيد بن منصور، وروى ابن حزم في كتاب الإجماع عن ابن عمر: أنه كان يقول «حى على خير العمل». وقال علاء الدين مغلطى الحنفى في كتاب التلويح شرح الجامع الصحيح: ما لفظه: وأما حى على خير العمل فذكر ابن حزم أنه صح عن عبدالله بن عمر وأبى أمامة سهل بن حنيف أنهما كانا يقولان في أذانهما «حى على خير العمل» وكان علي بن الحسين يفعلها وذكر سعد الدين التفتازانى في حاشيته على شرح العضدى على مختصر الأصول لابن الحاجب أن حى على خير العمل كان ثابتاً على عهد رسول الله وأن عمر هو الذى أصرَّ أن يكفَّ الناس عن ذلك مخافة أن يثبط الناس عن الجهاد ويتكلموا على الصلاة. وقال ابن حميد في توضيحه: وقد ذكر الرويانى أن للشافعى قولاً مشهوراً بالقول به: وقد قال

كثير من علماء المالكية وغيرهم من الحنفية والشافعية أنّ حى على خير العمل كان من ألفاظ الأذان. [صفحة ٤٨] قال الزركشى فى البحر المحيط: ومنها ما الخلاف فيه موجود كوجوده فى غيرها، وكان ابن عمر عميد أهل المدينة يرى افراد الأذان والقول فيه حى على خير العمل [٥٦] وبعد كل ما ذكرناه وما ورد فى هذا الفصل المدعوم بروايات صحيحة فى طرق أهل السنة فماذا يا ترى لا يعمل بما ورد عن آل محمد وبطريقهم من السنن الصحيحة مع أنّهم محال رحمة الله وبيوتهم مهابط وحيه وصدورهم عيبة علم النبى ألا يبعث هذا على الدهشة؟ فى حين نرى من غيرهم أحكاماً لا تلتقى بحال من الأحوال مع المدارك السليمة ومع ذلك يؤخذ بها وتعتبر مدركاً من المدارك فعلى ماذا تحمل هذه الأمور إن لم تحمل والعياذ بالله على البعد عن آل محمد وهم عدل الكتاب بنص النبى عليه السلام خذ مثلاً: ما ذهب إليه بعض فقهاء السنة من أن الإنسان إذا ترك الصلاة عمداً لا يجب عليه قضاؤها اما اذا تركها نسياناً فيجب عليه قضاؤها [٥٧] واعتقد ان ذلك يخرج على رأى من يقول أن الكافر لا يكلف بالفروع، وحيث ان التارك عمداً يمكن ان يكون تركه لها لعدم الإيمان بها اساساً فهو كافر ومهما يكن فان هذا من الفروع البعيدة عن روح الأحكام الصحيحة. [صفحة ٥١]

فارسية التشيع

هذا الموضوع من المواضيع التى كثر الحديث حولها وهى فى واقعها تكون جزءاً من محاصرة التشيع كما سبق أن ألمعت لذلك. إنّ خصوم الشيعة ومن تبعهم من المستشرقين وكل يضرب على وتر يستهدفه، جعلوا هذه القضية من الأمور المسلمة وضلع تلامذتهم فى ركابهم وحشدوا كل وسائلهم لترسيخها فى الأذهان فما تركوا وسيلة لإثبات أنّ التشيع فارسى شكلاً ومضموناً إلا وأخذوا بها مع تفاهة هذا المدعى كما سنرى ومع أنّه من قبيل رمتنى بدائها وانسلت والغريب أنّ هذه الفرية تعيش للآن مع وضوح الرؤية وانتشار المعارف وانكشاف الحقائق وسأبحث هذا الموضوع مفصلاً نظراً لأهميته. إنّ التشيع فى معناه اللغوى: المناصرة والموالاة، وبالمعنى الإصطلاحى هو الاعتقاد بأفكار معينة يشكل مجموعها مضمون التشيع، فكيف والحالة هذه أن ننصّر كون التشيع فارسياً؟ وحتى نستوعب النقاط المتصورة فى هذا الموضوع لا بد من شرح أمور ننتهى معها إلى مقدار ما فى هذا الإدعاء من نسبة علمية أو تهريج فلا بد من ذكر أمور: أولاً: إنّ المضمون الفكرى للتشيع هو نفس المضمون الإسلامى، وأى مضمون يشذ عن المضمون الإسلامى فى العقيدة والأحكام فالشيعة منه براء [صفحة ٥٢] بدليل أنّ مصادر التشريع عند الشيعة هى أربعة أذكرها لك على التوالى: أ - الكتاب الكريم: وهو ما أنزل بمضامينه وألفاظه وأسلوبه واعتبر قرآناً وهو هذا المجموع بين الدفتين المتداول بأيدى المسلمين المنزه عن النقص والتحريف والذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه والمتواتر بكلماته وحروفه بالتواتر القطعى من عهد النبوة حتى يومنا هذا وقد جمع على عهد النبى بوضعه الحالى وكان جبرئيل يعرضه على النبى صلى الله عليه وآله وسلّم كل عام [٥٨]. ب - السنة الشريفة: وهى قول المعصوم وفعله وتقريره الواصلة إلينا بالطريق الصحيح عن الثقات العدول، والتى لا يتم لنا الوصول إلى ملاسبات الأحكام بدونها والتى جاء دليل حجيتها من القرآن الكريم بقوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فتنهوا) ١/٧ الحشر. ج - الإجماع: الذى يكشف ضمناً عن قول المعصوم سواء قل المجمعون أم كثروا وسواء كان دليلاً مستقلاً مقابل الكتاب والسنة والعقل أم أنّه طريق وحاك عن رأى المعصوم، وأدلة حجيته مفصلة فى الكتاب والسنة والعقل. د - دليل العقل: ويرجع إليه وإلى قواعده عند فقدان النصوص أو تعارض الأدلة فى تفصيل لا داعى لشرحه هنا: وملخصه: هو إدراك العقل بما هو عقل للحسن والقيح فى بعض الأفعال الملازم لإدراكه تطابق العقلاء عليه وذلك ناتج من تأدب العقل بذلك وبما أن الشارع سيد العقلاء فقد حصل إدراك حكم الشارع قطعاً وليس [صفحة ٥٣] وراء القطع حجة. ونظراً لأهمية التعرف على تفصيل هذه المصادر فإنى أحيل من يريد التوسع فى فهمها واستيعاب معانيها إلى مجموعة من المصادر هى التالية: [٥٩]. إن هذه المصادر التشريعية هى المكونات العضوية لهيكل الشريعة الاسلامية باتفاق جمهور المسلمين على اختلاف بسيط فى بعض تفاصيلها ولما كانت هى مصادر التشريع عند الإمامية فما معنى وصف التشيع بالفارسية. إذا كان الباحثون فى التشيع يقصدون من الفارسية مضمون التشيع الفكرى. وهذا ما أستبعده فإنه لا

يمكن أن يقول به قائل، إذ لا يتصور أن إنساناً يفترض لأحكام شرعية نوعاً من العرقية، وعليه فلا بد من استبعاد هذا الفرض من فارسية التشيع والرجوع إلى فروض أخرى في هذا الموضوع يفترضها الباحثون. هناك فرض آخر لتصور فارسية التشيع: هو أن هناك مفاهيم معينة بالحضارة الفارسية انتقلت إلى التشيع بمعناه الإصطلاحى عن طريق من اعتنق التشيع من الفرس ولم يستوعب التشيع كل أبعادهم فجاء من تصور هذه المعتقدات جزءاً من ماهية التشيع. وبقيت هكذا يتداولها خلف عن سلف. وهذا الفرض قد صرح به أكثر من باحث كما سأذكره لك بعد قليل. وفيما يخص هذه الصورة وهذا الفرض لا بد من الإشارة لأمر: تعقيب أ - إن هذا الإشكال بناءً على فرض حدوث مضمونه، فإنه يرد على المضمون الإسلامى نفسه حيث نص على ذلك معظم من كتب فى الحضارة [صفحة ٥٤] الإسلاميه وخصوصاً فى الفترة الأولى من العهود الإسلاميه والتي شكلت مضامين العقيدة فيها جدولاً انصب فيه أكثر من رافد ورافد عن طريق الأمم التي اعتنقت الإسلام جماعات منها ودخلت وهي تحمل أفكارها وعقائدها التي لم تتخلص منها وظهرت في الأفكار والسلوك كجماعات الروم والفرس والصينيين والعبريين ولعل اليهود أكثر الجماعات تأثيراً في الحضارة الإسلاميه حيث تبدو روحهم واضحة في هذه الميادين. وذلك لأنهم استأثروا بالتفسير بالقصص الديني لأنهم أهل كتاب وفيهم كثير من الأخبار الذين يحفظون أحكام التوراة وقصص الأمم التي حفظتها الحضارة العبرية والأساطير التي رافقت تلك القصص، ولما كانت الجزيرة العربية فقيرة إلى الأفكار الدينية والمضامين الثقافية لعب الفكر اليهودي دوراً هاماً في ملء هذا الفراغ وخصوصاً في الفكر السنن الذي حاول أن يتخلص من هذا الرداء ويخلعه على الشيعة عن طريق الشخصية الوهميه عبدالله بن سبأ كما سنبرهن لك وهميه هذه الشخصية قريباً. ولكن حقائق الأمور والبحث الدقيق يثبت عكس ما ادعاه هؤلاء القوم وما نسبوه للشيعة. أجل إن آراء اليهود انتقلت إلى الفكر الإسلامى عن طريق كعب الأخبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام وغيرهم وأخذت مكانها في كتب التفسير والحديث والتاريخ وتركت بصماتها على كثير من بنود الشريعة. إن بوسع أى باحث الوقوف على ذلك في كتب كثيرة مثل تاريخ الطبرى، وتفسيره جامع البيان، وفي كتاب البخارى وغيره من المؤلفات مما سنشير إلى مصادره عند ذكره. وستجد فصلاً ممتعاً في تعليل العداوة بين الإنسان والحيه يذكره الطبرى في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه وذلك عند تفسيره للآيه السادسة والثلاثين من سورة البقره وهى قوله تعالى: (قلنا اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو) الخ، يقول الطبرى وأحسب أن الحرب التي بيننا - أى نحن والحيات - كان أصله ما ذكره علماؤنا الذين قدمنا الروايه عنهم في إدخالهن - يعنى الحيات - إبليس الجنه بعد أن أخرجه الله منها، ويستمر في سرد أفكار عجيبيه يستحسن أن يقرأها من [صفحة ٥٥] يريد الفائدة من تفسيره [٦٠] ويقول الطبرى في تاريخه عند شرح الذبح العظيم الذى فدى به إبراهيم ولده إسماعيل بأمر الله تعالى: ان الكبش الذى ذبحه إبراهيم هو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه [٦١]. وينقل في تاريخه قصصاً تلمس عليها الروح اليهودى واضحاً ومن ذلك ما ذكره فقال: تزوج اسحق امراه فحملت بغلامين فى بطن واحد فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان فى بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لأعرضن فى بطن أمى ولأقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله وأخذ يعقوب بعقبه فمسى عيص عيصاً لأنه عصى وسمى يعقوب يعقوباً لأنه خرج بعقب عيص، وكبر الغلامان وكان عيص أحب إلى أبيه ويعقوب أحب إلى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما عمى إسحق قال لعيص أطعمنى لحم صيد واقرب منى حتى أدعولك، وكان عيص أشعر - أى كثير الشعر - ويعقوب أجرد فخرج عيص يتصيد وقالت أمه لإسحق إذبح كبشاً ثم اشوه والبس جلده وقدمه لأبيك كى يدعوك لك فلما مسه قال من أنت؟ قال: عيص، فقال: المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت أمه: هو ابنك عيص فادعوك له الخ [٦٢] ولست أدري كيف كان يعقوب لا يعرف أصوات أولاده وكيف تطلب الأم البركه من دعوات إسحق وهى تكذب وكيف يكذب أبناؤها وأى بيت نبي هذا البيت الذى يكون أعضاؤه من هذا النوع، ثم أى اسم مشتق مثل يعقوب أو إسحق أو عيص لا - يصلح لأن يشتق منه أمثال هذه الخزعبلات وهذا الهراء والسخف. وأما الإمام البخارى فإنك تلمس الروح الإسرائيلى فى كثير من رواياته [صفحة ٥٦] وإليك نماذج من تلك الروايات التي يتضح فيها هذا الروح: يقول البخارى بسنده عن أبى هريره: ما من بنى آدم مولود يولد الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها [٦٣] وما أدري

إذا كان هذا فضيلة فلم حرم منها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد الأنبياء وإذا لم يكن ذلك فضيلة فما قيمة ذكرها، وما ذنب الأنبياء الباقين يمسهم الشيطان. ويقول البخارى بسنده عن عائشة أم المؤمنين: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سحر حتى كان يخيل إليه أنه كان فعل الشيء ولا يفعله [٦٤]. ويروى البخارى قصة موسى حين نزل إليه ملك الموت لقبض روحه فصكه موسى على عينه حتى فقأها إلى أن قال: قال الله تعالى لملك الموت ارجع إليه وقل له ليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة غطتها يده عمر سنة الخ [٦٥]. وفي الواقع إن هذه العملية طريفة فإن الشعر الذى يغطيه الكف ربما يصل إلى خمسة آلاف شعرة، وعمر نبي الله موسى معروف فإما أن نكذب الرواية أو نكذب التاريخ. وذكر البخارى بسنده عن أم المؤمنين عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي إلى أن قال لى: يا عائشة إن الله أفتانى فى أمر استفتيته فيه أتانى رجلان فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال الذى عند رجلى للآخر ما بال الرجل؟ قال: مطبوب - أى مسحور - قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم الخ أن ذهب عنه أثر السحر بعد مدة [٦٦]. ومعنى هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصيب بفقدان الذاكرة أو بالفصام وما أدرى ما هو حال الوحي خلال هذه المدة فإذا جاز أن يصاب النبي بمثل هذا [صفحة ٥٧] المرض فما هو مقدار الثقة بالوحي وعلى كل تبقى مسؤولية الرواية على عاتق أم المؤمنين والبخارى، ولقد حفل كتاب البخارى بمثل هذا اللون من الفكر اليهودى وذلك من قبيل ما ذكره فى كتاب الإستئذان باب بدء السلام قال: بإسناده عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله آدم على صورته - الضمير يعود لله تعالى إذ لا معنى لعوده لآدم قبل أن يخلق آدم وتعرف صورته - طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال: إذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحيه ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقصون حتى الآن [٦٧] إلى أمثال ذلك من هذه الروايات العبقريه، ومع هذا اللون من الفكر الغريب عن روح الإسلام للزومه التجسيم والهرطقة فما وجدنا من ينبر حملة هذا الفكر بالخروج عن الإسلام أو باليهودية لنقلهم هذا الفكر الإسرائيلى إلى الإسلام أما إذا قدر أن شخصاً تشيع وحمل معه شيئاً من أفكاره للتشيع تحول التشيع فوراً إلى يهودية أو نصرانية مع أن تبعه كل فكر تقع على حامله وقد أسلفنا أن كل ما يناهى الإسلام يباه التشيع جملة وتفصيلاً. وعلى تقدير أن هناك مجموعة من الأفكار نقلها الفرس الذين تشيعوا معهم للفكر الشيعى: كالقول بالحق الإلهى الذى يقول به الفرس بالنسبة لملوكهم ويقول به الشيعة بالنسبة لأئمتهم - مع وجود فوارق بين الأمرين - وحتى أى مفهوم يحصل به التقاء بين الفكرين كما يصوره البعض فإن ذلك لا يوجد قدحاً فى العقيدة ما دامت الأصول التى يتحقق معها عنوان الإسلام محفوظة عند الشيعة بحيث إذا وجدت كان الإنسان مسلماً باعتبارها ونحن نعلم أن الأصول التى تحدد إسلام المسلم هى ما حدده النبي نفسه كما فى صحيح البخارى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله فى ذمته، كما أخرج البخارى عن [صفحة ٥٨] على عليه السلام، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر على ماذا أقاتل الناس؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم [٦٨]. وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة من الناس [٦٩] فصفه الإسلام ثابتة لمن قال الشهادتين سواء اعتقد أن الإمامة نص من الله تعالى فهى حق إلهى، أو بالشورى فهى حق للجماعة يضعونه حيث تتوفر المؤهلات، حتى لو لم يكن لمعتقد الإمامة بالنص شبهه من دليل بل لو ذهب إلى أبعد من ذلك فابتدع وكان من أهل البدع فإن علماء المسلمين لا ينزونه ولا يكفرونه. فقد عقد ابن حزم فصلاً مطولاً فى كتابه الفصل فى باب من يكفر أو لا يكفر وقد قال فى ذلك الفصل: ذهب طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد أو فعل، وأن كل من اجتهد فى شىء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران وإن أخطأ فأجر واحد وهذا قول ابن أبى ليلى وأبى حنيفة والشافعى وسفيان الثورى وداود بن على وهو قول كل من عرفنا له قولاً فى هذه المسألة من الصحابة لا نعلم خلافاً فى ذلك أصلاً

[٧٠]. ويروي أحمد بن زاهر السرخسى وهو من أصحاب الإمام أبي الحسن الأشعري وقد توفى الأشعري بداره وقال: أمرنى الأشعري بجمع أصحابه فجمعهم له فقال اشهدوا علىّ أنى لا- أكفر أحداً من أهل القبلة بذنبي لأنى رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد والإسلام يشملهم ويعمهم [٧١]. وبعد ذلك كله فما هو وجه ربط التشيع باليهودية لأن فيه أفكاراً فارسية أو [صفحة ٥٩] نعتة بأنه أثر فارسى إذا كان هناك بضعة أفكار نقلها معه بعض من أسلم منهم ودان بها وهى لاتعدى رأياً أخذ به بشبهه من دليل أو حتى ببدعه كما مر عليك وقد عرفت آراء العلماء فى ذلك. إن هذا التهور على المسلمين والتهريج عليهم من خطل الرأى وسنوقفك عن قريب على مصادر ما ذهب إليه الشيعة من الكتاب والسنة وإن حسبه البعض أنه اقتباس من الفرس أما لقله اطلاع أو لسوء قصد والله من وراء القصد. ج- إن هذه الدعوى المقلوبة وهى فارسية التشيع سنوقفك قريباً على إثبات عكسها وأقول على فرض صحتها فما هو البأس فى ذلك إذا كان الفارسى مسلماً ونحن نتكلم بلغة الإسلام طبعاً وشعارنا (يا أيها الناس إنا خلقناكم ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ١٣/ الحجرات. فلماذا هذا الموقف وكيف ينسجم مع روح الإسلام ولو كان تتكلم من منطلق قومى فإن لغة أخرى ستكون لنا حيثئذ ولا يكون لنا أى مناقشة مع المتكلم بها هذا مع أن العقل والمنطق القومى السليم يحتم احترام القوميات الأخرى إذا أراد احترام قوميته وما أروع كلمة الإمام الصادق عليه السلام فى هذا المقام إذ يقول: ليس من العصبية أن تحب قومك ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيراً من خيار غيرهم، إن لغة الإسلام لا تفرق بين جنس وجنس فلا يعتبر مسلماً من يتكلم بهذه اللغة، أما إذا كان له دوافع وراء هذه اللغة غير إسلامية فلا تخفى على القارئ الفطن إن من يعتبر الناس مغفلين لهو المغفل الأكبر وسنرى عن قريب الدوافع من وراء هذه المزاعم. هناك فرض آخر فى تصور فارسية التشيع وهو أن كل أو غالبية الشيعة فرس وقد طغت أفكارهم الفارسية على التشيع حتى غطته وربما أدت إلى الإصطدام مع الشريعة الإسلامية لمخالفة تلك العقائد للإسلام هذا الفرض صرح به بعضهم [صفحة ٦٠] كما ستقرأه مع ما نعرضه من آراء فى هذا الموضوع - وسترى أن هذا الرأى باطل ويعلم بطلان ذلك كل من له إلمام بتاريخ المسلمين وعقائدهم وبطلانه للأسباب التالية: أ- إن عقائد الشيعة تحفل بها مئات الكتب والمراجع وهى ميسورة تحت أيدى الباحثين والكتّاب فى كل مكتبات العالم، وإن عقائد الشيعة مصدرها الكتاب والسنة وفقه الشيعة مصدره الكتاب والسنة والإجماع والعقل كما مر علينا وأشرنا إلى الكتب التى تشرح ذلك مفصلاً ونضيف إليها كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد وعقائد الصدوق والدرر والغرر للسيد المرتضى وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، ومن كتب الأخبار والأحاديث الكتب الأربعة وهى الأصول المعتمدة عند الشيعة بالجملة وهى من لا يحضره الفقيه للصدوق، والكافى أصولاً وفروعاً لمحمد بن يعقوب الكلىنى والتهذيب والإستبصار للشيخ الطوسى، مع ملاحظة أن ليس كل ما فيها معتمداً عندنا ولكل روايته حساب ولذلك قلت إنها معتمدة بالجملة وقد تعرضت كتب التقارير لنقد كثير من مضامين الكتب المذكورة. ب- إن الفرس لا يكونون إلا جزءاً قليلاً من ناحية الكم الشيعى فالتشيع منتشر عند العرب والهنود والترك والأفغان والكرد والصينيين والتبتيين والخ ويشكل الفرس جزءاً من الشيعة ليس كما يصوره البعض عن سوء فهم أو سوء نية. ج- إن بذرة التشيع نشأت فى مهد العرب فى الجزيرة العربية وإن الرواد الأوائل للتشيع يشكلون مؤشراً واضحاً فى ذلك، وما كان من غير العرب فى الرواد الأوائل من الشيعة عدى واحداً هو سلمان المحمدي كما سماه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان فارساً. وقد ذكرنا الطبقة الأولى من الشيعة الذين تتوزع وشائجهم على مختلف البطون والقبائل العربية، وأنت إذا تتبعت الطبقة الثانية والثالثة من الشيعة فسوف تجدهم عرباً فى الأعم الأغلب ولا أريد الإطالة فى هذا المورد [صفحة ٦١] فذلك مكانه من كتب السير والتراجم، وسيرد فى نهاية هذا الفصل ما يثبت دعوانا من آراء الباحثين والمنقبين. ومع ما أسلفناه من كلام فما هو وجه نسبة التشيع للفارسية والذى أصبح يرسل عند بعضهم إرسال المسلمات كأنه من الأمور المفروغ منها. ولأجل أن نستوعب الموضوع سنضطر إلى الخوض فى جوانب متنوعة ونستعرض آراء كثيرة وما بررت به هذه الآراء صحة هذه النسبة للتشيع وهى لا تختلف فى مستواها من العلم عن أصل صحة هذه النسبة ولا أشك أنك ستضحك كثيراً عندما تقرأ هذه الأسباب ويأخذك العجب كيف أن مثل هؤلاء الباحثين وهم على منزلة من العلم والتحقيق لا يستهان بها: يقتنعون بوجهة هذه الأسباب فضلاً

عن أنهم يسوقونها لإقناع غيرهم لولا الهوى والعصبيّة أعادنا الله تعالى وإياك منها، ولولا الأسر الذي يقع فيه من نشاء على عقيدته ولا يسمح للضوء أن يسلط على عقيدته ومسبقاته حتى يرى منها ما كان ناتجاً من مجرد تقليد أعمى ويصطدم بالمقاييس الصحيحة فينبذه وما كان على أرض صلبة ويلتزم مع قواعد الشرع فيتمسك به. [صفحة ٦٢]

اقوال الباحثين في فارسية التشيع

إن نسبة التشيع الى الفارسية نشأت في عصور متأخرة ولأسباب وظروف سياسية خاصة أهمها: أن الفرس لما كانوا ولأسباب سنشرحها غير مرغوبين من قبل العرب ولما كان الشيعة فئة معارضة للحكم طيلة العهود الثلاثة الصدر الأول والأموي والعباسي، وكوجه من وجوه محاصرة التشيع أرادوا رمى التشيع بما هو مكروه عند العرب وهذه الدعوى هي واحدة من مجموعة دعاوى سترد علينا ولا تتعدى هذا الهدف بل هي جزء من المخطط. أما الأسباب التي أدت إلى النفرة بين القوميتين العربية والفارسية فهي: ١- أن الفرس ما كانوا يفرقون بين الإسلام والعروبة وحيث أن الإسلام قضى على دولتهم واجتاحهم فإنهم بعد إسلامهم كانوا ينزعون لا سترداد مجدهم بأسلوبين أحدهما سليم وإيجابي والآخر سلبي حتى إذا جاء دور الأمويين استعان الحكام بهم لتنظيم شؤون الدولة نظراً لخلفتهم الحضارية وللإستعانة بهم أحياناً لدعم جناح مقابل جناح، ولا ستيلاء جماعة منهم على مناصب هامة في العهدين مما مكنهم من فرض نفوذهم كل ذلك أدى إلى احتكاك شديد بين العرب والفرس، إذ رأى العرب أنهم حملة الإسلام والسبب في هداية الأمم وهم العمد الذي قام الإسلام عليه فلماذا يزاحمهم غيرهم، ويقدم عليهم ويلمع نجمه ويحتل مناصب كبيرة، ورأى الفرس أنهم أبناء حضارة عريقة وأنهم أكثر علماً ودراية بسياسة العرب وإدارة شؤون الحكم فلماذا يقدم عليهم من لا يملك هذه [صفحة ٦٣] المؤهلات. فأدى ذلك كله للإحتكاك ونجمت عنه ظاهرة الشعبوية وترك خزيناً كبيراً من الحقد في تاريخ القوميتين كما أدى إلى مواقف سلبية متبادلة. ٢- أن فتح الثغرة التي دخل منها الفرس أدى إلى دخول عناصر غير عربية أخرى مثل الترك وغيرهم مما كان له بعد ذلك آثاره السلبية الفظيعة وقد عصب كسر النطاق هذا بالفرس لأنهم أول من فتح هذا الباب وأدى إلى تدمير الخلافة بعد ذلك. ٣- لعب الإستعمار دوراً بارزاً فيما خلقه من النفخ بالأبواق التي يحسن صنعها وذلك لتحقيق مصالحه عن طريق فتح أمثال هذه الفجوات واختلاف خصائص للجنسين زعم أنها تصطدم مع بعضها وآراء لا تتلاقى وتأثر بهذه الآراء فريق من هؤلاء وفريق من هؤلاء ممن عاش على موائد المستشرقين ولم يتفطن إلى أهدافهم وغرته الصبغة العلمية الظاهرية في أمثال هذه المزاعم فنسج على منوال هؤلاء وكان صدى لهم وسلاحاً بأيدي هؤلاء لضرب أبناء دينه ولهدم عقيدته حتى خلقت من ذلك تركة كبيرة تحتاج إلى جهد كبير لإزالة هذا التراكم. إن أسباب الكره استغلت لينتزع منها كما ذكرت سبباً من الأسباب التي تبغض التشيع وتنفر النفوس منه. ولذلك لا نرى هذه التهمة عند أوائل السنة وأسلافهم فيما قدموه من قوائم الأسباب التي ينعت بها التشيع لأن أسبابها لم تكن قائمة آنذاك. ومن الغريب أن الألسن السليطة التي تشتم الشيعة هي ألسنة السنة الفرس كما سيرد ذلك قريباً. إن أصحاب الغرض الأصلي في الضرب على هذا الوتر كثيرون ومن أكثرهم حماساً في ذلك المستشرقون وتلاميذهم حيث يستهدف المستشرقون مصالح لا تخفى ويضرب تلاميذهم على نفس الطبول ولمختلف الغايات والأهداف وبالإضافة إلى من يهتز على هذا الإيقاع وإليك آراء بعضهم: [صفحة ٦٤]

١- المستشرق دوزي: لقد قرر المستشرق دوزي أن أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية وذلك لأن العرب تدين بالحرية والفرس تدين بالملك والوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولداً فعلى أولى بالخلافة من بعده [٧٢]. ٢- المستشرق فان فلوتن: ذهب هذا المستشرق إلى نفس الرأي في كتابه سيادة العربية ولكنّه رجح أخذ الشيعة من آراء اليهود أكثر من أخذهم من رأى الفرس ومبادئهم [٧٣]. ٣- المستشرق براون: قال إنّه لم تعتق نظرية الحق الإلهي بقوة كما اعتنقت في فارس ولمح إلى أخذ الشيعة منهم [٧٤]. ٤- المستشرق ولهوزن: إن هذا المستشرق أشار إلى فارسية قسم كبير من الشيعة ضمناً حيث ذكر أن أكثر من نصف سكان الكوفة من الموالى ولما كان معظمهم شيعة فقسم كبير منهم من الفرس

[٧٥]. ٥- المستشرق بروكلمان: الذي يقول وحزب الشيعة الذي أصبح فيما بعد ملتقى جميع النزعات المناوئة للعرب واليوم لا يزال ضريح الحسين في كربلا أقدس محجة عند الشيعة وبخاصة الفرس الذين ما برحوا يعتبرون الثواء الأخير في جواره غاية ما يطمعون [صفحة ٦٥] فيه [٧٦] وبالجملة فإن مراجعة أى بحث للمستشرقين فى هذا الموضوع يظهر منه أن كثيراً منهم يذهبون إلى هذا الرأى ولأسباب لا تخفى. وقد ربطوا بفارسية التشيع أثراً آخر يكون بمثابة النتيجة للسبب وذلك الأثر هو أنه لما كان أكثر الفرس شيعة وكانوا يسمون بالموالى وحيث أنهم يرون أن العرب انتزعوا دولتهم منهم ولما كانت الدولة الأموية يتجسد فيها المظهر العربى فقد زحف عليها الموالى وأسقطوها وأعلنوا بدلها دولة العباسيين التى دعمت الفرس والتى زحف معها بالتالى الفكر الشيعى فتغلغل أيام العباسيين، وأنت واجد هذه الأفكار عند معظم من كتب فى العصور الإسلامية وخصوصاً الكتّاب المصريين ويتلخص من هذه المقتطفة ثلاثة أمور: ١- تصوير الزحف الذى جاء من خراسان للقضاء على الدولة الأموية بأنه زحف دوافعه قومية وليست دوافع اجتماعية أو إنسانية وقد اجتمعت فيه أكثر من قومية واحدة وبذلك يطمس الهدف الاجتماعى الذى كان من وراء تلك الحملة. ٢- أن العنصر الرئيسى فى الحملة والفاعل هم الفرس وبذلك تكون الحملة إنتقامية تستهدف إعادة مجد الفرس الذى قضى عليه العرب، وبذلك يطمس الدور الرئيسى الذى قام به العرب فى الحملة وتولوا فيه القيادة. ٣- أن الفكر الشيعى زحف بزحف هؤلاء وانتصر فى العهد العباسى؛ إن كل هذه الأمور غير مسلم بها ولم تقم على واقع بل هى تغطية فى محاولة مكشوفة. [صفحة ٦٦] تعقيب على الأقوال أما الزعم الأول: فيبطله أن القادة الذين قادوا الحملة إنما قادوها لتخليص الناس من جور الأمويين وبإمكان أى قارئ أن يستبين الحقيقة باستقراء أحوال الحكم الأموى الذى سايره الجور والظلم من أيامه الأولى حتى سقط أيام مروان بن محمد آخر حكام الأمويين ومن الخطأ أن نورد شاهداً أو شاهدين للتدليل على ذلك محاولة إضاح الظلم والجور فإن كل أيامهم كانت مليئة بالظلم والجور وإتى لأحيل القارئ إلى تتبع التاريخ من أيام معاوية الأول حتى نهاية الدولة وفى كتب كل المسلمين لا الشيعة وحدهم وربما يقال إن الشيعة خصوم الأمويين وهم يحقدون عليهم وهذه كتب الطبرى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون وما شئت فخذ لترى إلى أين وصلت الحالة حتى بلغ الأمر حداً يوجزه أحد الشعراء بقوله: واحربا يا آل حرب منكم ++ يا آل حرب منكم واحربا منكم وفيكم وإليكم وبكم ++ ما لو شرحناه فضحنا الكتبا وأما الزعم الثانى: فيبطله أن قادة الحملة ووجوهها هم العرب وقد أفاض فى ذلك الجاحظ برسالته المسماة مناقب الأتراك، وقد ذكر من قادة الحملة، قحطبة بن شبيب الطائى، وسليمان بن كثير الخزاعى، ومالك بن الهيثم الخزاعى، وخالد بن إبراهيم الذهلى، ولاهز بن طريف المزنى، وموسى بن كعب المزنى، والقاسم ابن مجاشع المزنى، كما نص المؤرخون على أسماء القبائل العربية التى كانت مقيمة فى خراسان والتى كونت الزحف فى معظمه وهم خزاعة وتميم، وطى، وربيعه، ومزينة وغيرها من القبائل العربية وللتوسع فى معرفة أسماء القادة والقبائل العربية التى جاءت فى الحملة للقضاء على الحكم الأموى يراجع كتاب ابن الفوطى مؤرخ العراق لمحمد رضا الشيبى فقد توسع فى إيراد النصوص التاريخية من [صفحة ٦٧] أمهات الكتب وشرح أهداف الحملة ونوعية الجيش والأقطاب الذين اشتركوا بالحملة وبالجملة بكل ملاسبات الموضوع [٧٧]. والشق الثانى الوارد فى الزعم وهو أن العناصر غير العربية أرادت الإنتقام لأنها كانت محرومة من الإشراف بالمناصب فهو بالجملة غير صحيح لأن كثيراً من العناصر الأجنبية والموالى شغلوا مناصب كبيرة فى العهد الأموى على امتداد هذا العهد ولم يكن وضعهم أيام العباسيين يختلف كثيراً عن وضعهم أيام الأمويين وقد أشار لذلك الدكتور أحمد أمين بقوله: فسلطة العنصر الفارسى كانت تنمو فى الحكم الأموى وعلى الأخص فى آخر ولو لم يتح لها فرصة الدولة العباسية لأتحت فرص أخرى مختلفه الأشكال [٧٨]. لقد تولى جماعة من غير العرب مناصب هامة ومنهم سرجون بن منصور كان مستشاراً لمعاوية ورئيس ديوان الرسائل ورئيس ديوان الخراج، ومرداس مولى زياد كان رئيس ديوان الرسائل، وزادا نفروخ كان رئيس خراج العراق، ومحمد بن يزيد مولى الأنصار كان والياً على مصر من قبل عمر بن عبدالعزيز، وي زيد بن مسلم مولى ثقيف كان والياً على مصر، وكان منه القضاء والولاية ورؤساء دواوين الخراج وقد تغلغلوا فى أبعاد الدولة وشعبها بصورة واسعة [٧٩]. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إن وضع العرب لم يكن يستأثر باهتمام الأمويين إلا بمقدار

ما يحقق مصالح الأمويين أنفسهم فإذا اقتضت مصالحهم أن يضرىوا العرب بعضهم ببعض فعلوا كما حدث ذلك أكثر من مرة فى حكم الأمويين فراجع [٨٠] وقد تعرض الدكتور أحمد أمين إلى ذلك وشرحه مفصلاً وبين كيف كان العرب يضرب بعضهم بعضاً إذا اقتضى الأمر ذلك فراجع [٨١]. [صفحة ٦٨] وأما الزعم الثالث: وهو انتشار الفكر الشيعى عن طريق الموالى وتعاضم نفوذهم وامتداده تبعاً لذلك فيكذبه أن هذا المضمون بجملته غير صحيح فقد نكب الفرس أيام العباسيين وضرب نفوذهم أكثر من مرة، ومن أمثلة ذلك القضاء على أبى مسلم وأتباعه أيام المنصور والقضاء على البرامكة أيام الرشيد، والقضاء على آل سهل أيام المأمون وهكذا، يبقى أن الموالى لمعوا فى ميادين أخرى فذلك صحيح بالجمله، وتصور نفوذ الفرس إنما هو من أيام السفاح حتى أيام المأمون وهى كما ترى لا تثبت للفرس والموالى نفوذاً خارج دائرة العباسيين وإنما ضمن دائرتهم بحيث يستطيعون احتواءهم فى أى وقت. أما الفترة التى تبدأ من عصر المتوكل حتى نهاية الحكم العباسى فإن الحكم العباسى ضعف نفوذه حتى انقض عليه حكام الأطراف. ولا يعنى ذلك استشراء نفوذ الفرس فقط بل هو شأن الكيان الضعيف الذى ينهشه كل طامع. إن العوامل التى أدت إلى ضعف الحكم العباسى أشبعها الباحثون بالتفصيل. إن التصوير نفوذ الفرس بالشكل الذى أورده بعضهم ونفوذ الموالى مبالغ فيه غاية المبالغة فإذا كانت الشيعوية قد وجدت أيام العباسيين فإنها امتداد لنزعة الشيعوية منذ أيام الأمويين وإذا كان للفرس نفوذ فلم يصل إلى الحد الذى ينتزع نفوذ العرب، بل كان ذلك النفوذ ملحوظاً من قبل الدولة ومسموحاً به لأهداف كثيرة استهدفها العباسيون من السماح بذلك - يقول فلهوزن عن نفوذ الفرس فى العصر العباسى: أما أن النفوذ الفارسى كان هو الراجح فهو أمر غير مؤكد [٨٢]. أما الشق الثانى من هذا الزعم وهو تنفس التشيع أيام العباسيين فهو غير صحيح بل العكس هو الصحيح فإن العباسيين أولعوا بدم الشيعة وأتمتهم [صفحة ٦٩] وتعرض التشيع فى مختلف أدوارهم إلى محن وخطوب مروعة عدى فترات بسيطة مرت مرور الغمام كما هو الحال فى فترة البويهيين وبالجملة إن كتب التاريخ قد حفظت لنا صوراً مروعة من تعرض الشيعة للإبادة أيام العباسيين وبوسع القارئ الرجوع إلى أى كتاب من كتب التاريخ الرئيسية ليرى ذلك واضحاً. وبعد هذا التعقيب البسيط على هذه المزاعم: أعود إلى تلاميذ المستشرقين الذين نسجوا على منوال أساتذتهم فقلدوهم فى هذا الزعم وهو فارسىة التشيع ومنهم: ١- الدكتور أحمد أمين: يذهب الدكتور أحمد أمين إلى استيلاء الفكر الفارسى على التشيع برغم قدم التشيع على دخول الفرس فيه وذلك لأن أكثر الشيعة فرس - على زعمه - فغلبت نزعاتهم على التشيع وصبغته بالفارسىة ولنستمع إلى قوله حرفياً: (والذى أرى كما يدلنا التاريخ أن التشيع لعلّى بدأ قبل دخول الفرس فى الإسلام ولكن بمعنى ساذج ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى فى الإسلام وحيث أن أكبر عنصر دخل الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع [٨٣]. ويقول فى مورد آخر: فنظرة الشيعة فى علّى وأبنائه هى نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين، وثبوتية الفرس كانوا منبعاً يستقى منه الرفض فى الإسلام فحرك ذلك المعتزلة لدفع حجج الرفض [٨٤]. إنى أطلب من القارئ هنا التأمل فى هذه اللهجة الحادة التى يفح منها الشرر والنار حتى يعرف مدى موضوعية أحمد أمين ونظرائه، وقد دأب أحمد أمين على اجترار هذه الفكرة وترتيب الآثار عليها كما يظهر ذلك واضحاً فى كل [صفحة ٧٠] مؤلفاته، إن التركيبة التى تكوّن منها أحمد أمين هى الحقد والكراهية للشيعة، زائداً تقليد المستشرقين فيما يقولونه عنهم. ٢- محمد أبو زهرة: يذهب الشيخ محمد أبو زهرة إلى نفس رأى أحمد أمين ويضيف له: إن أكثر الشيعة الأوائل فرس ولنستمع إلى ما يقوله فى هذا الموضوع وهو يستعرض آراء المستشرقين ويعقب عليها قال: وفى الحق أنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسىة حول الملك ووراثته ويزكى هذا أن أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة وأن الشيعة الأولين كانوا من أهل فارس [٨٥] ورحم الله أبا الطيب المتنبى إذ يقول: ودهر ناسه ناس صغار++ وإن كانت لهم جث ضخام وأبو زهرة مورد انطباق هذا البيت، إنه يقول إن الشيعة الأولين كانوا من أهل فارس وأنا أطلب من كل قارئ أن يستخرج لى من الشيعة الأولين خمسة من الفرس وأنا متأكد سلفاً أنهم لا يجدون هذا العدد، فهل تبقى بعد ذلك قيمة لأقوال مثل أبى زهرة وكم لأبى زهرة من أقوال لا تعرف التحقيق وعلى كل حال لقد لقي الرجل ربه وأسأل الله تعالى له العفو. ٣ - أحمد عطية الله: وهذا الرجل ممن نسج على منوال المستشرقين بنسبة التشيع للفارسىة فهو يرى أن الأفكار الشيعية تأثرت بالفارسىة

عن طريق عبدالله بن سبأ الذي نقل للتشيع أكثر من رافد فكري ومن هذه الروافد: الفارسية فقد قال بالحرف الواحد: وإن ابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وآراء منافية لروح الإسلام نابعة من يهوديته، ومن معتقدات فارسية كانت شائعة في اليمن وبرز في [صفحة ٧١] صورة الداعية المنتصر لحق الإمام علي عليه السلام وادعى أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد الخ [٨٦] هذه مجرد عينه من النماذج التي نسجت على منوال المستشرقين، وإنك لتجد هذه الفكرة عند المتأخرين من كتاب السنة شائعة يتلقاها الخلف عن السلف ثم يحاول تعميقها وترسيخها بما يملكه هو من عبقرية وسوف لا أتعجل الرد على الفكرة إلا بعد أن أستوفيتها فأذكر لك أقوالهم في تعليل دخول الفرس للتشيع فإن ذلك يكون بمثابة الروح للبحث. إن أبرز هذه التعليلات التي ساقوها واعتبروها مبرراً لدخول الفرس إلى التشيع ثلاثة أمور: [صفحة ٧٢] أسباب دخول الفرس للتشيع في نظر السنة ١- الأمر الأول: إصهار الحسين إلى الفرس لأنه تزوج ابنة يزدجرد وهو أحد الملوك الساسانيين واسمها شاه زنان فولدت له علي بن الحسين الذي اجتمعت في الخواص الوراثية للأكاسرة وخواص الإمامة من آبائه كما يقول أبو الأسود الدؤلي: وإن وليداً بين كسرى وهاشم ++ لأكرم من نيظت عليه التمام وفي ذلك تقول سميرة الليثي معقبه على رأي أرنولد توينبي في انتشار الإسلام بين الفرس: الذي أدى إلى انتشار الإسلام هو زواج الحسين من شاهبانو إحدى بنات يزدجرد وقد رأى الفرس في أولاد شاهبانو والحسين وارثين لملوكهم الأقدمين [٨٧] فزواج الحسين على رأي هؤلاء أحد العوامل التي أدت إلى انتشار التشيع لأهل البيت عند الفرس. ٢- الأمر الثاني: التقارب في الآراء بين الشيعة والفرس ومن تلك موضوع الحق الإلهي فكل [صفحة ٧٣] منهما يرى أن الحق الإلهي ثابت لمن يتولاه من القادة الفارسي يراه للملوك الفرس والشيعة يراه للإمام الذي يقول بإمامته، وهذا المعنى وإن صورّه بعضهم بأنه تأثر من الشيعة بالفرس، ولكن لما كان التشيع أقدم من دخول الفرس فيه ولما كان الرواد من الشيعة كلهم عرب كما أثبتنا ذلك فيما سلف ولما كانت نظرية الشيعة في الإمام لم تختلف عند زرارة عما كانت عليه عند أبي ذر وعمار ينتج من ذلك أن نظرية الحق الإلهي التقى بها الشيعة مع الفرس ولم تكن نتيجة تأثر بآراء الفرس بحكم إيمان الشيعة بأن علياً وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه منصوص عليه، وقد دأب على ذكر هذا التقارب كثير من المستشرقين وتلاميذهم يقول محمد أبو زهرة: وبعض العلماء ومنهم دوزي المستشرق قرر أن أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية إذ أن العرب تدين بالحرية والفرس تدين بالملك وبالوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب، إلى أن قال إن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك ووراثته [٨٨]. وكذلك يذهب إلى هذا الرأي أحمد أمين وجمله من المستشرقين ذكرهم هو من الذاهبين لهذا الرأي، وقد أفاض في شرح هذا المعنى في كتابه فجر الإسلام معزراً رأيه بآراء المستشرقين [٨٩]. ٣- الأمر الثالث: إرادة هدم الإسلام عن طريق الدخول في المذهب الشيعي التستر بحب أهل البيت ثم نقل أفكارهم الهدامة للإسلام كالقول بالوصية والرجعة والمهدى وغير ذلك. وفي ذلك يقول أحمد أمين: الحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إخال تعاليم آبائه من يهودية و نصراية وزرادشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً [٩٠] وأرجو ملاحظة نغمة استعداد [صفحة ٧٤] السلطة على الشيعة فهي نغمة ضرب عليها الكثيرون من قبله ومن بعده كصاحب المنار مثلاً [٩١] إن هذا الإتجاه في تصوير التشيع بأنه أثر فارسي واضح عند كثير من المتأخرين مثل محب الدين الخطيب، وأحمد شلبي، ومصطفى الشكعة وغيرهم. ولأجل إلقاء الضوء على صحة أو عدم صحة هذه الدعاوى التي نسبت للتشيع وبالذات الأمور الثلاثة التي عللوا بها دخول الفرس للتشيع لا بد من ذكر أمور: ١- الرد على الأمور الثلاثة. ٢- تحديد هوية التشيع عرقياً. ٣- تحديد هوية التشيع فكرياً. ٤- تحديد هوية السنة من نفس المنطلق والعلل التي أخذ بها كتاب السنة. وسنبحث هذه الأمور. [صفحة ٧٥] الإجابة على أسباب دخول الفرس للتشيع ١- الأمر الأول: إصهار الحسين عليه السلام إلى الفرس. إن من القواعد المسلم بها أن حكم الأمثال فيها يجوز أو لا يجوز واحد، وبناءً على هذا فإن العلة التي ذكرها هؤلاء الكتاب في اعتناق التشيع من قبل الفرس وهي إصهار الحسين عليه السلام للفرس موجودة عند عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعند محمد بن أبي بكر، فقد ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار وغيره من المؤرخين، أن الصحابة لما جاؤا بسبي فارس في خلافة الخليفة الثاني كان فيهم ثلاث بنات

ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر الخليفة ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام عليّ إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملته غيرهنّ فقال الخليفة كيف الطريق إلى العمل معهنّ فقال: يقوّمن ومهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهنّ فقوّمن فأخذهنّ عليّ فدفع واحدة لعبدالله بن عمر وأخرى لولده الحسين وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فأولد عبدالله بن عمر ولده سالمًا، وأولد الحسين زين العابدين وأولد محمد ولده القاسم فهؤلاء أولاد خالة وأمّهاتهم بنات يزدجرد [٩٢] وهنا نسأل إذا كانت العلة في دخول الفرس للتشيع هي مصاهرة الحسين للفرس فلماذا لا تطرد هذه العلة فيتسنن الفرس لإصهار عبدالله بن عمر لهم ومحمد بن أبي بكر كذلك؟ وكل من [صفحة ٧٦] محمد وعبدالله أبناء خليفة كما كان الحسين ابن خليفة. بالإضافة لذلك إنّ كلاً من يزيد بن الوليد بن عبدالملك وأمه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ومروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أمه ام ولد من كرد إيران فلماذا لا تطرد العلة هنا أيضاً [٩٣] وبالعكس لماذا لا يميل العرب السنة لأهل البيت الذين أمهاتهم عربية في حين نجد قسماً من العرب يبغض أهل البيت كالتواصب مثلاً. هذا سؤال يوجه للعقول التي تقول ولا تفكر. ٢- الأمر الثاني: التقارب في الآراء بين الشيعة والفرس. وأن كلاً منهما يقول بنظرية الحق الإلهي، ويقول بالوراثة ولا يعرف الانتخاب، وفي هذا الأمر شيئا الأول الإتحاد في الآراء الذي يسبب الدخول للتشيع وهذا الأمر لا يقول به من يحترم عقله فمتى كان مجرد الإشتراك في رأى دافعاً للإتحاد بالعقيدة، إنّ كل باحث يعلم أنّ كل أمه أو جماعة لا تخلو من الإتحاد مع بعض الأمم الأخرى، في رأى من الآراء أو مسأله من المسائل ومع ذلك فلا يقوم ذلك سبباً للإندماج ولنعد لأحمد أمين نفسه ونلزمه بنتائج رأيه إذا وجد السبب فإنه يقول عند بحثه لمسألة الجبر والإختيار: إنّ مسألة الجبر والإختيار تكلم فيها قبل المسلمين فلاسفة اليونان ونقلها السريانيون عنهم وتكلم فيها الزرادشتيون كما بحث فيها النصارى ثم المسلمون [٩٤]. وقد توزع هؤلاء بين القول بالجبر والقول بالإختيار، وبناءً على منطق أحمد أمين فإن المسلمين نصارى لأنهم اتحدوا مع النصارى في شق من الرأى، وإلا فما هو مبرر أحمد أمين في اعتباره الشيعة فرساً لأنهم اتحدوا مع الفرس بالقول بنظرية الحق الإلهي.؟ [صفحة ٧٧] أما الشق الثاني من الدعوى وهو أنّ كلاً من الفرس والشيعة يقولون بالوراثة فهو باطل فيما يخص الشيعة لأن الشيعة لا تعتبر الإمامة متوارثة ولا تقول بالإرث في ذلك بل تذهب إلى أنّ الإمام منصوب عليه من قبل الله تعالى عن طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أو الإمام وكتب الشيعة طافحه بذلك [٩٥]. وليست مسألة النص على الإمام من المسائل المتأخرة عندهم بل هي معلومة من الصدر الأول عند الطبقة الأولى وذلك لوضوح النصوص التي اعتبروها مصدرهم في مسألة الإمامة. وللتدليل على ذلك أذكر محاوره طريفة حدثت بين الخليفة الثاني وعبدالله بن عباس وكان الخليفة الثاني يأنس بابن عباس ويميل إليه كثيراً فقال له يوماً: يا عبدالله عليك دماء البدن إن كنتمها هل بقي في نفس عليّ شيء من الخلافة. يقول ابن عباس: قلت نعم، قال: أو يزعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نص عليه؟ قلت: نعم، فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذرورة من قول لا تثبت حجة ولا تقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام فلمع رسول الله أنى علمت ما في نفسه فأمسك [٩٦] إنّ المنع الذي أشار إليه الخليفة عمر هو عندما طلب النبي من أصحابه في ساعاته الأخيرة دواءً وكتف وقال عليّ بدواؤه وكتف لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال الخليفة عمر: إنّه يهجر وقد غلب عليه الوجع [٩٧]. وعلى العموم إن هذه المحاوره وأمثالها توضح رأى الشيعة في موضوع [صفحة ٧٨] الإمامة وأنها بالنص وليست بالوراثة فمن أين جاء المستشرقون وتلاميذهم بنظرية الوراثة لولا عدم الإحاطة بالتشيع أو التحرف واتباع الهوى. ٣- الأمر الثالث وهو دخول الفرس في الإسلام إرادة هدمه ثم لتحقيق مآربهم ونقل نظريات أسلافهم وهو ادعاء طريف ولا بد من الوقوف قليلاً حوله فنقول: أولاً: إنّ مؤلفات هؤلاء القوم في الدفاع عن الإسلام ومساجدهم ومؤسساتهم الدينية وجهادهم في سبيل الله كل ذلك يشكل شواهد قائمة على كذب هذه الدعوى. وثانياً: لا بد من سؤال لهؤلاء القائمين بهذا القول في أنّ إرادة الإلحاد والهدم عند الفرس هل هي مختصة بالفرس الذين اختاروا الإسلام ودخلوا في التشيع أم أنّها عند كل الفرس من كل من كان من السنة منهم أو من الشيعة، ولا بد أن تكون الإجابة بالعموم لأن إرادة الإلحاد جاءت من كونهم فرساً لا من أمر آخر وإذا كانت كذلك فلماذا انصبت الحملات على الفرس الشيعة فقط دون الفرس السنة. وقد يقول قائل إنّ ذلك انتقل للفرس من الشيعة

وهنا ينتقل الكلام إلى عقائد الشيعة وقد ذكرنا أن مصدر عقائدهم الكتاب والسنة فلا سبيل لرميهم بما ينافي الكتاب والسنة هذا إذا كان هؤلاء يبحثون عن الحقيقة - وهم أبعد الناس عنها - ولو لم يكونوا بعيدين عن الإرادة الخيرة لما بضّ عوا شلو الأمة وفرقوها شيعاً ولخجلوا من المفارقات في أقوالهم لأننا سنوقفك عن قريب على أن تاريخ وفقه وعقائد أهل السنة أبطاله الفرس أنفسهم ونحن لا نرى بذلك أى عيب أو غضاضة ما دمنا نعلم أننا كلنا من مصدر واحد وما دام قرآنا يصرح آناء الليل وأطراف النهار بشعار الوحدة وتوحيد المصدر! بقوله تعالى: (ألم نخلقكم من ماء مهين) ٢٠/المرسلات. ثالثاً: إن المسائل التي أوردتها القوم واعتبروها مما يهدم الدين ورموا بها [صفحة ٧٩] الشيعة الفرس مثل الوصاية والرجعة والقول بالمهدية يشاركهم بها أو يمثلها أهل السنة وما سمعنا أحداً ينيهم بها أو يعتبرها عليهم سبة، كما أن هذه القضايا وردت في روايات أهل السنة بطرق موثوقة وسنذكر ذلك قريباً إن شاء الله، هذا بالإضافة إلى أن هذه الآراء ليست من ضروريات الإسلام عند الشيعة وقد تكون من ضروريات المذهب كالقول بالمهدى، فلماذا كل هذا الضجيج المفتعل ولماذا كل هذا الصرف للطاقت الذي يخلق فجوات بين أهل القبلة فضلاً عن عدم جدواه؟ ولماذا هذا الحماس المفتعل ازاء امور لا ينفرد بها الشيعة بل يقول بها السنة أنفسهم؟ [صفحة ٨٠]

هوية التشيع العرقية وآراء الباحثين فيها

إشارة

في صدر هذا العنوان لا بد من سؤال عن معنى مضمون العروبة الذي يميزها عما عداها وأول ما يتبادر للذهن أن العربي هو الذي يولد من أبوين عربيين وبعبارة أخرى هو المتحدر من دم عربي، وهذا الفرض غير متحقق لأننا لا- يمكننا الحصول على دم خالص مائة بالمائة من الشوائب والإختلاط ولأنّ الدماء إنسانية الإنتماء كلها تعود لمصدر واحد وهي مختلطة اختلاطاً يصعب معه فرزها عن غيرها، ثم بعد ذلك لأنه ليس من المتصور أنّ الدماء تتأثر بالعقيدة والفكر والمشاعر، فأى معنى للعروبة مع هذه الفرض، وانطلاقاً من هذا فإن كل رأى يقوم على فرض وجود دم عربي خالص هو فرض غير علمي ولا يمكن الركون إليه. ومع التنزل والتسليم بصحة هذه المقولة وهذا الفرض فقد ذكرنا فيما مر أن الشيعة الذين بدأ بهم التشيع وقام على أيديهم هم من القبائل العربية وذكرنا الطبقة الأولى منهم ولا- نريد أن نثقل على القارئ فنذكر له الطبقتين الثانية والثالثة فبوسع كل قارئ الرجوع إلى كتب التراجم ليرى أنهم في جمهورهم من العرب. وإذا كان افتراض أن هناك دمًا خالصاً غير متأثر بغيره أمراً خيالياً نعود الى السؤال عن معنى العروبة، وسنجد الجواب إن العروبة هي المزيج المتكوّن من الفكر والمشاعر واللغة والتربة، وانتزاع العروبة من هذه المصادر هو المسلك الصحيح فهي التي تحدد الهوية ومعظم من كتب في تحديد هوية الإنسان أكدوا على [صفحة ٨١] هذه العوامل فقط وهي اللغة والتاريخ والبيئة والمصالح المشتركة هذه هي التركيبة المزجبة التي تكوّن وتحدد معالم الإنتماء لأمة ما [٩٨] وانطلاقاً من ذلك لنرى أين مظان الشيعة من هذه العوامل ولنبدأ من ذلك بالعامل الأول.

مقومات الهوية العرقية

١- البيئة الجغرافية: إن مهد التشيع الأول هو الجزيرة العربية لأنّ شيعة على عليه السلام الأوائل هم من الاصحابه ومن جزيرة العرب كما ذكرنا ذلك من قبل، ومع افتراض وجود شخص أو شخصين مثل سلمان الفارسي وأبي رافع القبطي فإنّ نشأة هؤلاء وإقامتهم لفترة طويلة بالحجاز ومن الحجاز انتشر التشيع إلى الأقطار الأخرى كالعراق وسوريا ومصر والشام وإفريقيا والهند والخليج وأوروبا وأمريكا والصين وروسيا وغيرها من سائر أقطار العالم على امتداد السنين. وسنرى في آخر هذا الفصل أقوال الباحثين في ذلك ونصوبهم على أن مهد الشيعة الأول هو الجزيرة العربية. ٢- اللغة: يعتبر العلماء أن اللغة هي العامل الأساسي في تحديد انتماء كل شخص إلى قومية

من القوميات لأنّ اللغة قسم من المشاعر بل تذهب البحوث الحديثة إلى أنّها الجزء المهموس من الفكر وذلك لتقسيمهم للفكر إلى قسمين صامت ومهموس [٩٩] وبحكم كون الشيعة من أهل الحجاز فلغتهم كانت العربية وشيعة عليّ كما هو واضح من الشريحة التي قدمناها من فصحاء العرب وأبطال البيان. [صفحة ٨٢] وكان تفوق رواد الشيعة بالبيان والخطابة أدباً أخذوه من إمامهم عليّ عليه السلام أمير البيان حتى نبغوا في ذلك وعدهم المؤرخون قادة بيان ونوابغ فصاحة ومن هؤلاء: عدى بن حاتم الطائي وهاشم المرقال وخالد بن سعيد العبشمي الأموي، والوليد بن جابر بن ظالم الطائي وغيرهم [١٠٠]. وبحكم كون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم فقد كان الشيعة يقعون عند التصنيف من قسم المتشددين في اعتبار اللغة العربية لغة العبادة ولغة العقود ولا يتساهلون في ذلك أبداً ولا يقوم عندهم مقام اللغة العربية، في ذلك أي لغة أخرى، ونلمح من تشددهم في ذلك أنّ اللغة عندهم ليست مجرد قالب للمعنى ولو كانت كذلك لقام مقامها قلب آخر، لكنّها عندهم تستبطن مشاعر وخواص أصيلة في مضمون الرسالة ولهذا نزل القرآن بها لذلك نرى جمهور فقهاء الشيعة يذهبون إلى عدم جواز القراءة في الصلاة والأذان وافتتاح الصلاة بغير اللغة العربية، في حين يذهب كل من أبي حنيفة بصورة مطلقة والشافعية والمالكية بجواز إيقاع الأذان بغير العربية إذا كان المؤذن أعجمياً ويريد أن يؤذن لنفسه أو لجماعة أعاجم مثله [١٠١] ويذهب الشافعي والأحناف والمالكية إلى جواز إيقاع تكبيرة الإحرام بغير اللغة العربية إذا كان غير قادر على اللغة العربية ذكر ذلك عنهم صاحب الفقه على المذاهب الأربعة في باب شروط تكبيرة الإحرام من الجزء الأول. ولم أجد في حدود ما عندي من مصادر: لهم اشتراطاً صريحاً في إيقاع العقود باللغة العربية في حين يذهب الشيعة إلى لزوم إيقاع العقد بالعربية اختياراً [١٠٢] وفيما يخص عقد النكاح يجوز الحنفية والمالكية والحنابلة إيقاعه بغير اللغة العربية مع القدرة عليها ويذهبون إلى صحته هذا العقد [١٠٣]. [صفحة ٨٣] ٣- عروبة الخليفة: ومما يتصل بموضوع اللغة أنّه بالنظر لأهمية اللغة العربية في موقعها من الشريعة الذي يتضح من اختيار السماء لها لتكون الظرف الحامل للفكر الإسلامي ولما كرم الله تعالى به هذه اللغة في كتابه إذ يقول في الآية الثانية من سورة يوسف: (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) ويقول في الآية السابعة والثلاثين من سورة الرعد (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) الأمر الذي أجمع معه مفسروا القرآن الكريم على أنّ القرآن حكمه عربية ومحاوراته على نسق محاورات العرب وأساليبهم، وإذا شئت قلت إنّ أخذ مشاعر العرب وخواصهم الحضارية عندما اختار لغتهم ولم يختص أو يتأطر بهم لأن رسالة الإسلام عالمية ولكنّ الله تعالى جعل اللغة العربية هي القناة التي ينقل الدين القويم عن طريقها للناس. ولأجل ضمان حفظ خواص الرسالة ذهب كثير من الفرق الإسلامية إلى ضرورة كون الخليفة عربياً. لا لسبب آخر قد يفهم منه معنى عنصرى فرسالات السماء منزّهة عن ذلك وقد انشطرت الفرق الإسلامية في اشتراط عروبة الخليفة إلى شطرين: وكان الشيعة من الشطر الذي يؤكد على عروبة الخليفة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: «الأمّة من قريش» [١٠٤] في حين ذهب كثير من المسلمين غير الشيعة إلى عدم اشتراط هذا الشرط. ويبدو أنّ هذا المعنى يتبدى من الخليفة الثاني نفسه حيث قال: لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقته به: سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة الجراح ولو كان سالم حياً ما جعلتها شوري [١٠٥]. وواضح من ذكره لسالم أنّ الخليفة لا يشترط عروبة الخليفة والا لنص على العرب فقط وقد ذهب لذلك أيضاً مشاهير المعتزلة مثل ضرار بن عمر وثمامة بن أشرس والجاحظ وكثير غير هؤلاء [١٠٦]. [صفحة ٨٤] كما يذهب إلى عدم عروبة الخليفة الخوارج بجملتهم ونصوصهم صريحة بذلك [١٠٧] وإلى عدم اشتراط عروبة الخليفة يذهب الأحناف أيضاً ولذا صححوا خلافة آل عثمان [١٠٨] إنّ اشتراط عروبة الخليفة في واقع الأمر لا يمكن أن يصدر عن بواعث عنصرية أو عن تعصب فإنّ ذلك غير متصور في رسالة سماوية هي خاتمة الرسالات الإنسانية ضرورة أنّ الإسلام دين المساواة ولكن بهذا الشرط يضمن الإسلام توفر حاكم يعي دقائق الشريعة والخلفيات الحضارية التي ترتبط بها اللغة التي نزلت بها. لهذا فقط يشترط الإسلام عروبة الخليفة من دون انتقاص للآخرين أو بخس لمكانتهم أو قدح بإخلاصهم. ٤- التاريخ والمصالح المشتركة: إنّ تاريخ الشيعة الذين عددنا أسماءهم جزء من تاريخ الجزيرة العربية بكل أبعاد هذا التاريخ ومقوماته. وكذلك المصالح المشتركة المادى منها والمعنوى وكذلك النهج الشعبي في التفكير والعادات والسلوك. ولذلك لما جاء الإسلام أخذ يجاهد

لتخليص المسلمين من بعض عاداتهم وأنماط سلوكهم التي كانت تؤلف قدراً مشتركاً بين سكان الجزيرة العربية وبالنظر لكون هذا المعنى مما لا ينبغي الإطالة فيه لأنه بحكم البديهيات نكتفى بما ذكرناه ومن هذه الحقائق التي قدمناها تتضح الهوية العرقية للتشيع فهو عربي بانتمائه ومهده ولغته وآرائه ولأجل هذا ذكر الباحثون الموضوعيون أن التشيع عربي بكل خواصه وأقصد بالباحثين هنا المتأخرين منهم وذلك لأن هذه المسألة لم تكن تشغل بال خصوم الشيعة في العصور الأولى وإنما نشأت مؤخراً لأسباب كثيرة أهمها تحول الفرس إلى شيعة ابتداءً من القرن العاشر أما التاريخ الذي يسبق القرن العاشر فالشيعة من الفرس كانوا فيه فئة قليلة وسوف أتينا هذا المعنى مفصلاً. وحينما تحول الفرس إلى شيعة ظهرت لهم مثالب وعيوب لم تكن موجودة يوم أن كانوا من السنة ولا أريد أن أتعجل بك النتائج فهي آتية إن شاء الله. [صفحة ٨٥] والآذ دعنى أقدم لك نماذج من أقوال بعض الباحثين الذين تناولوا هذه المسألة فلم يسعهم من ناحية: إنكار عروبة التشيع، في الوقت الذي أرادوا فيه شتم الشيعة عن طريق شتم الفرس وشرح مثالبهم فلنستمع لما يقولون. ١- الدكتور أحمد أمين: يقول الدكتور أحمد أمين في نص ذكرناه سابقاً واشتهدنا بمقطع منه ونذكره هنا لارتباطه بالموضوع: والذي أرى كما يدلنا التاريخ أن التشيع لعلّ بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ولكن بمعنى ساذج وهو أن علياً أولى من غيره ومن وجهتين كفايته الشخصية وقربته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية وحيث أن أكبر عنصر دخل في الإسلام الفرس فلهم أكبر الأثر بالتشيع، ورأيه هنا واضح أن أوائل الشيعة ليسوا بفرس وإن ناقض نفسه بمكان آخر [١٠٩]. ٢- الدكتور على حسين الخربوطلى قال: وهناك فريق من العرب تشيع لعلّ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر ويروى جولد تسيهر أن الحركة الشيعة نشأت في أرض عربية بحتة فقد مال لاعتناق التشيع قبائل عربية تشبعت بالآراء الثيوقراطية وبشرعية حق عليّ بالخلافة فأقبلت على تعاليمه في لهفه وحماسه أهل العراق من الفرس، ورأوا أن الإمامة ليست من المصالح التي تفوض إلى نظر الأمة ويعين القائم بها تعييناً باختيار جماعة المسلمين وانتخابهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام فيجب تعيين الإمام ويكون معصوماً وأن علياً هو الذي عينه الرسول [١١٠]. ٣- المستشرق فلهوزن قال: أما آراء الشيعة ثلاثم الإيرانيين فهذا مما لا شك فيه، وأما كون هذه [صفحة ٨٦] الآراء انبعثت من الإيرانيين فليست تلك الملائمة دليلاً عليه، بل الروايات التاريخية تقول عكس ذلك إذ تقول إن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الدوائر العربية ثم انتقل منها إلى الموالى [١١١]. ٤- المستشرق آدم متر قال: إن مذهب الشيعة لا كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانية تخالف الإسلام فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلها عدى المدن الكبرى كمكة وتهامة وصنعاء. وكان للشيعة غلبة في بعض المدن مثل عمان وهجر وصعدة وفي بلاد خوزستان التي تلى العراق فكان نصف أهلها على مذهب الشيعة، أما إيران فكانت سنية عدى قم وكان أهل أصفهان يغالون في معاوية حتى اعتقد بعضهم أنه نبي مرسل [١١٢]. ٥- المستشرق جولد تسيهر قال: إن من الخطأ القول إن التشيع في منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلى الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام بعد أن اعتنقت وخضعت لسلطانها عن طريق الفتح والدعاية وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة [١١٣]. ٦- المستشرق نولدكه قال: ظلت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السنّي واستمر ذلك حتى سنة ١٥٠٠م عندما أعلن التشيع مذهباً رسمياً فيها بقيام الدولة الصفوية [١١٤]. بعد استعراض هذه المقتطفات من أقوال الباحثين التي تؤكد عروبة التشيع [صفحة ٨٧] في طابعه العام في نفس الوقت الذي لا تنفى امتداده إلى جنسيات أخرى فإنّ باقى الجنسيات هي موضع احترامنا وتقديرنا فما كنا إلا مسلمين شعارنا قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ١٣/الحجرات، ولكننا نقابل بذلك الأصوات التي تشهر بالمذهب الشيعي وتنسبه للفارسية، وإتماماً للبحث سنقدم هنا عينه من أقطاب المذهب الشيعي الذي قام الفكر الشيعي على أقلامهم ومواقفهم وبعد ذلك نضع مقابل عناوين عروبة التشيع ما يقابلها من عناوين في أبعاد المذاهب الإسلامية الأخرى. [صفحة ٨٨]

إشارة

إن أئمة الشيعة الإثني عشر ابتداءً من الإمام عليّ عليه السلام حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام الذين تعتبرهم الشيعة بأنهم الإمتداد الطبيعي للنبوّة هم سادة العرب ومن صميمهم وبيت هاشم كما هو المعروف أشرف البيوتات العربية فلا حاجة للإفاضة بذلك. يأتي بعد ذلك الرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع وبشروا به فإنهم من صميم العرب وذلك ابتداءً من أقطاب مدرسة الإمام الصادق عليه السلام مثل أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبنو دراج وغيرهم [١١٥] ثم الطبقة التي تلي هؤلاء كالشيخ المفيد محمد بن النعمان، والشريف المرتضى علم الهدى عليّ بن أبي الحسين، والعلامة الحلّي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر، وعبد العزيز بن نحرير البراج وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس وأسرّة آل طاووس، ومحمد بن أحمد بن إدريس العجلي، ونجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق وجمال الدين المقداد بن عبدالله السيوري، والشهيد الأول محمد بن مكّي والشهيد الثاني زين الدين العاملي وغيرهم فإنّ كل هؤلاء من صميم العرب. [صفحة ٨٩] أما أصحاب الصحاح الشيعة وهم كل من محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي، ومحمد بن عليّ بن الحسين المعروف بابن بابويه القمي، صاحب من لا يحضره الفقيه، ومحمد بن الحسن بن عليّ الشيخ الطوسي صاحب التهذيب والإستبصار، فإنّ هؤلاء لا يوجد نص على عدم عروبتهم ومن وجد دليلاً على أعجميتهم فليفتنا. وختاماً لهذه الفصل أذكر أولاً - رأى دائرة المعارف الإسمائية فقد قالت: إن أقدم الأئمة الكبار من الشيعة كانوا عرباً خالصاً وإن كانوا من اليمنيين خاصة [١١٦] كما أذكر لكل من يريد التوسع بعض كتب التراجم الشيعة وغيرها ليطلع منها على نسبة العرب من الشيعة ومن أهم هذه الكتب: الأعلام للزركلي، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي.

السنة والفرس

قبل الدخول في صميم هذا الموضوع لنبدأ أولاً بإيران وماهى هوية سكانها العقائدية وبالتحديد أين موقع سكانها من المذهبين السني والشيعة ففي ذلك بعض الأضواء التي لا بد منها لإنارة طريق البحث. لقد ذكر لنا المؤرخون أنّ فتوحات إيران بكل أجزائها امتدت فغطت فترة الخلافة الإسلامية إلى نهاية فترة حكم الإمام عليّ عليه السلام وكانت هذه البلدان عندما يتم فتحها قد يتخلف بعض جنود الحملة في تلك المدن وبعض هؤلاء كانوا من الشيعة ومن الذين حملوا معهم مبادئهم وعرفوا بها، وفي فترة حكم زياد بن أبيه للكوفة كانت في جملة تخطيطاته للقضاء على التشيع بالكوفة أن هجر خمسين ألف من الشيعة وسفرهم إلى خراسان. ولا بد أنّ هؤلاء توالدوا كما أنّهم بشروا بأفكارهم وعقائدهم فتبعهم على [صفحة ٩٠] ذلك جماعة، كما أنّ مدينة قم تم تمصيرها أيام الحجاج، وذلك أنّ عبدالرحمن ابن الأشعث كان أمير سجستان من قبل الحجاج ثم خرج على الحجاج وقتله وعندما فشلت حركته كان بجيشه مجموعة من علماء التابعين منهم: عبدالله، والأحوص، وعبدالرحمن، وإسحق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك الأشعري فنزل هؤلاء على سبعة قرى في منطقة قم استولوا عليها وجعلوها سبع محلات لمدينة قم والتحق بعبدالله بن سعد ولد له كان إمامياً تربي بالكوفة فنقل التشيع لأهلها فليس بها سني قط [١١٧]. هذه هي بذور التشيع في إيران تنمو في مجال محدود حتى بداية القرن العاشر حيث تحوّلت بعد ذلك مناطق كثيرة للتشيع أيام الصفويين. أما البدايات منذ الفتح وإلى القرن العاشر فكانت إيران في جملتها سنيّة متوزعة بين المذاهب ويستثنى من ذلك جيوب صغيرة كان فيها بعض الشيعة وقد أكد ذلك مؤرخوا السنة وإليك أقوالهم: [صفحة ٩١]

إيران السنية

١ - شمس الدين محمد بن أحمد يقول: إقليم خراسان للمعتزلة والشيعة والغلبة لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش فإنهم شوافع

وفيهم قوم على مذهب عبدالله السرخسى، وإقليم الرحاب مذاهبهم مستقيمة إلا أن أهل الحديث حنابلة، والغالب بدليل - لعله يريد أردبيل - مذهب أبى حنيفة، وبالجمال: أما بالرى فمذاهبهم مختلفة والغلبة فيهم للحنفية، وبالرى حنابلة كثيرة، وأهل قم شيعة والدينور غلبة لمذهب سفيان الثوري، وإقليم خوزستان مذاهبهم مختلفة، أكثر أهل الأهواز ورامهرمز والدورق حنابلة، ونصف الأهواز شيعة، وبه من أصحاب أبى حنيفة كثير، وبالأهواز مالكيون. إقليم فارس العمل في على أصحاب الحديث، وأصحاب أبى حنيفة، إقليم كرمان المذاهب الغالبة للشافعي، إقليم السند مذاهبهم أكثرها أصحاب الحديث، وأهل الملتان شيعة يحعلون في الأذان - أى يقولون حتى على خير العمل - ويثنون في الإقامة - أى يقولون الله أكبر مرتين، وأشهد أن لا إله إلا الله مرتين أيضاً وهكذا - ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب أبى حنيفة [١١٨]. ٢ - ابن بطوطة في رحلته قال بالتلخيص: لما أعلن خدابنده حفيد هولاءكو التشيع حمل الناس على التشيع في مطلع القرن [صفحة ٩٢] الثامن وكان معه أحد الزنادقة الروافض ويدعى بجمال الدين بن المطهر - يعنى العلامة الحلى - كتب إلى بلاد آذربايجان وكرمان وأصفهان وخراسان وشيراز والعراق بادخال اسم على وبعض شيعته في خطبة الجمعة، وعدم ذكر الصحابة بها، كان أول بلاد وصل إليها الأمر بغداد وشيراز وأصفهان، فأما أهل بغداد فخرج منهم أهل باب الأزج يقولون لا سمعاً ولا طاعة وجاءوا للجامع وهددوا الخطيب بالقتل إن غير الخطبة وهكذا فعل أهل شيراز وأهل أصفهان. ٣ - القاضي عياض في مقدمة ترتيب المدارك قال: وقد حكى من انتشار مذهب مالك: وأما خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولاً بيحى بن يحيى التميمي وعبدالله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد فكان له هناك أئمة على مر الأزمان، وتفشى بقزوين وما والاها من البلاد الجبل، وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذها أبى حنيفة والشافعي [١١٩]. ٤ - بروكلمان قال في تاريخ الشعوب: إن الشاه إسماعيل الصفوى بعد انتصاره على الوند توجه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة التبريزيون أن ثلثي سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ثلثمائة ألف من السنة [١٢٠] مع لفت النظر إلى أن هذه الكمية من السنة في بلد واحد كانت في القرن العاشر وفي بدايته. ٥ - المستشرق كيب يقول: إن الفكرة الخاطئة والتي لا زالت منتشرة التي تقول بأن بلاد فارس كانت الموطن الأصلي للتشيع لا أصل لها بل الروايات التاريخية تثبت بأن الزرادشتيين كانوا أميل عموماً لاعتناق المذهب السنّي [١٢١]. [صفحة ٩٣] ولا أريد أن أطيل عليك بالإكثار من إيراد الشواهد والنصوص التي تذكر أن إيران هي معقل التسنن حتى القرن العاشر بل وحتى الآن فإن فيها مقاطعات بكاملها سنية تستمتع بكل حرياتها الدينية وهي منبثة في إيران شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، فأين موقع إيران ياترى من التشيع والتسنن هل لهؤلاء الكتاب أن يجيونا على هذا السؤال، ومتى كان منطق الحقد يعقل أو يفكر. [صفحة ٩٤]

اللغة والمذاهب الإسلامية

إشارة

سبق أن ذكرت موقف المذاهب الإسلامية في موضوع اشتراط عروبة الخليفة من حيث اللزوم وعدمه وكذلك اشتراط اللغة العربية في العبادات والعقود فلا داعى لإعادة ذلك وإنما أريد الإشارة هنا إلى أن في السنة من يشترط العربية وفيهم من لا يشترطها في حين يؤكد المذهب الشيعى على اشتراطها وذلك يكون مؤشراً على عروبة التشيع ووضوح انتمائه للعربية شكلاً ومضموناً. من هم أئمة السنة وأقطابهم؟ لا أريد أن أعيد إلى ذهن القارئ أن أمثال هذه البحوث إنما هي من باب إشعار الطرف الآخر بأنه لا يلتزم بما هو لازم ولا أريد والله يعلم أن انتقضى أى إنسان ينتمى لأى قومية كما لا أستطيع في هذه المقتطفات أن أستوعب كل الأقطاب الذين قام ببناء الفكر السنى عليهم وعلى أعلامهم ومواقفهم وإنما سأقدم منهم شريحة كافية للتدليل على المطلوب. إن تاريخ الدنيا منذ وجد يصنف الناس إلى صنفين: صنف يقوم مقام الروح في الجسد وآخر يمثل الجسد وصنف يقوم مقام المحرك وآخر يمثل القاطرة التي يسحبها المحرك وسرى أن من يقوم مقام المحرك في الهيكل السنى فارسى في الأعم الأغلب، ولنبدأ بمن يسمى بالمذاهب الأربعة:

[صفحہ ٩٥] المذاهب الأربعة: تذهب جملة المصادر المعتمدة إلى أن ثلاثة من هؤلاء الأربعة هم من الفرس والعربي فيهم هو الرابع فقط أما الثلاثة فأولهم: أولاً: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى وهو مولى لبنى تيم الله ومولده بالكوفة [١٢٢]. ثانياً: الإمام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع مولى أبى لهب وقد طلب من الخليفة عمر أن يجعله من موالى قريش فامتنع، فطلب بعدها من الخليفة عثمان ذلك ففعل فهو من موالى قريش وقد ذكر ذلك كل من الرازى فى كتابه مناقب الشافعى وأبو زهره فى كتابه المعروف بالإمام الشافعى [١٢٣]. ثالثاً: الإمام مالك بن أنس بن مالك ذهب كل من ابن عبد البر صاحب الإستيعاب فى كتابه الإنتقاء، والواقدى محمد بن إسحق، والسيوطى فى تزيين الممالك إلى أنه مولى من موالى بنى تيم وليس بعربى [١٢٤]. رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل وهو العربى الوحيد فى المذاهب وينتمى إلى بكر بن وائل [١٢٥] على أنه هناك من يروى أن الثلاثة الأوائل أيضاً عرب ولكن ظروف الروايات لا تخفى على الناقد وبوسع أى باحث تقييم تلك الروايات والإنتهاء لرأى معين. أصحاب الصحاح: إن المصادر التى ترجمت لأصحاب الصحاح وزعتهم على النحو التالى من حيث أنسابهم: [صفحہ ٩٦] أ - البخارى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم صاحب الصحيح الشهير: أعجمى. ب - الترمذى ابن عيسى بن سورة الضرير تلميذ البخارى كذلك. ج - محمد بن يزيد بن ماجه مولى ربيعه، أعجمى. د - أحمد بن على بن شعيب النسائى نسبة لمدينه نسا بخراسان، أعجمى. هـ - سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانى وهى بلدة بقرب هراة. ينسب إلى الأزدي ولم ينصوا على أن النسبة بالأصل أم بالولاء، ويبقى انتماءه إلى بلد أعجمى. و - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري عربى منصوص على عربيته [١٢٦]. شريحة ثالثة: هذه شريحة ثالثة متوزعة على المذاهب الأربعة فى امتداد تاريخها الطويل غير ملتزمة بالتسلسل الزمنى أقدمها لتكون مجرد مؤشر على نسبة ما فى المذاهب الأربعة من العلماء الفرس، ولا أريد الإستقصاء لأنه يستلزم إضاعة وقت وجهد الأولى صرفهما فى مجال آخر. إن معظم رواة الأحكام والأخبار، ومعظم الفقهاء والمفسرين هم من الفرس، ومنهم على سبيل المثال: مجاهد، وعطاء بن أبى رباح، وعكرمة وسعيد بن جبيرة. ومجاهد وعكرمة ممن يعتمد عليه البخارى والشافعى ويوثقه ويأخذ بمروياته جملة وتفصيلاً [١٢٧]. ومنهم الليث بن سعد تلميذ يزيد بن حبيب والذى يعتبر مؤسس المدرسة [صفحہ ٩٧] العلمية الدينية بمصر، ويقول عنه الشافعى الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، وهو فارسى من أهل أصفهان؛ ومنهم ربيعة الرأى شيخ الإمام مالك وهو ابن عبدالرحمن بن فروخ من أهل فارس؛ ومنهم طاووس بن كيسان الفارسى ترجم له الشيرازى فى طبقات الفقهاء؛ ومنهم البيهقى صاحب السنن الذى قيل عنه: للشافعى فضل على كل أحد إلا البيهقى. ومنهم مكحول بن عبدالله مولى بنى ليث، ومحمد بن سيرين مولى أنس ابن مالك، والحسن البصرى الذى قيل عنه إنه أشبه الناس بعمر بن الخطاب على حد تعبير الشيرازى فى الطبقات. ومنهم الحاكم صاحب المستدرک، وعبدالعزيز الماجشون الأصفهانى مولى بنى تميم، وعاصم بن على بن عاصم مولى بنى تيم ومن شيوخ البخارى، وعبدالحق بن سيف الدين الدهلوى صاحب مقدمه فى مصطلح الحديث، وعبد الحكيم القندهارى شارح البخارى فى حاشيته، وعبدالحميد الخسر وشاهى صاحب اختصار المذهب فى الفقه الشافعى. وعبدالرحمن رحيم مولى بنى أمية ومحدث الشام على مذهب الأوزاعى، وعبدالرحمن العضد الإيجى صاحب كتاب المواقف، وعبدالرحمن الجامى صاحب فصوص الحكم، وعبد الرحمن الكرمانى رئيس الأحناف بخراسان وصاحب شرح التجديد، وشيخى زادة صاحب كتاب مجمع الأنهار عبدالرحمن، وأحمد بن عامر المروزى صاحب كتاب مختصر المزنى. وسهل بن محمد السجستانى صاحب كتاب إعراب القرآن، ومحمد بن إدريس أبو حاتم الرازى الذى يعد بمستوى البخارى، وأبو إسحاق الشيرازى صاحب كتاب التشبيه. وعبدالله بن ذكوان أبو الزناد عالم المدينة بالفرائض والفقه وممن روى عنه مالك والليث؛ وأحمد بن الحسين شهاب الدين الاصبهانى صاحب كتاب غاية الاختصار؛ ويعقوب بن إسحاق النيسابورى صاحب المسند الصحيح المخرج [صفحہ ٩٨] على كتاب مسلم بن الحجاج؛ وأحمد بن عبدالله أبو نعيم صاحب الحلية، وابن خلکان صاحب وفيات الأعيان، وأحمد بن محمد الثعلبى المفسر [١٢٨]. ولو رمت أن أمشى معك على هذا الخط فسنصل إلى نسب عالية جداً من الناحية الكمية من نسبة العلماء والمؤرخين والمفسرين من الفرس، إن الفكر السننى بكل أبعاده مدين للفرس ومصبوغ بالفارسية وحتى

الإمام محمد بن عبد الوهاب تربي ونشأ وتثقف على أيدي الفرس وكانت تربيته وثقافته بين كردستان وهمدان، وأصفهان وقم كما نص على ذلك جماعة [١٢٩] ومن الجدير بالذكر أن الألسنة الطويلة والبديئة والمتسرعة التي تفتري ما تشاء على الفرق الإسلامية وخصوصاً على الشيعة هي ألسنة فارسية. وسأقدم لك نموذجين من هذا الصنف الذي ليس على ضميره ولسانه رقيب وما قلمه شعور بالمسؤولية. [صفحة ٩٩]

نموذجان من السنة الفرس

١- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم صاحب كتاب الملل والنحل من أهل شهرستان: وهي بلدة بين نيسابور وخراسان، إن هذا الرجل قد كتب عن الفرق الإسلامية فخلط وخطب عشواء وافتري ونسب أموراً بدون علم وتثبت حتى شحن كتابه بزاد موبوء، وخلف تركه من الإفتراء تأخذ منها الأقلام والله تعالى سائله عن ذلك وقبل أن أقدم لك نماذج من كتاباته أود أن أذكر لك بعض آراء قومه فيه. أ- الإمام الرازي: يقول في كتابه مناظرات مع أهل ما وراء النهر المسألة العاشرة متحدثاً عن كتاب الملل والنحل، إنه كتاب حكي فيه مذاهب أهل العالم بزعمه إلا أنه غير معتمد عليه لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتاب المسمى بالفرق بين الفرق من تصانيف الأستاذ أبي منصور البغدادي وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح، ثم أن الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الإسلامية من ذلك الكتاب فلهذا السبب وقع فيه الخلل في نقل هذه المذاهب [١٣٠]. [صفحة ١٠٠] هذا عن مدى توثيقه بالنقل، أما دينه وصدقه فيقول فيه بعض قومه ما يلي: ب- ياقوت الحموي في معجمه: مادة شهرستان قال: ولولا تخبطه أي الشهرستاني في الإعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان الإمام، وكثيراً ما كنا نتعجب من فور فضله وكمال عقله كيف مال إلى شيء لا أصل له واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً ونعمد بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان وليس ذلك إلا لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة وقد حضرت عدة مجالس من وعظه فلم يكن فيها قال الله ولا قال رسول الله ولا جواب من المسائل الشرعية والله أعلم بحاله [١٣١]. وبعد تقييم الشهرستاني من قبل قومه أذكر لك شيئاً مما كتبه عن الشيعة لتعرف مدى صدقه ووثاقته يقول عن الإمامية إنهم لم يثبتوا في تعيين الأئمة بعد الحسن والحسين وعلي بن الحسين على رأى واحد بل اختلافاتهم أكثر من اختلافات الفرق كلها إلى أن قال: إن الإمام الصادق برئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة، والبداء، والتناسخ، والحلول، والتشبيه، لكن الشيعة بعده أي بعد الصادق عليه السلام افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهباً [١٣٢]. إن كل من له إلمام بتاريخ الإمامية من الشيعة يعلم أنهم لم يختلفوا في تسلسل الأئمة ابتداءً من الإمام علي عليه السلام حتى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن عليه السلام والإمامية على ذلك منذ وجدوا، أما ما ذكره من أن الإمام الصادق عليه السلام تبرأ من حماقات الشيعة فهو محض افتراء ولم يحدث قط فإن أهل البيت أدرى بما فيه، ولو كان هنالك شيء من هذا القبيل لذكره غير الشهرستاني أما ما تفضل به علي [صفحة ١٠١] الشيعة من هذه العقائد التي ذكرها كالتناسخ والحلول والتشبيه فإن الواقع يكذبه وهذه كتب الشيعة تملأ المكتبات فليذكر لنا أين آرائهم بالتناسخ اللهم إلا أن يكون كلامه عن أمة بائدة كانت تقول بذلك قبل هذا. نعم، الشيعة تقول بغيبة المهدي عن المعرفة بمعنى أنه يرى ولا يعرف فهو موجود بين الناس ولكن لا يعرفونه وهو يدلي برأيه أحياناً مع بعض الآراء وقد استفادوا ذلك من جملة من الأخبار التي أوردها علماء المسلمين من السنة والشيعة كالترمذي وابن ماجه وأبي داود وابن حجر وغيرهم ويكفيك الفصل الذي كتبه ابن حجر في الصواعق فراجعه وسنشرح ذلك فيها يأتي من فصول هذا الكتاب، كما يعتقد الشيعة بالبداء مستفيدين ذلك من الكتاب والسنة: فالكتاب كقوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) الرعد/٣٩. وأما السنة فمثل ما رواه البخاري في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله أن يتليهم فبعث إليهم ملكاً الخ [١٣٣]. وكما روى الصدوق في كتابه إكمال الدين وإتمام النعمة باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام: من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء يعلمه أمس فابروا منه [١٣٤] والبداء عند الشيعة بمعنى الإظهار لا بعنى

أن الله يعلم بعد جهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أى أن علم الله تعالى تعلق بوقوع أمر في الخارج ولكن بشروط موقوفيته على عدم تعلق مشيئة الله تعالى بخلافه. وهذا هو مورد البداء ومحل البداء من أقسام القضاء الإلهي. ونظراً لأهمية موضوع البداء وما ثار حوله من نزاع بين المسلمين فإنني أحيل [صفحة ١٠٢] القارئ إلى فصل مهم ممتع كتبه الإمام الخوئي في كتابه البيان مقدمة تفسير القرآن [١٣٥]. أما موضوع الرجعة عندهم فهو مجرد فهم من كتاب الله تعالى لبعض الآيات ولمضمون تلك الآيات، ذلك بالإضافة إلى روايات كثيرة تدعم تلك المضامين، وهي: أعنى الرجعة ليست من ضروريات الإسلام عندهم. وبوسع القارئ الرجوع إلى قوله تعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) النحل/٨٣. وقوله تعالى: (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) الكهف/٤٧. فقد ورد في كثير من التفاسير عند الجمع بين الآيتين ما يفيد أن هناك حشراً قبل الحشر الأكبر وفيه روايات عن أهل البيت، وقد عقد الشيخ الصدوق في كتابه الاعتقادات فصلاً عن الرجعة ذكر فيه دلالة الآيات والأحاديث على ذلك وقال في آخره مستدلاً بقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون) النحل/٣٨، ثم يقول بعد هذه الآية مباشرة: لبيّن لهم الذى يختلفون فيه، والتبيين إنما يكون فى الدنيا لا- فى الآخرة فالآية واردة فى الرجعة كما فهم منها الصدوق، إلى أن يقول الصدوق منبهاً إلى أن البعض قد يفهم من عقيدة الشيعة القول بالتناسخ فيقول فى ذلك والقول بالتناسخ باطل ومن دان بالتناسخ فهو كافر لأن فى التناسخ: إبطال الجنة والنار، إنتهى كلامه [١٣٦]. فالمسألة فى الرجعة إذاً لاتعدو فهماً من كتاب الله تعالى بإمكان وقوع رجعة فى فترة معينة وكل ذلك لا يستوجب هذه الجلبة والوضوء فى كتب السنة، وكم [صفحة ١٠٣] من آراء لأهل السنة سنمر إن شاء الله على بعضها وهى قد تستوجب ضجة ولكن كتاب الشيعة يعالجونها من زاوية علمية بدون تهريج ويحترمون فهم كل كاتب ما دام له منشأ انتزاع من نص من القرآن أو السنة، وأعود بعد ذلك للشهرستانى فهو عندما يعدد الأئمة يقول: إن الشيعة ساقوا الإمامة بعد موسى بن جعفر فقالوا والإمام بعده على بن موسى الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي وهو بمقابر قریش ثم بعده على بن محمد النقى وهو مشهده بقم، وبعده الحسن العسكري الزكى وبعده ابنه محمد القائم المنتظر، هذا هو طريق الإثنى عشرية [١٣٧] وكل الباحثين يعلمون أن الشيعة لا يقولون إن ابن محمد النقى مدفون بقم لأنه مدفون بسامراء ويزوره الآن الناس والمدفونه بقم شقيقة الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. ٢- ابن حزم الأندلسى: هذا النموذج الثانى الذى أقدمه وهو من الذين سلطوا لسانهم على المسلمين إته على بن أحمد بن حزم الأندلسى الفارسى وهو من موالى يزيد بن معاوية وحسبه بذلك شرفاً وأول من دخل الأندلس من أجداده جده خلف. وكان ابن حزم فى أول أمره شافعيّاً ثم انتقل إلى الظاهرية، وله كتب كثيرة منها الفصل فى الملل والنحل والمحلى وغيرهما، ولهذا الرجل قدرة عجيبة على الإفتعال والإختلاق وله جرأة فى التهجيم على الناس تكشف عن عدم ورع وعدم التزام بالصدق وسأذكر قبل ذلك أقواله آراء قومه فيه وتقييمهم له: فقد قال فيه أبو العباس بن العريف: إن لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. وقال مؤرخ الأندلس أبو مروان بن حيان فيما كتبه عنه فى فصل طويل منه قوله: ومما يزيد فى بغض الناس له حبه لبنى أمية ماضيهم وباقيةم واعتقاده بصحة إمامتهم حتى نسب إلى النصب. وقال ابن العماد الحنبلى كان ابن حزم كثير الوقوع فى العلماء والمتقدمين لا [صفحة ١٠٤] يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت منه القلوب. ويقول عنه مصطفى البرلسى البولاقى: أما ابن حزم فالعلماء لا- يقيمون له وزناً كما نقله عنهم المحققون كالتاج السبكي وغيره لأنه وأصحابه ظاهريه محضه تكاد عقولهم أن تكون مسخت ومن وصل إلى أن يقول إن بال الشخص فى الماء تنجس، أو فى إناء ثم صبه فى الماء لم يتنجس، كيف يقام له وزن ويعد فى العقلاء فضلاً عن العلماء، ولابن حزم هذا وأضرابه من أمثال هذه الخرافات الشئ الذى لا ينحصر، ومن تأمل كذبه عن العلماء ولا سيما إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري علم أن الأولى به وبأمثاله أن يكونوا فى حيز الإهمال وعدم رفع رأس لشيء صدر منه، راجع فيما كتبناه عن ابن حزم المراجع أدناه فقد أفاضت فى ترجمته وشرح حاله [١٣٨]. وبعد شهادة هؤلاء الأعلام التى هى فى الواقع رمز لمحصلة الآراء عن ابن حزم عند العلماء فإننى لا أستكثر عليه أن يقول فى آخر الفصل الذى كتبه عن الشيعة: والقوم يعنى الشيعة بالجملة ذووا أديان فاسدة وعقول مدخولة وعديموا حياء نعوذ بالله من الضلال [١٣٩]. فإذا كان هذا وأمثاله كالشهرستانى هم الذين

يكتبون عن عقائد وفقه وسلوك الفرق الإسلامية فهل يمكن للأجيال أن تثق بتاريخها وسيرة أسلافهم والأنكى من ذلك أن الذين ينتقدون الشهرستاني وابن حزم وأمثالهما فإنهم إنما يحملون عليهم إذا خزوهم أو شتموهم، أما إذا شتم الشهرستاني وابن حزم غيرهم كالشيعة مثلاً فهو صادق وتؤخذ أقواله ولا تثير حساسية. [صفحة ١٠٥] مثال ثالث وسترد علينا أمثلة لذلك، ولكنني أستعجل لك مثلاً واحداً منها يعيش في القرن العشرين في عصر الذرة وتحت أروقة جامعة حديثه وهو محمد حسن هيتو محقق كتاب المنحول للغزالي فإن هذا الرجل عندما يمر ببعض المواقف الحديثة للغزالي من بعض المذاهب الإسلامية كالإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل والإمام أبي حنيفة فيذكر بعض آرائهم ناقداً لها حيناً ومستهجناً حيناً آخر، مثلاً يذكر الغزالي عن أبي حنيفة رأيه في أقل الصلاة وهي: وضوء بالنيذ في أولها وحدث في آخرها للخروج منها وبين ذلك نقر كنقر الغراب واكتفاء من القراءة بكلمة مدهاماته باللغة الفارسية إلى آخر ما ذكره عن أقل الصلاة في رأى أبي حنيفة، وكما ذكر رأى مالك ببجواز قتل ثلث الناس إذا كان ذلك يؤدي إلى صلاح الثلثين الباقين، وهكذا آراء بعض الأئمة التي ذكرها. إننا في مثل هذا نرى محمد حسن هيتو يقع في ورطة فلا يدرى أينفى ذلك وفيه تكذيب للغزالي، أم يثبت ذلك وفيه طعن على أئمة المذاهب، فتراه مرة يقول إن هذه الأقوال نتيجة لمرحلة مربها الغزالي، وتخلص منها بعد ذلك، ومرة يقول إن الغزالي فرد من مدرسه تؤيد أهل الحديث وتطعن في أهل الرأى وإن ذلك تعصب أفلع عنه الغزالي بعد ذلك كما هو واضح في مؤلفاته التي صدرت بعد ذلك كالمستصفي المتأخر عن المنحول، وعلى أن هذا الإعتذار لا يحل المشكلة التي هي كون الغزالي إما صادقاً وإما كاذباً. إن الذي يعيننا هنا أن هيتو إذا مرّ الغزالي بالرافضة وشتمهم لا نجده يعلل ذلك الشتم بعصبية أو غيرها كأن الشيعة يستأهلون الشتم بدون نزاع وكأنّ الحرص على وحدة المسلمين ليس من موارد هذا المورد هذا إذا كان الشيعة مسلمين في نظر هؤلاء وإلا فالمسألة سالبة بانتفاء الموضوع كما يقول علماء المنطق، وعلى كل ألفت نظر إلى ما كتبه هيتو عن الغزالي [١٤٠] والله المستعان على ما يصفون. [صفحة ١٠٦] وعوداً على بدء نقول إن ما قدمناه من شواهد وأمثلة كافٍ في تحديد موقع السنة من الفرس وتحديد مكان التشيع من العروبة لمن يعتبر هذا سبباً وذلك فضيلة، أما المسلم الذي شعاره شعار القرآن فإنّ المسلمين عنده أكفاء بأموالهم ودمائهم وأعراضهم وأنسابهم، وإذا كانت هناك آثار متولدة من وحدة العرق والدم فإنها سواء عند الفارسي الشيعي والفارسي السني ولا يمكن التفرقة بين الشيء ونفسه، وإلى هنا نكون قد أعطينا صورة عن الهوية العرقية للتشيع والتسنن وبوسع طالب المزيد أن يتخذ من هذه الدراسة منهجاً وينحو هذا النحو في التوسع بالدراسة المختصة بهذا الموضوع. [صفحة ١٠٧]

اسباب رمى التشيع بالفارسية

للإجابة على هذا السؤال نقول

إنه لا- خصوصية لهذه التهمة بالفارسية، وإنما هي صورة من صور رمى التشيع بكل ما هو مكروه، ولما كانت العلاقات بين الفرس والعرب قد ساءت بعد أن امتد نفوذ الفرس في دولة الإسلام كما أشرنا إليه سابقاً شاء أعداء الشيعة أن يرموهم بالفارسية ليضيفوا إلى قوائم التهريج قائمة أخرى هذا من جانب ومن جانب آخر لما كان الشيعة منذ فترة تكوينهم من المعارضين للحكم لأنهم يرون أنّ الخلافة بالنص وليست بالشورى وأنها لعلّي عليه السلام وولده وإنما تنازل عنها وسكت حرصاً على مصحلة المسلمين وتضحية بالمهم في سبيل الأهم وقد حفظ ذلك بيضة الإسلام، وأنّ عقيدتهم هذه جرّت عليهم الملاحقة خصوصاً أيام معاوية وما تلاها إلى العصور المتأخرة، وللإمعان بالتنكيل بهم وإبعادهم عن الساحة حشدت لهم السلطات كل ما تملك من وسائل التحطيم المادي منها والمعنوي فاعتبرتهم خوارج عن جسم الأمة، ونسبت إليهم من الآراء ما هو يبعد عن روح الإسلام وصورتهم بأنهم دعاة فوضى ولاحتقتهم بكل صنوف الملاحقة وكان من ذلك أنّها استغلت الشعور الملتهب ضد الفرس منذ أيام الإحتكاك بين العرب والفرس فرمتهم بأنهم ورثة

الفرس وحملته عقائدهم فأضافتها إلى قائمة التهم التي أصبحت لا تعد ولا تحصى وأخذ كل خلف يضيف إلى القائمة التي وضعها السلف بدون تحرج ولا رادع من مسؤولية أو ضمير وأين المسؤولية والسياف [صفحة ١٠٨] والقلم والحكم والأموال بيد خصوم الشيعة، وانتهى الأمر إلى أن تنفجر العبقريات بألوان الإختلاق، وأصبح كل حامل سلاح لا يعرف مدى مضائه يجربه بجسم الشيعة، وكل من لا يعرف نفسه يتحسس بطولتها بالسباب والتهم على الشيعة، وبالإختصار أصبح الشيعة مختبراً لممارسة البطولات من كل حامل سلاح حتى ولو كان سيفه مثلوماً ويده ترتعش.

في رمى الشيعة بالفارسية

هو ما ألمحت إليه سابقاً من أن الفارسية ما كانت سبة يوم كان الفرس سنة وإنما عادت سبة يوم تشيع قسم من الفرس ودليل ذلك أنك ترى الطبقة الأولى والثانية من الذين تهاجموا على الشيعة وكالوا لهم التهم لم يضعوا في قائمتهم تهمة الفارسية وبوسعك الرجوع إلى ما كتبه ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد بالفصل الخاص بالشيعة وارتجل لهم المثالب والمطاعن فيه فإنك لا تجد هذه التهمة ضمن التهم [١٤١] وكذلك لو راجعت ما كتبه الشهرستاني في ملله ونحله وما ذكره عن الشيعة فسوف لا تجد تهمة الفارسية من التهم التي ساقها [١٤٢]. وأما شيخ أهل السباب وصاحب اللسان الذي ما عرف الورع فإنه برغم ما صال به وجال وبرغم ما أملاه عليه الهوى فإنه لم يذكر للشيعة هذه التهمة [١٤٣]. نعم ذكر ابن حزم أن هناك أفراداً من الفرس شيعة في بعض استطراداته حتى جاء المقرئ في القرن التاسع فرام أن يصور أن التشيع فارسي فالمسألة جاءت متأخرة [١٤٤] وهكذا المتأخرون عن هذه الطبقة لم ترد في قوائمهم هذه التهمة وإنما جاءت من بعد القرن التاسع وبدء القرن العاشر، والغريب أن يكون بعض فرسان هذه الحملة من الفرس أنفسهم أرادوا أن يظهروا أنفسهم بأنهم أحرص [صفحة ١٠٩] على العروبة من العرب أنفسهم ورحم الله من يقول: رفقاً بنسبه عمرو حين تنسبه ++ فإنه عربي من قوارير ولا أستبعد أن له هدفاً خبيثاً من وراء ذلك وبذلك كانوا أساتذة للمستشرقين كما سيأتي:

في رمى الشيعة بالفارسية

يكمن في قوة استدلال الشيعة بأن الخلافة بالنص وليست بالشورى، لأن القائلين بالشورى يستدلون بقوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) الشورى/٣٨، وبقوله تعالى: (وشاورهم في الأمر) آل عمران/١٥٩، مع أن الآيتين أجنبيتان عن الموضوع لأن قوله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) مدح للأنصار الذي كانوا قبل الإسلام إذا أرادوا عمل شيء تشاوروا فيما بينهم ولم يستبدوا بأرائهم، وأما قوله تعالى «وشاورهم» الخ فإنه أراد تطيب قلوبهم وإشعارهم بأنهم أهل للمشاورة ليرفع من معنوياتهم فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشاورهم في أمور الحرب وبعض الأمور الدنيوية وبوسع القارئ الرجوع إلى التفاسير المحترمة مثل تفاسير الفخر الرازي والكشاف للزمخشري، ومجمع البيان للطبرسي وغيرهم فإن كل هؤلاء نصوا على ما ذكرته وقالوا: إن مشاورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين فيما لم يرد فيه نص وذلك عند تفسيرهم للآيتين المذكورتين. فالآيتان لم يتزلا في تشريع منهج لاختيار الإمام عن طريق الشورى وإنما أراد بعض الباحثين أن يستفيد من الآيتين ما يلي: بما أن الخلافة سكت عنها النبي ولم ينص على أحد وبما أن القرآن يمدح الشورى بالأمور المهمة فنرجع فيه إلى منهج الشورى [١٤٥] أما الشيعة فقد رفضوا هذا وذهبوا إلى: أولاً: أن النبي كان إذا أراد الذهاب في سفر لا يترك المدينة بدون خليفة [صفحة ١١٠] عليها لو كان سفره ليوم واحد فكيف يترك أمور الناس من بعده بدون راع. وثانياً: من الثابت أن الشريعة الإسلامية تفرض الوصية على المسلم حتى بعض الميراث البسيط وفي تلك يقول القرآن الكريم في سورة البقرة - الآية/١٨٠: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين) فكيف يترك هذا الأمر المهم بدون أن يوصى به والحال أن استقرار الأمة متوقف على ذلك وبدون ذلك يؤول الأمر إلى التنازع. ثالثاً: تظافت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الإمامة بجعل من الله ومن ذلك قوله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا)

سورة الأنبياء/٧٣. وقوله تعالى: (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة) القصص/٥. وقوله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) السجدة/٢٤. هذه بعض الآيات التي يستدل منها على أنَّ الإمامة بجعل من الله تعالى. بالإضافة إلى نصوص النبي على الإمام من بعده ومن ذلك موقفه يوم الغدير عندما نزل عليه قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ من أنزل إليك من ربك) المائدة/٧٠، فجمع النبي الناس وخطب خطبته المعروفة وقال في آخر خطبته: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: اللهم فاشهد وأنت يا جبرئيل فاشهد وكررها ثلاثاً، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ورفعته حتى بان بياض إبطينهما للناس وقال: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والعن من نصب له العداوة والبغضاء» إلى آخر الواقعة. وقد روى هذا الموضوع مائة وعشرون صحابياً وأربعة وثمانون تابعياً وكان عدد طبقات رواته من أئمة الحديث يتجاوز ثلثمائة وستين راوياً وقد أُلِّف في هذا [صفحة ١١١] الموضوع من الشيعة والسنة ست وعشرون مؤلفاً وقد غطوا كل جوانب الموضوع أشبعوه بحثاً وتمحيصاً فراجع [١٤٦]. وبالرغم من وفرة مصادر هذا النص ودلالته الواضحة فإنك لا تعدم من يؤوِّل هذا النص تأويلاً سخيلاً، أو من يقول أنَّ حديث الغدير لم يرد إلا في كتب الشيعة كما يقول أحمد شلبي في مؤلفاته، وقد تسمع من يقول إنَّ الشيعة دسوا هذه الروايات في كتب السنة وأمثال ذلك من تافه الكلام الذي هو أشبه بخرافات العجائز وعلى العموم إنَّ موضوع الإمامة كتب فيه عشرات الكتب وهو ليس من صلب موضوعي وإنما فرضته المناسبة استطراداً، وقد اتضح من هذا أنَّ الشيعة يستندون إلى النص في مسألة الإمامة دون نظرية الشورى، وذلك لأنَّ الشورى لا سند لها من الكتاب والسنة في نظرهم وإنما هي مجرد اجتهاد من المسلمين الذين ظنوا أن لا نص هناك ثم أنَّ الشيعة يتسائلون أين هي الشورى وما هي أركانها وشروطها وكيفيةها وهل تحققت في أيام الخلفاء ونصب الخلفاء بموجبها أم لا مع أننا نعلم أنَّ الذين بايعوا الخليفة الأول بالسقيفة اثنان هم الخليفة الثاني وأبو عبيدة، وعلى رواية أخرى إنَّهم أربعة كما يروى ذلك الحلبي في سيرته والبخاري في باب فضل أبي بكر ولذلك ذهب أهل السنة إلى أنَّ الإمامة تنعقد ببيعة اثنين من أهل الحل والعقد فإنَّ هذه النظرية واضحة منها أنَّها تصحيح للموقف يوم السقيفة ورفع للتناقض في منهج الشورى نظرياً وتطبيقاً فإنه لا عاقل يمكن أن يتصور انتخاب خليفته من قبل اثنين فقط وهذا الإثنان يتم تمثيل المسلمين بهما، وللتأكيد من عدد المبايعين ونظرية عدد أهل الحل والعقد راجع المصادر التالية [١٤٧]. ولقد صورت البيعة خير تصوير صادق كلمة الخليفة الثاني إنَّ خلافة أبي [صفحة ١١٢] بكر فلتة وقي الله شرّها فإنَّ تعبير الخليفة عنها أنَّها فلتة يؤكد أنَّها لم تكن عن منهاج سابق [١٤٨]. لقد بايع الإثنان ثم بعد ذلك تمت البيعة كما رسمها المؤرخون ولم تتعد بعض أرباض المدينة فهل كانت شورى تتقوم باثنين أو حتى بالمدينة كلها مع أنَّ مفاد قوله تعالى (وأمرهم شورى) يتناول المسلمين كافة وإذا كانت لا تتناول المسلمين كافة فلا تهنض بالدليل كما هو واضح، وأروع من ذلك كله أن ترى فقيهاً من فقهاء أهل السنة يقول: إنَّ معنى الشورى يتحقق ولو ببيعة رجل واحد، وهو ابن العربي المالكي وذلك في تفسيره لمعنى الشورى. ثم يرد تسأول آخر هو هل أنَّ الخليفة الثاني جاء إلى الحكم عن طريق الشورى أم عن طريق تعيين الخليفة الأول له كما هو واقع الحال؟ [١٤٩] ويتساءلون ثالثاً هل أنَّ الخليفة الثالث جاء إلى الحكم عن طريق الشورى أم عن طريق خمسة عينهم الخليفة الثاني لو يؤيده منهم إلا ثلاثة [١٥٠] إنَّ كل باحث موضوعي لا يمكن أن يستند إلى صدور نظرية الشورى عن الشريعة الإسلامية لا- نظرياً ولا تطبيقياً. والآن لنرجع للأمر الثالث فنقول إنَّ نظرية الشورى لما كانت غير ناهضة بينما نظرية التعيين تقف على أرض صلبة أراد البعض أن يبعد هذه النظرية عن إطارها الإسلامي فافتراض أنَّها نظرية كان يذهب إليها الفرس ويرون أنَّ ملوكهم حكموا بالحق الإلهي وحيث أنَّ الحسين صاهر الفرس فتزوج بنت يزدجرد انتقل إليه هذا الحق الإلهي وقد سبق استعراض هذا المعنى في أول الكتاب. فالهدف إذاً دفع نظرية النص والوصاية عن كونها من الإسلام وجعلها من مورثات الفرس التي نقلوها معهم لما دخلوا إلى التشيع، فإذا قلت لهؤلاء إنَّ الوصاية ثبتت بنصوص قبل دخول الفرس للإسلام قيل لك إنَّ هذه الروايات دسها الشيعة في كتب السنة فإذا ذكرت لهم عدة طرق للرواية قيل لك إنَّ الوصية [صفحة ١١٣] التي تذهبون إليها إنما هي في أمور بسيطة بيتية وليس لها صلة بموضوع الخلافة وهكذا، هذه في نظري أهم الأسباب التي رمى التشيع بالفارسية من

أجلها وهو زعم أصبح يفند نفسه بنفسه لوجود الواقع الخارجى الذى يعين هوية التشيع بصورة مجسدة، جاء المستشرقون بعد ذلك فضربوا على هذا الوتر ومعهم تلاميذهم يرقصون على أنغامهم إن أهداف كثير من المستشرقين لا تخفى لأنها تستهدف صيد عصفورين بحجر، فإن الهدف الأساسى ضرب وحدة المسلمين، وبعد ذلك تزييف ركائزهم الفكرية، لأجل ذلك تجد كتب المستشرقين تؤكد على هذه النقطة وترتب عليها آثاراً كثيرة، وكأن هذا الموضوع مختص بالشيعة فقط أما السنة الفرس فهم محروسون من أن يتدسس إليهم الفكر الفارسى حتى ولو كان ثمانون بالمئة من الفرس منهم. ولست أنفى أن تكون هناك أسباب أخرى لرمى الشيع بالفرسية قد يكون منها أحياناً بعض الإستنتاجات المخطئة أو سوء الفهم الذى يعتبر كل التقاء بين نظريتين هو تأثير وتأثر وقد يكون صدفة، إن مجرد التقاء نظرية للشيعة مع نظرية للفرس لا يشكل مبرراً بحال من الأحوال لاعتبار الفكر الفارسى مصدر العقائد الشيعية، لوضوح أن الفكر الدينى فى العقائد والأحكام مصدره الكتاب والسنة، فى حين أن نظريات الفرس هى نظريات وضعية لا تستند إلى الشريعة واحدة أو متعددة حتى يقال إن هؤلاء أخذوا من هؤلاء.

كيف صار الفرس شيعة

إذا حاولنا مسح الأبعاد التاريخية البيئية للفرس نجد أن من تشيع منهم يقسمون أقساماً: ١- القسم الأول: وهو القسم الذى تشيع بعملية انتقاء واختيار عن طريق الصاحبه الذين رافقوا عمليات الفتح ونقلوا معهم عقائدهم وفكرهم الشيعى وقد ساعد على [صفحة ١١٤] ذلك أن اعتناق التشيع آنذاك لا يسبب لهم ضرراً لأن العملية كانت شيئاً طبيعياً وبعدهم عن مواطن الإحتكاك ولأن الفكر كان ضمن نطاق الأمور العقائدية ولا يتجسد فى فعاليات سياسيه ومن أبرز مواطن التشيع فى هذا القسم خراسان، ثم قم بعد ذلك. ٢- القسم الثانى: هم الذين تشيعوا تعاطفاً مع الشيعة الذين نالهم الإضطهاد بعد ذلك وهذا القسم جمعه الإضطهاد معهم لأنه كان مضطهداً ومن هؤلاء الموالى فى قسم كبير منهم ممن كان داخل بلدان الخلافة أو الذين لحقهم الإضطهاد داخل إيران وقد بدأت تصل إليهم أفواج من المهجرين المضطهدين لأجل تشيعهم والذين دفع منهم زياد بن أبية خمسين ألفاً إلى خراسان حتى يخلص الكوفة من العناصر الشيعية الصلبة [١٥١] والإضطهاد قرابة أحياناً، وكان بعد ذلك أن تمازجت أفكارهم بعد التقاء مشاعرهم وصار الفكر متبادلاً بينهم وساعد على ذلك استمرار الإضطهاد فترات امتدت طويلاً والعقائد كثيراً ما يرسخها الإضطهاد. ٣- القسم الثالث: الذين تشيعوا عن طريق اللقاء الثقافى المعمق لأن الشيعة اضطروا إلى تعميق ثقافتهم وولوج مختلف ميادين المعرفة للدفاع عن وجودهم والذود عن عقائدهم بالنظر إلى تعرضهم إلى وضعيات شرسة خصوصاً وأن الحكم ووسائل القوة ليست بأيديهم، وكان أن استهوت ثقافتهم قطاعاً كبيراً من الفرس نظراً لخلفتهم الحضارية ونهوض الحجة فى نظرهم لكثير من معتقدات الشيعة التى لم يدعمها سيف لا- بريق مال ولا طمع فى حكم بل لمجرد الإقتناع بصحة أدلتهم. ٤- القسم الرابع: هم الذين دخلوا التشيع مع التيار الذى صنعه الحكام وأعلنوا ضروره [صفحة ١١٥] العدول إلى مذهب الشيعة وهؤلاء قلته يعتد بها وقد تظاهرت بذلك لأنه لا يمكن للعقائد أن تفرض فرضاً وذلك حينما أعلن خدابنده ثم الصفويون فى بداية القرن العاشر رسميه المذهب الشيعى وذلك مثلما حدث لديار بكر وريعه التى كانت شيعة أيام الحمدانيين ثم حولهم الحكام إلى سنة، وكما حدث لمصر بعد حكم الفاطميين إذ حولت إلى سنة أيام الأيوبيين وكما حدث ذلك لكثير من البلدان. ولست أزعم أنه لا يوجد من قد يكون دخل التشيع وله أهداف غير سليمة وليس ذلك بذنب للتشيع فكثير من اليهود دخلوا الإسلام وتظاهروا بذلك وفى نفوسهم أهداف خبيثة ولا نعتبر الإسلام مسؤولاً عن ذلك كما أن هذه الفصيحة التى تدخل الإسلام أو التشيع ولها أهداف مسمومة لا تعدو أصابع اليد ولا تشكل خطراً بدليل أن جوهر الإسلام محفوظ رغم وجود أمثال هؤلاء، وليس من المنطق فى شىء أن نتزع حكماً عاماً على مذهب من المذاهب لأن بعض الأفراد المندسين فيه عرفوا بنظريات هدامه، لا سيما إذا كانت أسس المذهب واضحة لا تلتقى مع المندسين بشكل من الأشكال، فالإصرار على تحمل مذهب مسؤوليه فعل فرد مندس فيه عملية إما أن تكون مشبوهة وغير نظيفة وإما أن تكون بلهاء لا تتصرف بمقاييس. [صفحة ١١٩]

هوية التشيع العقائدية

التوطئة

قبل الولوج في صلب الموضوع لابد من الإشارة إلى نقاط يتعين البدء بها تجنباً عن الخلط الذي يقع فيه كثير من الباحثين لسبب أو آخر وينتهي الأمر إلى التجنّي على الحقائق وإلى الخلط وإلى أقوال هي بالهزل أشبه منها بالجد. والمؤسف أن مثل هذه الأقوال الهزيلة بقيت مع تاريخ كأنها حقائق مقدسة وكأنها مسلّمات لا تقبل النقاش يأخذها المتأخرون من المتقدمين بدون الرجوع إلى تمحيص أو إلى مقاييس، فما أعظم مسؤوليّة هؤلاء الذين رحلوا وخلفوا هذه التركة الموبوءة وهذا الزاد المسموم الذي ابتلى به المسلمون والله المستعان على الخلاص منه وهاهنا نقاط سنجعلها توطئة لهذا العنوان حتى إذا دخلناه فعلى بصيرة. ١ - النقطة الأولى: إنّ الشيعة الذين أكتب عنهم هنا وأذكر آراءهم أو أدافع عما ينسب لهم هم الإمامية الإثنا عشرية الذين يؤلفون الجمهور الشيعي اليوم والذين تملأ كتبهم مكتبات العالم وإن شئت فقل الذين تعيش أفكارهم فعلاً وتتجسد في سلوك حي، وتدوّن آراؤهم فعلاً في الفقه والعقائد والتاريخ، ولست أتكلم عن من يسمى شيعياً لغه لأنه ذهب إلى تفضيل عليّ عليه السلام على غيره فعرف بالتشيع من أجل ذلك وما عدى ذلك فليس له مضمون عقائدي أو فقهي في أبعاد التشيع، فهناك [صفحة ١٢٠] من سمي شيعياً وليس له من مضمون إلا أنه يعتقد أنّ علياً أفضل من غيره وأنه حيّ لم يمت انقرض هؤلاء الأشخاص من الوجود وهناك من يعدهم فرقة شيعية إلى الآن. إنّ مثل هذا القول يضحك ويبكي، فهو يضحك لأنّ مثل هؤلاء الأفراد يسمون فرقة، ويبكي لأنّ المسلمين وصل بهم الإسفاف إلى حد جعلهم يلتمسون أمثال هذه الحالات للتهريج بعضهم على بعض. ودعني أضرب لك مثلاً في مثل هذا الموضوع فانتبه له: فقد ذكر الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين: أنّ من فرق الشيعة فرقة الكاملية وقال عنها ما يلي بالحرف الواحد: وهم يزعمون أنّ الصحابة كلهم كفروا إذ فوضوا الأمر إلى أبي بكر، وكفر عليّ حيث لم يحارب أبا بكر، إنّ هؤلاء الأشخاص الذين لم يبين الرازي موقعهم ولا عددهم هم فرقة في نظره وكل مضمونهم الفكري هذه الكلمات الأربعة، ثم أنّهم يكفرون الإمام علياً وهم مع ذلك شيعة في نظر الرازي، هل سمعت بالأكوس عريض اللحية، إنه هؤلاء هل رأيت هذا التناقض شيعي يتشيع لعلّي وهو بكفر علياً، هل رأيت الخصومة كيف تنسى الإنسان حتى البدهيّات، وأي إنسان إنّه الرازي صاحب العقلية الكبيرة ومع ذلك يصل إلى حد الإسفاف اللهم إنا نعوذ بك الخذلان فراجع ما كتبه الرازي عن هذه الفرقة ونظائرها وقف بنفسك على هذا التناقض [١٥٢]. ٢ - النقطة الثانية: إنّ بعض ما يسميه كتاب الفرق بأنّه فرقة قد لا يتجاوز فرداً واحداً له رأى شاذ، وقد لا يتجاوز عدد أفراد الفرقة على أحسن الفروض عشرة أفراد، وقد يكونون منقرضين لا- يوجد لهم أثر إلا في مخيلة البعض أو في وريقات من كتب [صفحة ١٢١] مهجورة، فماذا تكون نسبة مثل هؤلاء إلى الأمة حتى يسمون فرقة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إذا كانت كل فرقة تؤاخذ برأى فرد شاذ منها ويسمى ذلك الشاذ فرقة فإنّ كل فرد أمة برأسه فلا يوجد شخص ليس له ما يمتاز به عن غيره في بعض الآراء السليمة، أما الآراء الشاذة فما دامت لا تعد من الآراء السائدة والمتعارف عليها عند الفرقة فلا تعتبر من آرائها وقد بادت بعض الفرق ومع ذلك فلا تزال آراؤهم تلقى على بعض من يعيش اليوم مع أنّه برىء منها. ٣ - النقطة الثالثة: يتحتم على كل كاتب إذا أراد أن يكون لرأيه وزن أن يشعر بمسؤولية الكلمة لما يترتب على الكلمة من آثار ولوازم ها خطرها وفعالها في المجتمع، فلا بد حين الكتابة من أن يعتمد على مصادر الفئه نفسها التي يكتب عنها على أن يكون ذلك المصدر أو الكتاب من الكتب المعترّبة عند الفئه والمتسالم عليها أنّها تمثل الفئه وتشكل محصل آرائهم وجماع مذهبهم كالصحيح عند السنّة والصحيح عند الشيعة فيما تسالموا عليه من رواياتها واعترفوا بصحته لا- كل ما يرد فيها فإنّ في كتب الصحاح عند الفرقين ما لا يعترف به [١٥٣] كل ذلك مع اعتقاد الموضوعية والبحث عن الحقيقة، فضلاً عن أن يكتب الباحث عن فرقة ويكون مصدره في البحث عنها من مؤلفات خصومها، وليت الخصوم الذين يستند إليهم ممن يعرف بالصدق والإستقامة ولكنهم يستندون إلى أقوال من عرف بالموضع والإفتعال وعدم التحرج في إرسال المسلمات

ويرتبون على كلامه كل الوازم لتلك الكلمات. وهذا وضع من شأنه أن يسقط كل أمثال هذه الكتب عن الإعتبار فمتى كان الكذب والوضع مصدرًا عن أحوال الناس والله تعالى نهانا عن تصديق الفاسقين. [صفحة ١٢٢] ٤ - النقطة الرابعة: أن يكون الكتاب الذي يؤخذ مصدرًا من الكتب ذات الإختصاص بموضوعه فلا- يمكن أخذ رأى فقهي لبعض الفرق من كتاب أدب أو قصص ولا تؤخذ عقيدة فئة من ديوان شعر كما رأينا البعض يفعله فإن لكل فرع من فروع المعرفة كتبًا تختص به فينبغي الرجوع إليها إذا كنا نتوخى الدقة فيما نكتب وإلا- فإن ما نكتبه سوف لا- يوصف بالعملية. إن الملاحظ أن كتب الأدب عندنا تحفل بالآراء العقائدية والفقهية ويتخذها كثير من الكتاب مصدرًا عما يكتبه من عقائد وأحكام الفرق، ولست أريد أن أقول إن جميع كتب الأدب عندنا لا يعتمد عليها كلا، وإنما المقصود أن الكتب ذات الإختصاص تكون ألصق بموضوعها وأكثر إحاطة وبذلك توفر مصدرًا موثوقًا. ٥ - النقطة الخامسة: إن معالجات كتاب الفرق فيما يقومون به من تقييم للفرق هي معالجات غير علمية وذلك لأن المفروض أن تكون العقائد والأحكام عند الفرق مصدرها واحداً من مصادر التشريع المعترف بها والتي تقرها الشريعة كالكتاب والسنة والإجماع وغيرها. فإذا ذهب الشيعة مثلاً إلى نظرية التعيين في الخلافه وأوردوا دليلاً من الكتاب أو السنة فينبغي النظر إلى دليلهم فإذا كان الدليل مستوفياً لشروط الصحة فيها وإلا نوقش الدليل علمياً. لا أن يقال: إن الفرس يرون لملوكهم حقاً إلهياً بالحكم وبما أن الشيعة يقولون بالنص لا الشورى فهم قد أخذوا ذلك من الفرس إن مثل هذا المنطق لا يصدر عن عقليته ناضجاً فمتى كان مجرد الإلتقاء مع الآخرين بنظرية معناه الأخذ منهم. إن الإسلام مثلاً يذهب إلى التأميم في حالات معينة إذا توقفت المصلحة العامة على ذلك والشوعية تذهب إلى التأميم فهل معنى ذلك أن الإسلام شيعي أو الشيوعية إسلام لأنها التفت مع الإسلام في موضوع معين. إنى أطلب من قارئ الكتاب أن يعود إلى كتب الفرق فإذا وجد [صفحة ١٢٣] فيها منطقاً غير هذا المنطق فليقل ماشاء، إن معظم أدلة ابن حزم والشهرستاني وابن عبد ربه الأندلسي ومن لف لفهم من هذا النمط، وبعضهم يصدر فتاوى بدون دليل وبدون شبهة من دليل وإنما هي مجرد استحسان انقذح في نفسه فأراد أن يدونه بدون مسؤولية. ودعني أضرب لك مثلاً واحداً ذلك هو أن المستشرق ولهوزن ذكر أن أصل الشيعة يهودي، واستند في ذلك إلى قول نسب للشعبي وقد نقله أصحاب كتب الفرق ابن حزم والشهرستاني وابن عبد ربه الأندلسي والقول المنسوب للشعبي هو:

قول للشعبي

قال الشعبي أهدرك الأهواء المضلة: شرّها الرافضة فإنها يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ولم يدخلوا الإسلام رغبة ولا- رهبة من الله إن محبة الرافضة محبة اليهود قالت اليهود لا- يكون الملك إلا في آل داود وقال الرافضة لا يكون الملك إلا- في آل علي، وقالت اليهود لا- يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح، وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشبك النجوم وكذلك الرافضة إنتهى بتلخيص [١٥٤].

تعقيبان

هذه القصة استعرضها الدكتور عرفان عبد الحميد في كتابه دراسات في الفرق وعقب عليها ناقداً ومزيفاً بالأمر التالفة: أولاً: إن العقد الفريد وتاريخ الطبري هي كتب أدب وتاريخ وليست كتب عقائد. وثانياً: إن الطبري استند في هذه الرواية إلى سيف بن عمر وهو كذاب [صفحة ١٢٤] متهم بالوضع وقد نصت على كذبه كتب الجرح والتعديل ولم تأخذ بأقواله في شيء. ثالثاً: إن الشعبي نفسه متهم بالتشيع فلا يصدر منه مثل هذا القول وإنما اختاروه فوضعوا على لسانه هذه القصة وقد عدّه ابن سعد والشهرستاني شيعياً [١٥٥] وأنا أضيف إلى ملاحظات الدكتور عرفان مايلي: أ - سؤال عن أنه هل لليهود صلاة يشترط فيها وقت الغروب؟ هذا من جانب والجانب الآخر هذه الكتب الشيعة كافة في الفقه وأنا أتحدى من يجد فيها رأياً واحداً يذهب إلى أن وقت صلاة المغرب عند اشتباك

النجوم وإنما إجماعهم أنه بعد غروب الشمس مباشرة ويحتاطون فيشترط بعضهم ذهاب الحمرة المشرقية فليراجع القارئ أى كتاب فقه من كتبهم. ب - أما الجهاد فإنّ باب الجهاد فى كل كتب الشيعة كقيل بالرد على هذه الفرية فإنّ حكم الجهاد عندهم أنّه قائم فى كل وقت بشروطه كما هو عند سائر الفرق الإسلامية. ج - أما كون الخلافة عندهم فى آل علىّ فليس ذلك منهم وإنّما هو استناد إلى أدلة الكتاب والسنة وقد تقدم بعضها وسيرد قسم آخر منها فى النظر فى أدلتهم والحكم عليها هل هى تامّة أم لا، ثم ينبغى توجيه هذا الإنتقاد للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم لأنّه قال: الأئمّة من قريش، كما يذهب لذلك جمهور المسلمين إنّ هذا النمط من الكلام يوقفك على عقليّة هؤلاء الكتاب الذين يكتبون عن الشيعة ومصدرهم قول وهمى ينسب إلى شخص قبل ألف سنة وبين أيديهم مصادر الشيعة ولا يرجعون إليها فما تسمى هذا؟ وبعد هذا الإستطراد نعود للهوية العقائدية عند الشيعة إنّها لا تختلف بشيء عما عند باقى فرق المسلمين إلا إذا استثنينا موضوع الإمامة وما يتصل به من صفات الإمام أما باقى نقاط الخلاف [صفحة ١٢٥] التى يفترق بها الشيعة عن باقى فرق المسلمين فإنّ ما بين المذاهب الأربعة أنفسهم من نقاط الخلاف أضعاف ما يوجد بين السنة والشيعة بل إنّ علماء المذهب الواحد وفقهائهم بينهم من الخلاف أكثر مما بين الشيعة والسنة بدون مبالغة، وربما يرد علينا ما يؤيد هذه الدعوى خلال البحث فى فقرات قادمة.

عقائدهم بأقلامهم

سأذكر هنا جملاً قصيرة عما كتبه علماء الشيعة أنفسهم عن آرائهم الدينية وعقائدهم لتكون مجرد مؤشر لمن يريد التوسع ويبحث عن الحقيقة بعيداً عن الأهواء والعواطف. ١ - ابن بابويه القمى: وكتابه «عقائد الشيعة» من الكتب الرائدة فى هذا الميدان وقد ضمنه كل عقائد الشيعة بدون موارد التى يرجع إليها بالإضافة إلى أنّ الرجل من أساطين المذهب وعمالقة الطائفة. وهذه نبذة عما كتبه عن عقيدة الإمامية بالألوهية قال: إعتقادنا بالتوحيد: أنّ الله تعالى واحد ليس مثله شيء قديم لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيماً حياً قيوماً عزيزاً قدوساً عالماً قادراً. لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض، خارج عن الحدين حد الإبطال وحد التشبيه. واعتقادنا فى القرآن: أنّه كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه وأنّه لا- يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنّ القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما فى أيدي الناس بأكثر من ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول إنّ أكثر من ذلك فهو كاذب - هذا ما كتبه ابن بابويه الذى عاش وسط القرن الرابع وتوفى سنة ٣٨١ هـ [١٥٦]. [صفحة ١٢٦] ٢- الشيخ المفيد محمد بن النعمان قال فى «أوائل المقالات»: إنّ الله عز وجل واحد فى الإلهية والأزلية لا يشبهه شيء وا يجوز أن يمثله شيء وإنّه فرد فى المعبودية لا ثانى له فيها على الوجوه كلها والأسباب، على هذا إجماع أهل التوحيد إلا من شذ من أهل التشبيه، وإنّ الله عز وجل حتى لنفسه لا بقاء، وعالم لنفسه لا كما ذهب إليه المشبهه وقادر لنفسه، وأقول إنّ القرآن كلام الله ووحيه وإنّه محدث كما وصفه الله تعالى، وأمنع من إطلاق القول عليه بأنّه مخلوق، وإنّ الله عالم بكل ما يكون قبل كونه، وانه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا- وهو عالم بحقيقته، ولا- يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء لهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور. ثم تحدّث الشيخ المفيد وأشار إلى قول من يدعى أنّ القرآن حذف منه شيء فأول هذا القول بأنّ المحذوف هو الشروح والتفسيرات ولا شيء من أصل القرآن محذوف وذكر أنّه من الذاهيين إلى هذا رأى فقال فى ذلك: وقال جماعة من أهل الإمامة إنّهم لم ينقص من آية ولا من كلمة ولا من سورة ولكن حذف ما كان مصحف علىّ من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزله، وذلك كان ثابتاً وإن لم يكن من كلام الله تعالى وقد يسمى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى: - (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) [١٥٧] فقد سمي تأويل القرآن قرآناً، وعندى أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادعى نقصان كلم نفس القرآن [١٥٨]. ٣- السيد محسن الأمين العاملى قال: وعقيدة الشيعة أنّ كل من شك فى وجود البارى أو وحدانيته، أو نبوة [صفحة ١٢٧] النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أو جعل له شريكاً فى النبوة فهو خارج عن دين الإسلام، وكل من غالى فى أحد من الناس من أهل

البيت أو غيرهم وأخرجه عن درجة العبودية لله تعالى، وأثبت له نبوة أو مشاركة فيها، أو شيئاً من صفات الإلهية فهو خارج عن رتبة الإسلام، والشيعة يبرأون من جميع الغلاة والمفوضة وأمثالهم. إنتهى بتلخيص [١٥٩]. ٤ - محمد رضا المصطفى قال: نعتقد أن الله واحد ليس كمثل شئ قديم لم يزل ولا يزال الأول والآخر، عليم حكيم عادل قادر حي غني سميع بصير لا- يوصف بما توصف به المخلوقات، ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات بأنه واحد في ذلك وصفاته عين ذاته، وكذلك يجب توحيد في العبادة، ونعتقد أن النبوة وظيفه إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله لمن يختاره من عباده الصالحين فيرسلهم إلى سائر الناس لإرشادهم، ونعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ويجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة، وهي كالنبوة لطف الله تعالى. ونعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، لا يعتربه التبديل والتغيير والتحريف، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط وكلهم على غير هدى فإنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا- من خلفه [١٦٠]. هذه أربع مقتطفات أوردتها بتلخيص لتكون مؤشراً لمن يريد التوسع في معرفة عقائد الشيعة وليرجع إلى المؤلفات في ذلك وراعى فيها أن تكون ممتدة على أبعاد التاريخ الشيعة فإن اثنين ممن ذكرتهم وهما الصدوق والمفيد عاشا في القرن الرابع أما الآخرا فقد عاشا في القرن الرابع عشر. ومن المضحك حقاً بأن ن سجل أننا قوم مسلمون ولكن كثيراً من الأمور المضحكة قد يرغم الإنسان [صفحة ١٢٨] على علمها بحكم الضرورة فما نصنع ونحن ما زلنا هدفاً للرماء وأيسر ما نرمى به هو ما يخرج عن الإسلام وما يؤدي إلى الكفر. وقد أردت بوضع هذه المقتطفات في صدر البحث لتكون مجرد مذكر للقارئ وهو يمشى معي بهذه المسيرة التي سألطعه خلالها على ما ينسب للشيعة من دواهي، والقارئ الذي أقصده هو القارئ السني خاصة من دون باقي القراء لأن في ذهنه عن الشيعة صور من العسير جداً انتزاعها بسهولة إلا أن أملى بعون الله وإخلاص قصدي في تخليص هذا الطريق من الشوائب يفتح لي باب أمل في وضع لبنه بصرح وحدة المسلمين. [صفحة ١٢٩]

عبدالله بن سبأ

إشارة

بالرغم من وفرة المصادر عن الشيعة وبالرغم من خطورة موضوع الكتابة عن العقائد، وبالرغم من الواقع المجسد للشيعة من مؤسسات دينية وفعاليات عقائدية ومساجد تردد كلمة التوحيد ليل نهار برغم ذلك كله فإننا ما زلنا نرى من يكتب عن الشيعة يترك هذا الواقع القائم وراء ظهره ويولي وجهه شطر كتابات صدرت من قوم كتبوا ومن خلفهم دوافع غير سليمة لمختلف الأسباب فبدلاً من أن يعودوا إلى مؤلفات الشيعة أنفسهم رأيناهم يرجعون إلى أقوال صاغها الوهم وافترضها الحقد وخلقتها الخصومة وقد يكون الجهل أحد عوامل وجودها. ومما افترضه هؤلاء الكتاب بأن عقائد الشيعة الأساسية وضعها يهودي حاقد اندس في صفوف المسلمين اسمه عبدالله بن سبأ. وهذا العبد المفترض موضوعه طريف جداً، فقد صنعه قوم واخترعوه اختراعاً وأعطوه من الصفات والنعوت ما هو من المعجزات وصنعوا له من القابليات ما لا يمكن نسبه إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجن وما تعجز عن تحقيقه أمة قوية فضلاً عن فرد وإن مثل هذا الكلام يجسد فجيعتنا بعقولنا قليل أن يجسد هذه الخرافات في تاريخنا وسنرى من الذي حاك عبدالله بن سبأ، ومن هو وما الذي عمله، ولماذا تربط الشيعة به. [صفحة ١٣٠]

من الذي حاك عبدالله بن سبأ

إن الذي يريد التعرف على مصدر ولادة عبدالله بن سبأ سيجد أنه ولد من روايات الطبري وروايات الطبري تستند في هذا الموضوع على ركيزتين هما: أ - الركيزة الأولى: سيف بن عمر وتقول عنه كتب التراجم ما يلي بالحرف الواحد. يقول ابن حيان كان سيف بن

عمر يروى الموضوعات عن الأثبات وقالوا إنه كان يضع الحديث واتهم بالزندقة، كما يقول عنه الحاكم النيسابورى اتهم سيف بالزندقة وهو بالرواية ساقط، ويقول عنه ابن عدى: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكراً لم يتابع عليها، ويقول عنه ابن معين ضعيف الحديث فليس فيه خير، وقال ابن حاتم متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال عنه أبو داود صاحب السنن ليس بشيء، وقال عنه النسائي صاحب السنن: ضعيف، وقال عنه السيوطي إنه وضاع وقال محمد بن طاهر بن عليّ الهندي عنه: سيف بن عمر متروك اتهم بالوضع والزندقة وكان وضاعاً [١٦١]. ب - الركيذة الثانية: السرى بن يحيى كما يسميه الطبرى، وهو ليس بالسرى بن يحيى الثقة، لأنّ السرى بن يحيى الثقة يكون زمانه أقدم من الطبرى فقد توفى ١٦٧ سنة هـ فى حين ولد الطبرى سنة ٢٢٤، فالفرق بينهما سبعة وخمسون عاماً، ولا يوجد عند الرواة سرى بن يحيى غيره، ولذلك يفترض أهل الجرح والتعديل أنّ السرى الذى يروى عنه الطبرى يجب أن يكون واحداً من اثنين: كل منهما [صفحة ١٣١] كذاب وهما: السرى بن إسماعيل الهمداني الكوفي وهو أولهما، وثانيهما السرى ابن عاصم الهمداني نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٥٨، والذى أدرك ابن جرير الطبرى وعاصره أكثر من ثلاثين عاماً. وكل من هذين قد كذبه أهل الحديث واتهموه بالوضع فقد كذبهما صاحب تهذيب التهذيب، وصاحب ميزان الاعتدال، وصاحب تذكرة الموضوعات، وصاحب لسان الميزان، وغيرهم واتهموا كل واحد منهم بالوضع ويوسع القارئ مراجعة المصادر التى ذكرتها فى ترجمته المذكورين [١٦٢] وقد ذكر النقاد للطبرى سبعاً حديثاً وحديثاً واحداً، وهذه الأحاديث تغطى زمن الخلفاء الثلاثة وأسانيد هذه الروايات كلها عن السرى الكذاب، وعن شعيب المجهول وعن سيف الوضع المتهم بالزندقة. ومن تلك الروايات رواياته فى أحوال عبدالله بن سبأ وسنده عن شعيب وعن سيف بن عمر، وكل من كتب عن عبدالله بن سبأ فهو عيال على الطبرى وعنه أخذ وإليه استند [١٦٣] ومن ذلك تعرف مقدار ما فى موضوع عبدالله بن سبأ من وثاقه وصدق وفى رأيه أنّ من العبث أن نلفت أنظار هؤلاء الذين يصرون على وجوده وما قام به من أعمال لأنهم يوجدونه حتى لو لم يكن موجوداً وذلك لأمر فى نفوسهم. ١ - من هو عبدالله بن سبأ: للتعرف على هوية عبدالله بن سبأ سوف أبدأ بالمنبع الأساس وهو تاريخ الطبرى وأعقبه بباقي المصادر عنه، وسأقل قول الطبرى من خلال ما نقله أبو زهرة، قال: كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم أيام عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول إضلالهم فبدأ ببلاد الحجاز ثم البصرة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أنّ عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً [صفحة ١٣٢] يرجع وقد قال الله تعالى: (إنّ الذى فرض عليك القرآت لرادك إلى معاد) القصص ٨٥. ثم أنّ محمداً أحق بالرجعة من عيسى، ثم قال ذلك إنه كان ألف نبى ولكل نبى وصى وعليّ وصى محمد، ومحمد خاتم النبيين وعليّ خاتم الأوصياء [١٦٤]. وهنا نقاط ذكرها أريد أن أوكد عليها للمقارنة مع غيرها وهى: أولاً أنّه ابن السوداء وثانياً أنه من أهل صنعاء، وثالثاً أنه يؤكد رجوع النبى صلى الله عليه وآله وسلم للعالم رابعاً أنه ذكر أنّ علياً وصى النبى، وخامساً أنه أسلم أيام عثمان، وبعد ذلك نعود لأبى زهرة وفى نفس كتابه المذكور أى تاريخ المذاهب الإسلامية قال فى مورد آخر: عبدالله بن سبأ كان يهودياً من أهل الحيرة، أظهر الإسلام وأخذ ينشر بين الناس أنه وجد فى التوراة أنّ لكل نبى وصياً وأنّ علياً وصى محمد، وأنّ علياً أراد قتله ولكن نهاه عبدالله بن عباس فنفاه للمدائن بدل قتله [١٦٥]. وبين هذين المقتطفين الفروق التالية الفت النظر إليها وهى: أنّه فى الأولى من أهل صنعاء، وفى الثانية من أهل الحيرة، وأنّه فى الأولى أسلم أيام عثمان وفى الثانية أظهر الإسلام ولم يحدد وقت إسلامه، وأنّ الإمام أراد قتله كما ذكر فى الثانية فى حين لم يذكر ذلك فى الأولى، وأنّه من المقتطفة الثانية قرأ فكرة الوصاية فى التوراة فى حين فى الأولى لم يذكر مصدر فكرة الوصاية فلنحفظ هذا لنرى ما بين المقتطفات من فروق وخصائص قد تتضارب. ٢ - محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف، وقال: السبائية أتباع عبدالله بن سبأ الذى غلا فى الإنتصار لعليّ وزعم أنّه كان نبياً ثم غلا فزعم أنّه الله ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة فاتصل خبرهم بعليّ فأمر بإحراق قوم منهم، ثم خاف من إحراق الباقين أن ينتفض عليه قوم فنفى [صفحة ١٣٣] ابن سبأ للمدائن، فلما قتل عليّ زعم ابن سبأ أنّه ليس المقتول علياً وإنما هو شيطان صور على صورته وهذه الطائفة تزعم أنّ المهدي المنتظر إنما هو عليّ، وكان ابن السوداء فى الأصل يهودياً من أهل الحيرة

فأظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً وصي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا ذلك قالوا لعلّي إنّه من محبيك فرفع عليّ قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه عبدالله بن عباس فنفاه إلى المدائن [١٦٦] وفي هذه المقتطفة: أنّه من أهل الحيرة لا صنعاء، وأنّه ابن السوداء وأنّ الإمام علياً خدع به، وأنّه ادعى النبوة لعلّي، ثم ادعى له الألوهية وإلى هنا يمكن الجمع بين هذا الخلط العجيب ولكن كيف يمكن بعد ذلك أن نجمع بين كونه ينسب له الألوهية ثم يجعله وصياً لمحمد: أترك تقدير هذا إلى العقول الجبارة كمحمد فريد وجودي ونظائره ممن يقود خطى الجماهير في دروب الثقافة والحمد لله الذي لا يحمده على مكروه سواه، ولا تستعجل أيها القارئ فستسمع أموراً أخرى من المقتطفات القادمة تصطدم مع ما مر. ٣- أحمد عطية الله، قال حفظه الله: ابن سبأ رأس الفرقة السبائية من الشيعة وهو عبدالله بن سبأ كان من يهود صنعاء وأظهر إسلامه في خلافة عثمان يعرف بابن السوداء انتقل إلى المدينة وبث فيها أقوالاً وآراء منافية لروح الإسلام ونابعة من يهوديته ومن معتقدات فارسية كان شائعة في اليمن، برز في صورة المنتصر لحق عليّ، وادعى أنّ لكل نبي وصياً، وأنّ علياً وصي محمد، كما ادعى أنّ في عليّ جزءاً إلهياً، طاف بأحاء العراق ناشراً دعوته فطرده عبدالله بن عامر من البصرة فنزل الكوفة وأوغر صدور الناس على عثمان، وانتقل إلى دمشق في ولاية معاوية وفيها التقى بأبي ذر الغفاري وحرّضه على الثورة مدعياً أنّه ليس من حق الأغنياء أن يقتنوا مالاً، وأخرج من الشام فنزل مصر فالتف حوله الناقدون على عثمان وفيهم محمد بن أبي [صفحة ١٣٤] بكر وأبو حذيفة، ووضع عليّ لسان عليّ أقوالاً- لم يقلها كادعاء علم الغيب وبعد استشهاد عليّ أنّه قال إنّ لم يقتل وسيرجع وبذلك وضع فكرة الرجعة بين الشيعة [١٦٧]. وفي هذه المقتطفة التي رواها عطية الله أمور: منها: أنّ ابن سبأ جمع إلى عقائده اليهودية معتقدات أخرى فنقلها للتشيع ومنها الرجعة ولكن الرجعة هنا لعلّي وليست لمحمد كما هي عند أبي زهرة، ومنها أنّه أعطى لعلّي جزءاً من الألوهية لا- كلها، حتى يمكن الجمع بين كونه جزء إله وبين كونه وصياً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها الكشف عن هذه الطاقات الهائلة عند ابن سبأ بحيث أنّ كل الثورات على عثمان ومعاوية كانت من فعله. ٤- وبنفس هذا المضمون المتضارب كتب كل من أحمد أمين في فجر الإسلام، ومحمد بن يحيى في التمهيد والبيان في مقتل عثمان والزركلي في الأعلام [١٦٨]. ولا أريد أن أطيل عليك فإنّ كل خلف يأخذ عن سلفه بدون تمحيص مما أدى إلى هذا الخلط والإضطراب في الروايات فهو في هذه الأخبار تارة من أهل الحيرة وأخرى من أهل صنعاء، وهو عند ابن حزم والشهرستاني وغيرهما ابن السوداء، بينما يذهب ابن طاهر البغدادي في الفرق بين الفرق والأسفرايني في كتابه التبصرة في الدين أنّ ابن السوداء شخص آخر ليس عبدالله بن سبأ [١٦٩]. وهو في بعض هذه الروايات يدعى الرجعة للنبي، وفي بعضها الآخر يدعى الرجعة لعلّي وهو تارة يدعى بأنّ في عليّ جزءاً من الألوهية وأخرى أنّه إله كامل، وفي هذه الروايات نجد علياً مرة يحرق الغلاة ولا يخاف، وأخرى يخاف أن يحرق ابن السوداء مع أنه يهودي بسيط لا يابيه له أحد، وهكذا تقع في هذا الخليط المضطرب، وأهم هذه الأمور في نظرنا هو أنه مرة يكون داعياً لفضل عليّ [صفحة ١٣٥] فقط وأخرى يكون محرّضاً على عثمان وواضعاً لأهم عقائد الشيعة من وصية وعلم غيب للأئمة وقول بالرجعة، وهذان الأمران هما روح الموضوع فإنّ من صنع فريضة عبدالله بن سبأ رمى فيها عصفورين بحجر واحد وأراد هذين الأمرين: الأول: أنّ عثمان قتل بتحريض من السبائية لا أنّه صنع أشياء نقم فيها عليه المسلمون واشتركوا في قتله وفيهم صحابة النبي مما ذكره التاريخ مفصلاً بل كل ما في الأمر أنّ يهودياً حاقداً حرك المسلمين فانساقوا معه بغباء وبدون تفكير حتى ارتكبوا هذه الجناية وقتلوا الخليفة بدون أن يصدر منه ذنب. والثاني: أنّ عقائد الشيعة لا سند لها من الإسلام وإنما هي من هذا اليهودي العبقري عبدالله بن سبأ فالشيعة إذاً يهود لا صلة لهم بالمسلمين. وعلى كل حال إنّ هذا الإضطراب في الصورة المرسومة لعبدالله بن سبأ أيقظ الباحثين ودفعهم لإلقاء الضوء على هذه الشخصية الأسطورية فأصحروا بآرائهم وكسروا الطوق وأعلنوا الناس زيف هذا الفرية التي لا سبيل للجمع بين أبعادها وأجزائها، وبدأ الواقع يتضح رويداً رويداً والأهداف من وراء أسطورة ابن سبأ كشفت عن وجهها وسأذكر لك آراء كثير من النقاد بعد أن أذكر ما عندي في هذه المسألة لنصل إلى صورة واضحة في هذا الموضوع.

رأينا في عبدالله بن سبأ

إننا نرى أن عبدالله بن سبأ شخصيه وهميه مخترعه وندلل على وهيتها بالأمر التاليه: ١- الإختلاف في أنه هو ابن السوداء أم لا مع أن الذي قام بكل المصائب هو ابن السوداء، وابن طاهر والإسفراني يقولان إن ابن السوداء شخص آخر شارك عبدالله بن سبأ بمقاتله. ٢- الإختلاف في وقت ظهوره فالطبرى وجماعه يصرحون بأنه ظهر أيام عثمان بينما يذهب جماعه آخرون إلى أنه ظهر أيام علي عليه السلام أو بعد موته ومن هؤلاء [صفحه ١٣٦] سعد بن عبدالله الأشعري في كتابه المقالات [١٧٠] وابن طاهر في الفرق بين الفرق [١٧١] وغيرهما كثير. ٣- الإضطراب في الروايات في أصل دعوته فبينما رأينا الطبرى وجماعه معه يقولون إن دعوته اقتصرت على الغلو في عليّ والإنتصار لحقه وكل ما يدور حول عليّ فقط نجد جماعه من المتأخرين يذهبون ومعهم أسانيدهم طبعاً إلى أنه كان في كل بلد له دعوة خاصه، يقول محب الدين الخطيب بأسانيدته التي ذكرها: ومن دهاء ابن سبأ ومكره أنه كان يبث في جماعه الفسطاط الدعوه لعليّ عليه السلام وفي جماعه الكوفه الدعوه لطلحه، وفي جماعه البصره الدعوه للزبير [١٧٢]. ٤- إن بض الروايات ذكرت أنه كان مقتصرأ على الإشاده بفضل عليّ عليه السلام فقط في حين ذهب آخرون إلى أنه كان يحرض على عثمان ويدس الدسائس وهو الذي دفع أبا ذر للثوره أما على معاويه أو على عثمان بروايات أخرى. ٥- لم يعلل لنا واضعوا خرافه ابن سبأ لماذا سكت عنه عثمان وولاته مع أنهم ضربوا المعارضين بمنتهى الشده والقسوه وهم من خيره الصحابه كعمار وابن مسعود وغيرهم. ٦- لماذا تخلوا المصادر الصحيحه من ذكر قصه ابن سبأ كالبلاذرى وابن سعد وغيرهما ممن يعتد بتاريخهم. ٧- إن روايه عبدالله بن سبأ رواها الموضوعون الكذابون كما أسلفنا فيما مر. ٨- يساعد على أن الروايه موضوعه أنها ليست الوحيدة التي وضعت ضد الشيعة وإنما هي جزء من كل مما سنذكره لك فيها يأتي ونبرهن على كذبه. حتى تعرف أن قصه عبدالله بن سبأ خرجت من نفس المقلع ولنفس الهدف. والآن [صفحه ١٣٧] لنستعرض آراء النقاد والباحثين في هذه القصه لنصل إلى الحقيقه.

رأى طه حسين

استعرض الدكتور طه حسين الصورة التي رسمت لابن سبأ ومزقتها بعد تحليل دقيق وانتهى إلى أن ابن سبأ شخصيه وهميه خلقها خصوم الشيعة ودعم رأيه بالأمر التاليه: أولاً: إن كل المؤرخين الثقاه لم يشيروا إلى قصه عبدالله بن سبأ لم يذكروا عنها شيئاً. ثانياً: إن المصدر الوحيد عنه سيف بن عمر وهو رجل معلوم الكذب، ومقطوع بأنه وضاع. ثالثاً: إن الأمور التي أسندت إلى عبدالله بن سبأ تستلزم معجزات خارقه لفرد عادى كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعهم عبدالله بن سبأ وسخرهم لمآربه وهم ينفذون أهدافه بدون اعتراض: في منتهى البلاهه والسخف. رابعاً: عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعماله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبى حذيفه، ومحمد بن أبى بكر، وعمار وغيرهم. خامساً: قصه الإحراق وتعيين السنه التي عرض فيها ابن سبأ للإحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيحه ولا يوجد لها في هذه الكتب أثر. سادساً: عدم وجود أثر لابن سبأ ولجماعته في واقعه صفين وفي حرب النهروان، وقد انتهى طه حسين إلى القول: أن ابن سبأ شخص ادخره خصوم الشيعة للشيعة ولا- وجود له في الخارج [١٧٣] ويشترك مع طه حسين كثير من [صفحه ١٣٨] المستشرقين في وهميه وجود عبدالله بن سبأ ومنهم:

آراء المستشرقين

١- الدكتور برناد لويس: قال: ولكن التحقيق قد أظهر أن هذا استباق للحوادث وأنه - أى ابن سبأ - صورة مثل بها في الماضى وتخليها محدثوا القرن الثانى للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائده حينئذ. ٢- فلهوزن: ذهب إلى أن المؤامرة والدعوه والفعاليات المنسوبة لابن سبأ من اختلاق المتأخرين، وقد محص النصوص ودرس الموضوع وقام بتحليل دقيق. ٣- فريديندر: اشترك مع فلهوزن وانتهى

لنفس النتيجة معه. ٤ - كياتاني: شك في وجود عبدالله بن سبأ وقال عما ينسب له من أعمال ضخمة ومؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا- يمكن أن يتصورها العالم العربي المعروف عام خمسة وثلاثين بنظامه القائم على سلطان الأبوة، إنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء [١٧٤].

آراء إسلامية أخرى بابن سبأ

هناك آراء أخرى في عبدالله بن سبأ تتراوح بين وجوده وعدم صلته بالشيعة، وبين عدم التصديق بما ينسب إليه لأنه من غير الممكن صدور تلك الأعمال من شخص عادي، وبين نسبة هذه الأعمال لشخص آخر سمي بابن السوداء فلنستمع لهذه الآراء. أ - محمد كرد علي قال في خطط الشام: أما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعة عبدالله بن [صفحة ١٣٩] سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقله علم بتحقيق مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب [١٧٥]. ب - الدكتور أحمد محمود صبحي في نظرية الإمامة قال: وليس ما يمنع أن يستغل يهودى الأحداث التي جرت في عهد عثمان ليحدث فتنة وليزيدها اشتعالاً وليؤلب الناس على عثمان، بل أن ينادى بأفكار غريبة، ولكن السابق لأوانه ان يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكري العميق فيحدث هذا الإنشقاق العقائدي بين طائفة كبيرة من المسلمين [١٧٦]. ج - الدكتوران علي الوردى وكامل الشيبى التقياً في الآتي: إن المقصود بابن السوداء عمار بن ياسر وقد رمزت له قريش بابن السوداء ولم تصرح باسمه لأن له ثقلاً ومركزاً بين الصحابة وكان على رأس الثائرين على عثمان، فلم ترد قريش أن تضعه مقابل عثمان وبجانب علي لأنه يرحح كفه علي ويهبط بكفه عثمان فرمزوا له وسموه بابن السوداء لأن أمه أمة سوداء ولا وجود لابن سوداء غيره. إن رأى الدكتورين يلتقى مع رأى الأسفراينى، وابن طاهر البغدادي الذي أشرنا إليه فيما مضى عند ذكرنا لتعيين هوية ابن سبأ. وبعد هذا الجولة من الآراء اتضح أنه لا وجود لابن سبأ لأن تسليمنا بوجوده يفضي إلى إلغاء عقولنا، ولأن منحه البحث العلمي أبى وجوده لأن مصادره مختلفة، ولأن من خلقوا عبدالله بن سبأ خلقوا له أخوة من الإدعاءات سنوقفك عليها قريباً وإن كانت ستهز مشاعرك وتدمر ثققتك بمن قد تعتبرهم من القمم في دنيا الإسلام؛ ولأن الخوارق التي تنسب لابن سبأ لا- يمكن تصديقها، ولأن سكوت عثمان عنه عجيب مع أنه نفى أبا ذر للريذة مع أن أبا ذر من كبار [صفحة ١٤٠] الصحابة لأن أبا ذر كان له رأى في البذخ في أموال المسلمين أيام عثمان، فلماذا هذا الحلم عن ابن سبأ، ولأن علياً وهو الخشن في ذات الله لماذا سكت عن ابن سبأ ولم يحرقه كغيره، لأن معاوية وهو الذي يقتل على التهمة والظنة كيف سكت عن ابن سبأ والحال هو الذي دفع بسر للغارة على خصومه وأدت الغارة إلى قتل ثلاثين ألفاً من الناس [١٧٧] إن كل هذه الأمور تجعل حديث ابن سبأ حديث خرافة، وإنما اخترع لما ذكرنا سابقاً ليصنع منه مصدراً لعقائد الشيعة كلها كما جعله مصدراً لعقائد الشيعة كل من محيي الدين عبدالحميد في تعليقه على كتاب مقالات الإسلاميين وعلى سامى النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفى [١٧٨] وما كان كل من النشار ومحيي الدين عبد الحميد بالذى يجهل عقائد الشيعة أو لا يهتدى إلى مصادرها وبين أيديهما من المصادر ما ينهض بالمطلوب وأمام بصرهما من الممارسات العقائدية ما هو واضح في تجسيد عقائد الشيعة ومع ذلك كله كتبنا عن الشيعة مالا يجتمع وأمانة التاريخ وروح الإسلام ولا ينبغي أن يفت في عضد المصلحين أمثال هؤلاء ممن هم على أحسن الفروض أصداء بلهاء لغيرهم والا- فعلا مات الإستفهام موجودة إزاء ما كتبه، في حين يؤكد الكتاب الموضوعين أن حديث ابن سبأ خرافة يقول احمد عباس الصالح: عبدالله بن سبأ رجل خرافي بغير شك فأتى هو من هذه الأحداث جميعاً وساذج بغير شك الذى يتجه إلى خلق شخصيه كهذا ليعطيها أثراً أى أثر فيما حدث من الأحداث إن كل ما حيك من قصوص حول عبدالله بن سبأ من وضع المتأخرين فلا دليل على وجوده فى المراجع [١٧٩]. [صفحة

لماذا تنسب الشيعة لابن سبأ

اشاره

في الإجابة على هذه السؤال يكمن مركز الثقل في قصة عبدالله بن سبأ كلها، فإن الفكر الشيعي في الإمامة وما يلحق بها والمواقف المتساجلة بين فرق المسلمين من الشيعة وغيرهم، إذا شددت إلى جذرها من أدلتها من الكتاب والسنة فقد يختل الميزان لأن فكرة الوصية، والعصمة، وغيرهما تبعد عن الحكم - في نظر الشيعة - من لا تتوفر فيه هذه الشروط وتلك هي الطامة الكبرى، وأي فكر أخطر من هذا الفكر، فلم لا يربط فكر الشيعة بجذر يهودي وتخترع له شخصية تكون كبش الفداء فيلقى اللوم عليها وعلى الذين أخذوا عنها ويشار إليهم بأنهم مارقون الغموا تاريخ الأمة ودسوا في عقائدها عقائد غريبة عن الإسلام وهكذا صنع عبدالله بن سبأ ولو كان صنعه على حساب الحقيقة وعلى رغم أنف العقول والمقاييس. وبالإضافة لما ذكرنا هناك سبب آخر دفع إلى خلق عبدالله بن سبأ أشار إليه الدكتور أحمد محمود صبحي وذلك بعد أن استعرض آراء الدكتور طه حسين في وهمية وجود عبدالله بن سبأ. قال الدكتور أحمد صبحي: ويبدو أن مبالغه المؤرخين وكتاب الفرق في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ يرجع إلى سبب آخر غير ما ذكره الدكتور طه حسين، فلقد حدثت في الإسلام أحداث سياسية ضخمة كقتل عثمان ثم حرب الجمل وقد شارك فيها [صفحة ١٤٢] كبار الصحابة وزوجه الرسول، وكلهم يتفرقون ويتحاربون وكل هذه الأحداث تصدم وجدان المسلم المتتبع لتاريخه السياسي، أن يتلى تاريخ الإسلام هذه الابتلاءات ويشارك فيها كبار الصحابة الذين حاربوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشاركوا في وضع أسس الإسلام، كان لا بد أن تلقى مسؤولية هذه الأحداث الجسام على كاهل أحد، ولم يكن من المعقول أن يتحمل وزر ذلك كله صحابة أجلاء أبلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلاءً حسناً، فكان لا بد أن يقع عبء ذلك كله على ابن سبأ فهو الذي أثار الفتنة التي أدت لقتل عثمان، وهو الذي حرض الجيشين يوم الجمل على الالتحام على حين غفلة من عليّ وطلحة والزبير، أما في التاريخ الفكري فعلى عاتقه يقع أكبر انشقاق عقائدي في الإسلام بظهور الشيعة، هذا هو تفسير مبالغه كتاب الفرق وأصحاب المذاهب لا سيما السلفيين والمؤرخين: في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ. ولكن أليس عجيباً أيضاً أن يعبث دخيل في الإسلام كل هذا العبث فيحرك تاريخ الإسلام السياسي والعقائدي على النحو الذي تم عليه وكبار الصحابة شهود [١٨٠]. وبعد هذه الإمامة بملاسات موضوع عبدالله بن سبأ التي انتهينا منها إلى مسك طرف الخيط فيما نظن ألا وهو ربط عقائد الشيعة بعبدالله بن سبأ وما اسندوه إليه من عقائد الشيعة ولتبيين مصدرها الإسلامي وبذلك نكتفي عن الإصرار على وجود ابن سبأ أو عدم وجوده لأنه قد ثبت أن هذه العقائد مصدرها الإسلام فلا يبقى بعد ذلك قيمة لعدم وجود ابن سبأ أو لوجوده، لنبدأ من ذلك بموضوع الوصية. ١ - الإمام عليّ وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قلنا فيما سبق أن من أحكام الإسلام ضرورة أن يوصي الإنسان قبل موته بما يريد التصرف به بعد موته فيها يملك من أمور مادية، وذكرنا أن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان لا يخرج من المدينة في سفره ولو ليوم واحد حتى يستخلف علي [صفحة ١٤٣] المدينة، فكيف يترك أمر هذه الأمة من بعده سدى ويعرضها إلى الفتن دون أن يوصي أو يرشح للأمر شخصاً من بعده، وبما أن هذه المسألة قد أشبعها أقلام الباحثين من مختلف الفرق الإسلامية فلا أريد العودة إلى ما دار حولها، وكل ما يعينني هنا أن أبين أن مسألة الوصية مصدرها القرآن والسنة، أما القرآن فقد أشرك علياً بالولاية العامة وجعل إمامته امتداداً للنبوة حين تختم النبوة بموت الرسول فقال تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وقد ذكرنا نزول هذه الآية في عليّ عليه السلام وما يترتب عليها من لوازم في مكان آخر من هذا الكتاب، وأما السنة الشريفة فإن الروايات المعتمدة متظافرة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص عليّ بالوصية في أكثر من مورد، ومن تلك الموارد: ما نزل عليه قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) الشعراء/٢١٤، فجمع أقاربه وعددهم أربعون على فخذ شاء وطلب منهم أن يؤازروه على الدعوة فلم يقم إليه إلا- عليّ فأخذ برقبته وقال: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا [١٨١] فقام القوم يضحكون

ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لا بنك وتطيع. هذا وقد ذكر ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة فصلاً ممتعاً في موضوع وصاية الإمام علي عليه السلام للنبي وأشبع الموضوع وبوسع القارئ الرجوع إليه، وها أنت قد سمعت أن الوصية جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظاً ومعنى ومع ذلك ترى هؤلاء يقولون إن موضوع الوصية اخترعه عبدالله بن سبأ وستسمع لو قلت لهم إن الوصية لها مصادرهما من السنة: من يقول لك هذه أحاديث دسها الشيعة على لسان السنة. ٢ - العصمة: موضوع العصمة موضوع مهم في الفكر الشيعي خاصة والإسلامي عامة [صفحة ١٤٤] وسأضطر للإطالة فيه لأنه يرتبط بأمور هامة لا بد من التعرف عليها. فالعصمة لغه هي المنع ومنه قوله تعالى: (سأوى إلى جبل يعصمني من الماء) سورة هود/٤٣. أما في الإصلاح الكلامي فالعصمة: لطف يفعل الله تعالى بالمكلف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك [١٨٢]. وواضح من هذا التعريف أن العصمة لا إجماع فيها وإنما هي مجدد مدد من الله تعالى واستعداد من العبد، فهي أشبه شيء باستاذ يقبل على تلميذه لأنه وجد عند التلميذ استعداداً أكثر من غيره لتلقى العلم. وقد أجمعت الأمة الإسلامية على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيها يبلغونه عن الله تعالى واختلفوا بعد ذلك في صدور ما ينافي العصمة منهم على سبيل السهو أو النسيان سواء كانت أدلتهم في ذلك سمعية أو عقلية، على صدور أو عدم صدور ما ينافي العصمة ذهب بعض أئمة السنة إلى جواز وقوع كل ذنب منهم صغيراً كان أو كبيراً حتى الكفر وبوسع القارئ الرجوع إلى آراء الباقلاني والرازي والغزالي مفصلاً في نظرية الإمامة [١٨٣] بينما البعض الآخر فصل في ذلك ولم يصل إلى هذا الحد في تجريدهم من العصمة. أما الشيعة فقد ذهبوا إلى عصمة الأنبياء مطلقاً قبل البعثة وبعدها [١٨٤] وقد ساقوا لذلك أدلة كثيرة. وقد تعرض الفخر الرازي في كتابه عصمة الأنبياء وكذلك الشيخ المجلسي في البحار مفصلاً لذلك والذي يهمنا هنا عصمة الأئمة لأنها موضع البحث، إن عصمة الأئمة أمر مفروغ عند الشيعة وقد أثبتتها الشيعة للإمام بأدلة من العقل والنقل أقتصر على ذكر بعضها وبوسع طالب المزيد ان يرجع إلى الكتب والبحوث المطولة في ذلك. [صفحة ١٤٥]

عصمة الأئمة وأدلتها العقلية

١ - الدليل الأول: يقول العلامة الحلي في كتابه الألفين: الممكنات تحتاج في وجودها وعدمها إلى علة ليست من جنسها إذ لو كانت من جنسها لا تحتاج إلى علة أخرى واجبة غير ممكنة، كذلك الخطأ من البشر ممكن فإذا أردنا رفع الخطأ الممكن يجب أن نرجع إلى المجرد من الخطأ وهو المعصوم، ولا يمكن افتراض عدم عصمته لأدائه إلى التسلسل أو الدور أما التسلسل فإن الإمام إذا لم يكن معصوماً احتاج إلى إمام آخر لأن العلة المحوجة إلى نصبه هي جواز الخطأ على الرعية، فلو جاز عليه الخطأ لا تحتاج إلى إمام آخر فإن كان معصوماً والازم التسلسل، وأما الدور فلحاجة الإمامة إذا لم يكن معصوماً للرعية لترده إلى الصواب مع حاجة الرعية للإقتداء به [١٨٥]. ٢ - الدليل الثاني: يقول الشيعة إن مفهوم الإمام يتضمن معنى العصمة لأن الإمام لغه هو المؤتمر به: كالرداء إسم لما يرتدى به، فلو جاز عليه الذنب فحال إقدامه على الذنب إما أن يقتدى به أو لا؛ فإن كان الأول كان الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا محال، وإن كان الثاني - خرج الإمام عن كونه إماماً فيستحيل رفع التناقض بين وجوب كونه مؤتماً به وبين وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بتصور أن العصمة متضمنة في مفهوم الإمام ولازمة لوجوده [١٨٦]. [صفحة ١٤٦] ٣ - الدليل الثالث: الإمام حجة الله في تبليغ الشرع للعباد وهو لا يقرب العباد من الطاعة ويبعدهم عن المعصية من حيث كونه إنساناً، ولا من حيث سلطته فإن بعض الرؤساء الذين ادعوا الإمامة كانوا فجرة لا - يصح الإقتداء بهم فإذا أمروا بطاعة الله كانوا مصداق قوله تعالى: (أتأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم) ٤٤/البقرة. وفي مثل هذه الحالات لا يتق المكلف بقولهم وله عذره، فثبت أن تقريب الناس من طاعة الله لا من حيث كون الإمام إماماً، وإنما من حيث كونه معصوماً حيث لا يكون للناس عذر عصيانه تصديقاً لقوله تعالى: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) الآية/١٦٥ من سورة النساء، والأئمة حجج الله كالرسل سواء بسواء لأن الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر [١٨٧]. هذه ثلاثة أدلة من كثير من الأدلة العقلية التي اعتمدها في التدليل على العصمة.

الادلة النقلية على عصمة الإمام

أ - قال الله تعالى في سورة البقرة: الآية/١٢٤ لنبية إبراهيم: (إني جاعلك للناس إماماً قال ومكن ذريتي قال لا ينال عهدى الظالمين) دلت هذه الآية على العصمة لأن المذنب ظالم ولو لنفسه لقوله تعالى: (فمنهم ظالم لنفسه) ٣٢/فاطر. ب - قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) الآية/٤٩ من سورة النساء، والدليل فيها: أن أولى الأمر الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم موافقة لأحكام الله تعالى لتجب لهم هذه الطاعة ولا يتسنى هذا إلا بعصمتهم إذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الإنكار عليهم وذلك ينافي أمر الله بالطاعة لهم [١٨٨]. [صفحة ١٤٧] ج - ذهب الآية الثانية والثلاثين من سورة الأحزاب إلى عصمة أهل البيت الذين نزلت فيهم وهي قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) فبعد إثبات نزولها في أهل البيت الذي نص عليه كل من الإمام أحمد في مسنده، ومستدرك الصحيحين والدر المنثور، وكنز العمال وسنن الترمذى، وتفسير الطبرى، وخصائص النسائي، وتاريخ بغداد، والإستيعاب لابن عبد البر، والرياض النضرة للمحب الطبرى، ومسند أبى داود وأسد الغابة، جميع هؤلاء قالوا إنها نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام [١٨٩]. ويتساءل العلماء عن معنى ذهاب الرجس لينتهوا إلى أنه نفى كل ذنب وخطأ عنهم والإرادة هنا تكوينية لا- تشريعية لوضوح أن التشريعية مرادة لكل الناس. ولا يلزم منه الإلجاء لما سبق أن ذكرناه من أن العصمة مدد من الله تعالى واستعداد من العبد. هذه بعض أدلة الشيعة فى العصمة وهى كما ترى منتزعة من الكتاب والسنة والعقل، فما وجه نسبتها إلى عبدالله بن سبأ؟ وأين موضع الصدق من تلك النسبة، إن القارئ من حقه أن يسأل هؤلاء الكتاب هل اطلعوا على مصادر الفكر الشيعى عندما كتبوا عن الشيعة أو لا، فإن كان الأول فما معنى هذا الخبط وهذا النسب الباطل، وإن كان الثانى فما هو المبرر لهم للخوض فى أمور لم يطلعوا عليها أليس لهم رادع من مقاييس الأدب الإسلامى الذى رسمه الله تعالى بقوله: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء/٣٦، وفى الوقت ذاته إن المنهج العلمى يأبى عليهم هذه التخرصات ونسبة الأشياء إلى غير مصادرها إذاً ففكرة العصمة حتى ولو كانت أدلتها غير ناهضة، فلا يجوز أن تنحى عن مصدرها وتنسب إلى شخصية وهمية خلقها الحقد وافتعلها الهوى. [صفحة ١٤٨]

موقف السنة من العصمة

قبل الدخول بالموضوع ألفت النظر إلى قصة تحكى ولها دلالتها فى موضوعنا وهى: أن شخصاً مديناً جُلب إلى الحاكم فسأله الحاكم هل أنت مدين لهذا المدعى؟ قال: نعم، أنا مدين ولكنى منكر للدين، إن هذه القصة تشبه تماماً موقف من ينكر علينا القول بالعصمة وفى الوقت ذاته يقول بها. على أننا نشترط العصمة فى الإمام لضمان وصول أحكام وعقائد صحيحة، ولضمان اجتناب المفارقات التى قد تنشأ من كون الإمام غير معصوم، ولا- نريد من العصمة أن تكون وساماً نضعه على صدور الأئمة فإن لهم من فضائلهم ما يكفيهم كما أننا لا نسبح فى بحر من الطوبائية لأننا نعيش دنيا الواقع بكل مفارقاتها، إننا من وراء القول بالعصمة نربأ بالإمام أن يكون من سنخ من نراهم من الناس، لأنه لو كان من نفس السنخ والسلوكية فما هى ميزته حتى يحكم الناس وفى الناس من هو أكثر منه استقامة ومؤهلات وقابلية، تلك هى الأمور التى نريدها من وراء العصمة لا أن المعصوم من نوع آخر غير نوع الإنسان كما قد يتصور البعض. فالعصمة فى نظرنا ضابط يودى إلى حفظ شريعة الله تعالى نظراً وصيانتها من البعث تطبيقاً، وأساطين السنة يذهبون لمثل ذلك ولكنهم فى الوقت نفسه ينكرون علينا القول بها وإليك نماذج من أقوالهم لتعرف صحة ما نسبناه لهم: ١- الرازى: يذهب الرازى فى معرض رده على عصمة الإمام عند الشيعة: إلى أن لا حاجة إلى إمام معصوم، وذلك لأن الأمة حال إجماعها تكون معصومة لا ستحالة اجتماع الأمة على خطأ، بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجتمع أمتى على [صفحة ١٤٩] ضلالة [١٩٠]

ومع غض النظر عن صحة وعدم صحة هذا الحديث، نسأل هل مثل هذا الإجماع ممكن بحيث يضم كل مسلم في شرق الأرض وغربها، قد يكون الجواب إن المسلمين يمثلون في هذا الإجماع بأهل الحل والعقد، وهنا نسأل: من هم وما عددهم؟ وهل هم محصورون في مكان معين؟ وما الدليل على ذلك؟ ثم نسأل: هل المجموع إلا ضم فرد إلى فرد فإذا جاز الخطأ على الأفراد جاز على المجموع المكون من الأفراد، إن الإمام ابن تيمية يجب على ذلك بأنه لا يلزم أن يخطأ المجموع إذا أخطأ الأفراد لأن للجمع خاصية لا توجد في الأفراد، ومثلها مثل اللقمة الواحدة لا تشبع مجموع اللقم يشبع، والعصا الواحدة تكسر في حين مجموع العصي لا يكسر، إلى أن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد [١٩١] وما أدري ما هو وجه الشبه بين كون اللقم تشبع بعكس اللقمة الواحدة، وبين كون المجموع يعصم والأفراد لا تعصم، وذلك لأن اللقمة تحمل قابلية الإشباع بنسبة معينة فإذا ضمت إلى مثلها اجتمعت هذه الأفراد من قابلية الإشباع فكانت إشباعاً كاملاً، وكذلك العصا تحمل نسبة من القوة فإذا ضمت لمثلها كانت قوة كافية، وأين هذا من الفرد المخطئ فإنه لا يكون نسبة من الصحة إذا ضمت لغيرها كانت مجموعاً صحيحاً، بل بالعكس فالفرد يمثل هنا نسبة من الخطأ إذا ضمت لمثلها تضعف الخطأ وكون خطأ كبيراً، إن هذا القياس مع الفارق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ابن تيمية لم ينف فكرة العصمة وإنما نفى أن يكون لواحد ليس إلا فكأن العقدة أن تكون لواحد أما لو نسبت لجماعة فلا إشكال ومن ناحية ثالثة إنه إنما اشترط العصمة للأمة من أجل الثقة وضمان سلامة الأحكام وهو عين الهدف الذي تذهب إليه الشيعة وأنا أنقل لك رأيه مفصلاً: [صفحة ١٥٠]

رأى ابن تيمية في العصمة

قال ابن تيمية عند رده على الشيعة عند قولهم: إن وجود الإمام المعصوم لا بد منه بعد موت النبي وذلك لأن الأحكام تتجدد تبعاً للموضوعات، والأحوال تتغير وللقضاء على الاختلاف في تفاسير القرآن وفي فهم الأحاديث وغير ذلك. ولو كانت عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكمال الدين كافيين لما حدث الاختلاف، فثبت أنه لا بد من إمام معصوم يبين لنا معاني القرآن ويعين لنا مقاصد الشرع كما هو مراده إلى آخر ما ذكره في المقام: فقال ابن تيمية: لا يسلم أهل السنة أن يكون الإمام حافظاً للشرع بعد انقطاع الوحي لأن ذلك حصل للمجموع، والشرع إذا نقله أهل التواتر كان ذلك خيراً من نقل الواحد، فالقراء معصومون في حفظ القرآن وتبليغه، والمحدثون معصومون في حفظ الأحاديث وتبليغها، والفقهاء معصومون في الكلام والإستدلال [١٩٢] ويختلف هنا ابن تيمية عن الرازي فإذا كانت العصمة عند الرازي لمجموع الأمة فهي عند ابن تيمية لجماعة من الناس كالقراء والفقهاء والمحدثين، وهنا يشترط ابن تيمية العصمة لضمان حفظ مضمون الشريعة كما هو الحال عند الآخرين من الشيعة وغيرهم، فما الذي أجازها لمجموعه ومنعها عن فرد؟ إن عدد المعصومين عند الشيعة لا يتجاوز الأربعة عشر وهم مجموعة منتخبة خصها الله تعالى بكثير من الفضائل بإجماع فرق المسلمين فلماذا نستكثر عليهم العصمة ونجيزها لغيرهم مجرد سؤال؟

رأى جمهور السنة في العصمة

يمكن القول أن جمهور السنة يصححون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [١٩٣] ولازم هذا الحديث عصمة الصحابة كما سيرد به التصريح من بعضهم لأن صحة الإقتداء [صفحة ١٥١] بأى منهم ومتابعته في الظلم لو حصلت حال كونه مرتكباً للذنب وهو الحاصل من كونه غير معصوم فمعناه الأمر من الله تعالى باتباع العاصي والظالم ولو لنفسه وإذا لم يتابع ويعمل بما أراده النبي فإن معناه ترك أمر القرآن لأنه قال: (ما أتاكم الرسول فخذوه) [١٩٤] والصحابة هنا ينقل أمر الرسول، فإن قلت إن الله تعالى أمرنا بأن نأخذ الحديث من العادل الثقة لقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة) الآية ٦/الحجرات؛ التي دلت بمفهومها على حجية خبر العادل،

ونحن لا نأخذ الأمر إلا من العادل منهم، قلت: إن ذلك يدل بالمفهوم على أن فيهم غير العادل حينئذ وهو المطلوب. وعلى العموم إن لازم الحديث المذكور عصمة الصحابة، وما سمعنا من ينكر على هؤلاء فلماذا إذا قال الشيعة بعصمة أئمتهم ينتقدون؟

التفتازاني والعصمة

يقول التفتازاني وهو من أجلاء علماء السنة في كتابه شرح المقاصد: احتج أصحابنا على عدم وجوب العصمة: بالإجماع على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان (رض) مع الإجماع على أنهم لم تجب عصمتهم، وإن كانوا معصومين بمعنى أنهم منذ آمنوا كان لهم ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها [١٩٥] وفي هذا النص أمور: ١- إن التفتازاني هنا يصرح بعصمة الخلفاء الثلاثة. ٢- يقول: إن عصمتهم غير واجبة بمعنى أنهم لا يقسرون عليها وإلا- فلا- يتصور تعلق الأحكام بالأمر التكويني وإنما مجال الأحكام السلوك الإختياري والإستعداد لقبول العصمة أمر مخلوق فيهم. ٣- مفاد كلامه أن العصمة ملكة تمنع صاحبها من مقارفة الذنب لا على [صفحة ١٥٢] نحو سلب الإختيار وهذا عين ما يقوله الشيعة في أئمتهم وليرجع من شاء إلى بحث العصمة في كتب الكلام الشيعية، وعلى هذا فلماذا هذه الجعجة يا مسلمون؟ شمس الدين الأصفهاني ونو محمد والعصمة يذهب الحافظ نور محمد وشمس الدين الأصفهاني الأول في تاريخ مزار شريف، والثاني كما نقله عنه الغدير إلى أن الخليفة عثمان معصوم [١٩٦] وقد نقله عن كتابه مطالع الأنظار. والرجلان من علماء أهل السنة.

الايحي والعصمة

يذهب عبدالرحمن الإيحي صاحب كتاب المواقف في نفس الكتاب إلى عصمة الخلفاء وعلى النحو الذي قال به التفتازاني فيما ذكرناه عنه أي أنها ملكة فيهم لا توجب سلب الإختيار [١٩٧] وهو من علماء السنة وقد كشفت لنا هذه الجولة أن الشيعة لا ينفردون بالقول بالعصمة بل علماء السنة يذهبون لذلك، إذاً فما هو وجه نسبتها إلى عبدالله بن سبأ وما هو وجه نقد الشيعة على القول بها؟ أنا لا أريد أن أحشد للقارئ نقد كتب السنة ومؤلفيهم حول موضوع العصمة فإن كتبهم طافحة بذلك، ولكن سأستعرض لك رأي كاتب يعيش في القرن العشرين وفي عصر الذرة بالذات وهو وأيم الحق من أكثر أهل السنة الذين قرأت لهم اعتدالاً في الكتابة عن الشيعة ولكن مع ذلك كله تبقى الرواسب في النفوس تعمل عملها. إنني أعتقد أن هذا الرجل قد بحث في كتب الشيعة وغيرهم قبل أن يكتب كتابه وذلك لما رأيت له من كثرة المصادر مع افتراض أنه اطلع على آراء أهل السنة في هذه المواضيع فلماذا الإنكار على الشيعة دون الآخرين وإذا كان لم يطلع وهو ما أستبعده، فلماذا يكتب؟ [صفحة ١٥٣]

مناقشة كتاب نشأة الآراء والمذاهب

اشاره

يقول مؤلف الكتاب المذكور يحيى هاشم فرغل مستعرضاً فكرة عصمة الأئمة: إن عصمة الأئمة ظهرت عند غلاة الشيعة، ذكر أن زيد بن علي كان يستنكرها ثم استنتج أن السنة إنما بحثوا عصمة الأنبياء لأن الشيعة بحثوا عصمة الأئمة، وذكر أدلة الإمامية على العصمة ومنها حديث الثقلين وقد رواه هكذا: إنني تركت فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي. كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ثم ذكر صوراً أخرى للحديث ثم قال: إن هذا الحديث جعل العترة أهل البيت بمنزلة القرآن وعدلاً له، كما جعل لهم جميع ما كان للنبي من المناصب إلا النبوة ليكون كأنه موجود بنفسه ليقوم على رعاية الشريعة، وقد نزل الحديث العترة منزلة القرآن فلا بد من أن يكون عندهم كل ما فيه من العلوم، فمن

ثم يكون الإمام عالماً بجميع تفاصيل القرآن والسنة لتؤخذ عنه علومهما كاملة. ثم أورد روايات للشيعة حو علم الإمام ومنها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام: ما أنزلت آية من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا وأقرأنيها وتلاها علي فكتبتها بيدي وعلمني تفسيرها وتأويلها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ودعا الله تعالى أن يعطيني فهمها وحفظها ووضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علماً وحكمة، ثم أورد روايات هي في الواقع تجسيد لمنطوق هذا الحديث وهذه الرواية: كوجود كتاب الجفر والجامعة ومصحف فاطمة [صفحة ١٥٤] عند أهل البيت وشرح آراء الشيعة في معنى وجود هذه الكتب عند أهل البيت وذكر أن الشيعة قالوا إنها بإملاء النبي وخط علي وأنه ليس فيها من القرآن شيء وإنما هي شروح وأخبار بالملاحم، ثم ذكر الروايات التي تدل على أن أهل البيت محدثون وأنهم يعضدون هذه الروايات بروايات سنية ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي اتفق عليه أهل السنة «إن فيكم محدثين» وقول بعض الصحابة: كنت أحدث حتى اكنوت، ثم انتقل بعد ذلك إلى الروايات التي تدل على وحدة السنخية بين النبي والأئمة كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله خلقني وخلق علياً والحسن والحسين من نور واحد، وقال في نهاية هذا الفصل: وإذا فنحن في النهاية نصل إلى عقيدة فلسفية أو ميتافيزيقية في الإمام تجعل من الأئمة ومن الرسول جوهرًا نورانيًا واحدًا سابقاً على الوجود الأرضي وهنا نصل إلى نقطة هامة نسأل فيها عن ماهية درجة الإمامة وهل هي بدرجة النبوة أم لا، واستطراداً من هنا أقول: إن المرء أمام هذه الآراء لا يتسغرب أن تنشأ في تربتها آراء الغلاة ودعاوى التنبؤ ويجد في هذه إظهاراً طبيعياً لمكونات تلك إنتهى كلام فرغل بتلخيص وتصرف في لفظ العبارة [١٩٨] مع حفظ المضمون بمنتهى الضبط. إتضح من هذا الفصل الذي لخصناه أن فرغل يستنكر عدة أمور ويعتبرها نوعاً من الغلو وهي العصمة، ثم وحدة الأصل والسنخية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهله عليه السلام ثم استنكر ما ينسب لأهل البيت من علوم واستنكر رابعاً أن تكون منزلة الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخامساً نسب الشيعة للغلو.

تعقيب

وأنا أوجه للأستاذ فرغل سؤالاً هو: لو أن هذه الأمور التي استنكرها عند الشيعة وجدت عند السنة فهل ينتقد السنة أم لا، وستعجب من هذا السؤال وتقول كيف لا- ينتقدهم والموضوع واحد ولا- فرق بين أن يقول به السنة أو الشيعة [صفحة ١٥٥] وأنا أجيئك أنه لا ينتقدهم إذا كانوا غير شيعة وهو ما وقع بالفعل لأنهم قالوا بهذه الأمور التي نقد بها الشيعة وسأوقفك على قولهم فيما يلي: ١- فالأمر الأول: الذي نقد به الشيعة القول بالعصمة ولا احتاج أن أكرر ما سبق أن ذكرته ودلت عليه من قول كثير من السنة بالعصمة إن لم يكن كلهم ومع ذلك لم يعرض له يحيى فرغل بالنقد، على أن يحيى فرغل أهون من غيره في هذا الباب، ذلك أن غيره كان أكثر منه عنفاً وتهجماً خذ مثلاً: الدكتور نبيه حجاب أستاذ الأدب - لو كان هناك أدب - في دار العلوم بالقاهرة، إن هذا الرجل يشتم الشيعة شتماً عجباً ويعتبر عقيدتهم بالعصمة مظهراً من مظاهر الشعوبية فاسمعه يقول: إن هذه العقيدة تسربت للشيعة عن الفرس الذي نشأوا على تقديس الحاكم لهذا أطلق عليها العرب النزعة الكسروية - ولا أعرف أحداً من العرب قال ذلك في حدود اطلاعي - ولعل غالبية الشيعة كانت ترمي من وراء هذه الفكرة إلى تنزيه علي عليه السلام عن الخطأ حتى يتضح للملأ عدوان بني أمية في اغتصاب الخلافة هذا وفي اليهودية كثير من المذاهب التي تسربت إلى الشيعة [١٩٩] أسمعت هذه الانشودة التي يتناقلها الخلف عن السلف بصورة بلهاء وقد فندنا لك هذا الزعم فيما مضى من مبحث فارسية التشيع. لكن الذي أريد السؤال عنه ما هو الخطأ في سلوك الإمام علي عليه السلام في نظر نبيه حجاب هل هو الحروب التي قام بها من أجل مبادئ مما أدى إلى عدم الاستقرار في الوقت الذي لم يستقر فيه وضع الامويين إلا- على الجماجم وعلى كل حال لا يضر علياً أن يخطئه نبيه حجاب بعد أن قال فيه الرسول علي مع الحق والحق مع علي. ومن الطبيعي جداً أن يكون علي في جانب مع من هو من معدنه ونبيه حجاب ومن هم من معدنه في الجانب المقابل. [صفحة ١٥٦] ٢- الأمر الثاني: الذي استنكره فرغل هو كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته من نور واحد، ولا أدري ما هو وجه

عباس قال مسلمة: فوجدنا المحدثين معتصمين بالنبوة لأنهم تكلموا بأمر عالية من أنباء الغيب خطرات، ونطقوا بالحكمة الباطنة فأصوبوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب في قصة سارية وما تكلم به من البراهين العالية هذا هو نص ما أورده القرطبي [٢٠٤] وكذلك روى السيوطي قراءة الآية المذكورة وتكلم عن الحديثين في تفسيره الدر المنثور فراجع [٢٠٥]. وقد روى البخاري في صحيحه باب مناقب عمر عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد كان فيما قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا [صفحة ١٥٩] أنبياء فإن يكن من أمتي فيهم أحد فعمر، كما أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عمر عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في الإسلام قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر بن الخطاب منهم [٢٠٦]. ولم يقف الأمر عند الخلفاء ولكنه وصل إلى عمران بن الحصين، فعن مطرف قال: قال لى عمران بن الحصين: أحدثك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين حجة وعمره ثم لم يمه عنه حتى مات ولم ينزل فيه قرآن يحرمه، وإنني كنت أحدث حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وقد روى ذلك كل من الدارمي ومسلم في صحيحهما [٢٠٧]. ولست أدري ما هي صلة الكي بهروب المحدث والعلم عند الحصين رحمه الله. بل إن عمر بن عبدالعزيز الخليفة الأموي كان الخضر يمشي معه ويحدثه كما روى ذلك ابن حجر في التهذيب [٢٠٨]. وبعد كل هذا الذي أوردناه فهل يشكل هذا مبرراً لأن يكون أهل البيت ممن يفاض عليهم العلم أم لا؟ أغلب الظن أن الإشكال سيقى قائماً وسيبقى الشيعة غلاة أو مخرفين لأنهم يقولون إن الأئمة يعلمون الغيب بأمر الله. الأمر الرابع: الذي استنكره الاستاذ فرغل أن تأتي منزلة أئمة أهل البيت بعد منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة عند الشيعة، والمقصود الأئمة الإثنا عشر فقط لا غيرهم، والحقيقة أن الشيعة ليسوا هم الذين وضعوا الأئمة بهذا الموضع بل السماء هي التي وضعتهم والشيعة تعبدوا بأمر السماء يقول الله عالي: (إنما وليكم الله ورسوله [صفحة ١٦٠] والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) ٥٦/المائدة. فقد تظافت الروايات على نزولها في الإمام علي عليه السلام وأنها أشركته في الولاية العامة وقد روى ذلك كل من الفخر الرازي في تفسيره، وابن جرير الطبري في تفسيره، والبيضاوي في تفسيره، وأبي حيان في تفسيره والزمخشري في تفسيره وابن كثير في تفسيره وغيرهم ثم من بعد القرآن الكريم أعطته السنة النبوية هذه المكانة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، والحديث من الأحاديث المتواترة وقد أخرجه أهل الصحاح ومنهم البخاري ومسلم في صحيحهما في باب فضائل علي من صحيح البخاري وكذلك من صحيح مسلم. ويأتي أولاد علي عليه السلام من بعده وقد وضعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المكانة وليس أدل على ذلك من أنه جعلهم عدل الكتاب فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنني خلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً. إلى آخر الحديث [٢٠٩] والآن لنرجع إلى الفكر السنني فسندجده يضع أئمة في نفس الموضع بدون تكبير بل يرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المسدد بالوحي لا يستغنى عن هؤلاء الأئمة لحاجته إليهم: يقول الحاكم في المستدرک بسنده عن حذيفة بن اليمان: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لقد هممت أن أبعث إلى الآفاق رجالاً يعلمون الناس السنن والفرائض كما بعث عيسى بن مريم الحواريين، قيل له: فأين أنت عن أبي بكر وعمر؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنه لا غنى بي عنهما إنهما من الدين كالسمع والبصر [٢١٠] بل أعطى السنة للصحابة منزلة تساوي منزلة النبي من ناحية حجية أقوالهم وأفعالهم وكونهم مصدراً للتشريع: يقول موسى جارالله في الوشيعه: «نحن فقهاء أهل السنة والجماعة نعتبر سيرة الشيخين الصديق والفاروق أصلاً تعادل سنن الشارع في إثبات الأحكام الشرعية في حياة الأمة وإدارة الدولة وأن الخلافة الراشدة معصومة عصمة الرسالة وأنها ناصفتها في [صفحة ١٦١] تثبيت أركان دين الإسلام» [٢١١] فالخلفاء كما ينص جارالله هنا سيرتهم تعادل سنة النبي ونص القرآن، والخلفاء معصومون كالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنهم شاطروا النبي فلهم نصف تثبيت الإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم النصف الثاني ويقول الإمام الغزالي: مذهب الصحابي حجة مطلقاً [٢١٢]. ويقول: ابن قيم الجوزي إن فتاوى الصحابة أولى أن يؤخذ بها وإن اختلفوا فإن كان الخلفاء الأربعة في شق فلا شك أنه الصواب وإن كان أكثرهم في شق فالصواب الشق الأغلب وإن كانوا

إثنين وإثنين فشق أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب فإن اختلف أبو بكر وعمر فالصواب مع أبي بكر وكلما كان العهد بالرسول أقرب كان الصواب أغلب [٢١٣] وما أدري ما يقصده ابن القيم من قرب العهد فإذا كان يريد القرب الزماني فكل الخلفاء كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زمان واحد وإن كان يريد القرب المكاني بالإضافة لذلك فعلى أن أُلزم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من ظله فعلى تعليل ابن القيم يجب تقديم قوله إذا تعارض مع أقوال غيره. ودعني أحدثك عن أروع من هذا كله وهو أن يكون قول بعض أئمة السنة هو المقياس لتصحيح القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اختلف الكتاب والسنة مع قول ذلك الإمام: يقول الكرخي من أئمة الأحناف: الأصل وجوب العمل بقول أبي حنيفة، فإن وافقه نص الكتاب والسنة فذاك. وإلا وجب تأويل الكتاب والسنة على وفق قول أبي حنيفة، وقد ذكر ذلك الأستاذ رشيد رضا في تفسير المنار عند تفسير الآية: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) الآية ١٦٥/١ من سورة البقرة [٢١٤] ويأتي القوشجي دون الكرخي بمرفأه فإذا كان الكرخي جعل فقه الأحناف هو المقياس الذي يعرض عليه الكتاب والسنة، فإن القوشجي جعل للخليفة عمر حقاً في أن يجتهد مقابل [صفحة ١٦٢] الرسول فاسمعه في مبحث الإمامة من كتابه شرح التجريد يقول: إن عمر قال وهو على المنبر: أيها الناس ثلاث كنن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحج، وحنى على خير العمل، ثم عقب القوشجي على ذلك بقوله: إن ذلك ليس مما يوجب قدحاً فيه فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع [٢١٥]. بعد ذلك نقول للأستاذ فرغل إننا نضع الإمامة بعد النبوة وتتعبد بما أعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عن صلاحيات، ولكننا لا نجعل الإمام مقياساً يعرض عليه الكتاب والسنة بل العكس المقياس هو الكتاب والسنة ونرمى بما خالفهما عرض الجدار، كما أننا لا نجيز الاجتهاد مقابل النص كما اعتبر القوشجي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه مجتهد وقد خالف بذلك إطلاق قوله تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم، ومع ذلك فإن تقييم الإمام عندنا موضع استغراب، بينما يذهب غيرنا في أئمتهم إلى ما ذكرناه عنهم ومع ذلك لا- تسمع من ينقدهم فلماذا هذا يا أستاذ فرغل؟ هل حاولت مرة أنت أو أمثالك أن تسألوا أنفسكم عن صحة عقائدكم أو تنقدوها كما تنقدون غيركم أم أنكم شعب الله المختار يجوز لكم ما لا يجوز لغيركم أم ماذا؟ ٥ - الأمر الخامس: اعتبر الأستاذ فرغل روايات الشيعة بأنها مناخ صالح للغلو، وأريد أن أشرح للأستاذ فرغل موقف الشيعة من الغلو والغلاة: فالغلو عرّفه الطبرسي في تفسيره عند شرح الآية ٧٧ من سورة المائدة: (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) بأنه ما يقابل التقصير وهو تجاوز الحد، فقال: إن معنى الآية: لا تتجاوزوا الحد الذي حدّه الله، لكم إلى الإزداد، وضده: التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان، والزيادة في الحد والنقصان عنه كلاهما فساد، ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الإقتصاد - أى الاعتدال - [٢١٦]. [صفحة ١٦٣] أما مناشئ الغلو فأبرزها وأهمها في نظرنا أربعة مناشئ هي على التوالي: أ - المنشأ الأول: أن يغالى الإنسان بشخص أو فكرة ليتخذ من ذلك مبرراً لاختياره الإلتزام لهذه الفكرة أو الشخص فكأنه يريد مرجحاً أمام الناس ومبرراً نفسياً ويتبلور هذا المعنى أكثر وأكثر في العقيدة بالأشخاص فإن الأتباع يحاولون رفع من يعتقدون به إلى مستويات غير عادية وهذا المعنى موجود على الصعيد الدينى والسياسى، فقد وصف هوبز الحاكم بأنه المعبر عن إرادة الله وإرادة الشعب، ومنحه السلطة المطلقة في التصرف، ولم يعط الشعب حق عزله واعتبر إرادته من إرادة الله تعالى، وقد ذهب فلاسفة الألمان نفس المذهب فيما خلعه على الحاكم من صفات، وأشدهم في ذلك: هيكل أستاذ ماركس، فالملك عند هيكل صاحب السلطة المطلقة، وله مركز مستقل عن مصالح الأفراد وتمثل في شخصيته الذات النهائية وهو مجموع الشعب مشخص في واحد، وهو وهو الخ. وقد سبق هؤلاء جميعاً أفلاطون حين أعطى الحاكم منازل مقدسه، وكذلك الفارابى حيث صور رئيس المدينة بأنه متصل بالعقل الفعال حيث يقترب من الله تعالى [٢١٧]. إن كل هذه المواقف تبرير لاعتناق الفكرة بنحو وآخر يوجد تصور معين. ب - المنشأ الثانى للغلو: رد الفعل فإن البعض قد يضطهد من أجل معتقداته، وقد ينتقص أو يشتم أو يهزأ به فيدفعه كل ذلك إلى المغالاة بدافع رد الفعل، ولهذا رأينا القرآن الكريم فى مثل هذه المواطن أخذ العوامل النفسية بعين الاعتبار إذ يقول تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله

عدواً بغير علم) ١٠٨/ الأنعام. وهذه المسألة لها تطبيقاتها على أبعاد التاريخ في كثير من الموارد، ومن هنا ذهب دونالدسن: إلى أنّ القول بالعصمة هو رد فعل من الخلفاء الغاصبين وهو [صفحة ١٦٤] واهم بذلك [٢١٨]. وقد كان لردة الفعل دور كبير في تاريخ المسلمين وعقائدهم يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند معالجة كثير من المواقف وتقييم النصوص في مختلف الميادين. ج - المنشأ الثالث: هو الغلو الذي ينشأ من الطيبة والبراءة وحسن الظن بالآخرين فيركن إلى مروياتهم من دون تمحيص خصوصاً من الذين اندسوا في الإسلام لسبب وآخر وأردوا تغطية حقيقتهم فتحمسوا تحمساً مشبوهاً لأشخاص أو أفكار، وهذا المنشأ: الحديث فيه طويل فإن كثيراً من المندسين لبعوا دوراً بارزاً في تسجيل نظريات ومواقف تنزع إلى الغلو حتى أفسدوا على كثير من المسلمين عقائدهم لمختلف الأهداف التي كانت تدفعهم وقد كان لكل مذهب من المذاهب حصّة من هؤلاء تكثر أو تقل تبعاً لظروف المذهب نفسه وربما يمر علينا هذا المعنى مفصلاً فيما يأتي. د - المنشأ الرابع عدم الدقة: فقد يبتلى بعضهم بشبهات نتيجة فهم خاطئ، أو تعميم غير مبرر علمياً كان يرى رأياً لشخص من طائفة فيعمم رأيه على الطائفة كلها، وقد تذهب جماعة إلى رأى ثم تبعد ويبقى الرأى فيأتى من يحمل الرأى للآخرين، قد يكون استنتاجاً لرأى من لازم من لوازم القول لم يتفطن له صاحب القول نفسه، وقد يكون نتيجة خطأ في تطبيق ضابط من الضوابط الكلية على بعض الجزئيات وهكذا، ولذا لا بد من التروى والحذر الشديد عند الكتابة عن فئة أو طائفة، ولا بد من أخذ رأيتها من مصادرها المتسالم عليها، فإذا كان بعض الشيعة في يوم من الأيام غالى بالإمام عليّ لقلعه باب خيبر فليس كل الشيعة كذلك وإذا كان شخص قال لعليّ وهو يخطب أنت أنت فليس كل الشيعة كذلك. [صفحة ١٦٥]

موقفنا من الغلو والغلاة

وبعد شرح مناشئ الغلو أو أهمها نقول: إنّ الشيعة تبعاً لمواقف أئمتهم وقفوا موقفاً حازماً من الغلوا والغلاة فسلطوا عليهم الأضواء وتبرأوا منهم وكافحهم وشهروا بهم، وهم بذلك لا يتعدون موقف أمير المؤمنين عليه السلام حينما يقول: «هلك فيّ اثنان محب غالٍ وعدو قال» وموقف الإمام الصادق عليه السلام حينما يقول: «ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة، وإنا لमितون وموقوفون، ومسؤولون، من أحبّ الغلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، الغلاة كفار والمفوضة مشركون، لعن الله الغلاة ألا كانوا نصارى ألا كانوا قدرية ألا كانوا مرجئة ألا كانوا حرورية» [٢١٩]. والإمامية لا يورثون الغلاة وإليك نص عبارتهم في ذلك: يرث المحق من المسلمين من مبطلهم ومبطلهم من محقهم ومبطلهم، الا الغلاة يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون المسلمين كما أنّ الإمامية لا يغسلون موتى الغلاة ولا يدفنونهم ويحرمون تزويجهم وإعطائهم الزكاة، وتجد هذه الأحكام موزعة في كتب فقه الإمامية في أبواب الطهارة والزكاة والإرث، إنّ الإمامية لا يعتبرون الغلاة مسلمين: يقول الشهيدان الأول والثاني في اللعة وشرحها في باب الوقف! عنه تعريف المسلمين: والمسلمون من صلى إلى القبلة أى اعتقد الصلاة إليها وإن لم يصل لا مستحلاً، الا الخوارج والغلاة فلا يدخلون في مفهوم المسلمين وإن صلوا إليها للحكم بكفرهم [٢٢٠] وألحقا بهم المشبهة والمجسمة في الحكم، بل إنّ [صفحة ١٦٦] الإمام الصادق عليه السلام يعتبر الجلوس إلى الغالى وتصديقه بحديثه مخرجاً من الإيمان كما روى ذلك المفضل بن يزيد قال: قال لى أبو عبدالله الصادق وقد ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة: «لا تقاعدوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تورثوهم» وقال الصادق لمرازم أحد أصحابه: «قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فساق مشركون» [٢٢١].

آراء بعض الباحثين

وانطلاقاً من ذلك يقول الشيخ المفيد: الغلاة من المتظاهرين بالإسلام وهم الذين نسبوا أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب وذريته إلى الألوهية والنبوة ووصفهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد فهم ضلال كفار [٢٢٢]. ولا أحتاج إلى حشد النصوص والأدلة على براءة الشيعة من الغلاة وأى موقف أشد صراحة من هذه المواقف التي ذكرتها. ولا يسع مؤمناً

يؤمن بالله ورسوله ويصدر عن تعاليم الإسلام في سلوكه ثم ينزع إلى الغلو في عقيدة أو بشر إلا من ضرب الله على بصيرته. ولأجل وضوح موقف الشيعة من الغلاة انطلقت الأصوات الموضوعية تشهد ببراءتهم من ذلك، ومن هذه الأصوات: مؤلفوا دائرة المعارف الإسلامية فقد جاء في دائرة المعارف: الزيدية والإمامية الذين يؤلفون المذهب الوسط يحاربون الشيعة الحلوليين حرباً شعواء - الحلولى لا نعتبره من الشيعة كما مر - ويعتبرونهم غلاة يسيئون إلى المذهب بل يعتبرونهم مارقين عن الإسلام [٢٢٣]. ويقول الدكتور أحمد محمود في نظرية الإمامة عند ذكره للبايئة والبهائية: [صفحة ١٦٧] وفي البايئة آراء غالية جعلت منها مذهباً منشقاً تماماً عن الإسلام، واتفق علماء الأزهر في مصر وعلماء الشيعة في العراق وإيران على تكفير البايئة والبهائية وأغلق المحفل البهائي في مصر [٢٢٤] وقد استعرض الدكتور أحمد أمين حركة الغلاة فقال: إن أفراداً بسطاء هم الغلاة الذين يؤلهون علياً وإن الشيعة تبرا منهم ولا يجوز عندهم الصلاة عليهم [٢٢٥] هذه أمثلة بسيطة في موضوع الغلو والغلاة أضعها أمام الذين دأبوا على رمي الشيعة بالغلو ولست أنفى أن يكون بعض من شمله اسم الشيعة بمعنى انتمائه إلى الفئة التي تفضل علياً أو قل للتشيع بمعناه اللغوي قد نسبت له آراء وأقوال تفيد الغلو وقد بادوا وبادت معهم آراؤهم ولا يوجد اليوم منهم أحد إلا في بطون الكتب ومن ذلك ما ذكره البغدادي في الفروق بين الفرق حيث قال: الإمامية من الرفضة هم خمسة عشرة فرقة هي: الكاملية، والمحمدية، والباقرية، والناووسية، والشمطية، والعمارية، والإسماعيلية، والمباركية، والموسوية، والقطعية، والإثنا عشرية، والهشامية، والزرارية، واليونسية، والشيطانية، [٢٢٦] وتعقيباً على قول البغدادي نذكر أن الإمامية هم الإثنا عشرية وهم جمهور الشيعة اليوم ولا يوجد من الشيعة غيرهم وغير الزيدية والإسماعيلية في هذه الآونة، ثم إن الإثني عشرية الذين هم مدار بحثنا يمتازون عن غيرهم بعقائدهم ولا يصح أن تنسب إليهم آراء غيرهم لأنه يجمعه معهم الاسم وشيء آخر هو أن من ذكرهم البغدادي قد يمثلون لكل فرقة ذكرها بضعة أفراد ليس إلا، وهذا اللون من الخط والتساهل تعلمنا أن نرى مثله كثيراً في كتاب الفرق لابن طاهر وغيره خذ مثلاً ما يقول ابن طاهر في كتابه الفرق بين الفرق عن جابر بن يزيد الجعفي يقول: جابر بن يزيد الجعفي من المحمدية وهم أصحاب محمد بن عبدالله بن الحسن ينتظرون ظهوره وكان يقول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل القيامة [٢٢٧]. [صفحة ١٦٨] ولم يكن جابر من أتباع محمد بن عبدالله بن الحسن، ولا كان يقول برجعة مطلق الأموات وإنما كان يقول برجعة بعض أهل البيت لروايات سمعها ليس إلا، وهكذا يكون التحقيق عند أمثال ابن طاهر من الكتاب كأن مسألة العقائد أمر بهذه السهولة بحيث ينسب للناس ما لم يقولوه ويرجعهم إلى فئة ليسوا منها. وأعود لموضوع الغلاة فأقول قد اتضح للقارئ موقف الشيعة من الغلاة ولكن مع ذلك تجد باحثاً كالزبيدي صاحب تاج العروس يعرف الإمامية في كتابه التاج فيقول: الإمامية هم فرقة من غلاة الشيعة [٢٢٨]، وتجد الدكتور محمود حلمي في كتابه تطور المجتمع الإسلامي العربي يقول: وقد سمو بالشيعة لأنهم شايعوا علياً وقدموه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستشهد أهل الشيعة بنصوص من القرآن الكريم فسروها على حسب نظريتهم وغالى بعض الشيعة في تبرير أحقيته على بن أبي طالب وأضفى عليه بعض صفات التقديس والألوهية [٢٢٩] إنك لتستغرب لهجة هؤلاء الكتاب خصوصاً بعض كتاب مصر فإنهم يصورون الشيعة كأنهم أناس لا إيمان لهم ولا دين يتلاعبون بالنصوص من دون رقيب من الله تعالى ولا ضوابط من علم وخلق، وإنهم والله أولى بذلك، وإلا - فما الدليل على ما ذكره محمود حلمي وهذه كتب الإمامية بين يديه فليدلنا على مكان تنسب فيه الشيعة الحلول والألوهية إلى عليّ وسوف لا يجد ذلك قطعاً إنهم يصدرون فيما يقولون عن عدم شعور بالمسؤولية: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذبا) الكهف/٥ والأنكى من ذلك أن تجد من تأثر بهؤلاء الكتاب من قريب أو بعيد وهو من الشيعة وتراه يكتب بنفس الأسلوب ورحم الله من يقول: وظلم ذوى القربى أشد مضاضة++ على المرء من وقع الحسام المهند يقول الدكتور كامل مصطفى في كتابه: وبذلك يتبين أن الغلاة وإن كانوا مغضوباً عليهم من الشيعة المعتدلين وأئمتهم: قد أسسوا العقائد الأصلية للتشيع [صفحة ١٦٩] في بدء، ورجعة، وعصمة وعلم لدنّي بحيث صارت مبادئ رسمية للتشيع فيما بعد ولكن على صورة ملطفة إنتهى، وظهر لي أن الدكتور كامل أخذ ذلك من تصريح ابن نوف وهو أحد أصحاب المختار وهو قد أخذها من المختار [٢٣٠] وأعيد إلى الذاكرة أن العقائد قد أخذها الشيعة من القرآن والسنة كما برهننا عليه فيما مر، ثم

لو قدر أن ابن نوف هذا او المختار قد قالوا قولاً خاصاً بهما فما ذنب الشيعة ومن هو ابن نوف حتى يمثل الشيعة؟! وإذا كان الدكتور كامل يعترف بأن الغلاة مغضوب عليهم من الشيعة وأئمتهم فكيف تأخذ الشيعة منهم وهي إنما غضبت عليهم لغلوهم إذا كانت هذه العقائد من الغلو وهو ليس منه في شيء، أليس هذا هو التناقض بعينه؟ وإذا كنا نعذر حلمي وأمثاله لأنهم لم يأخذونا من مصادرنا فما عذر مثل كامل الشيبى وهو من الشيعة ويعيش بين مصادرهم. وليس هذا بالإستنتاج الوحيد من الدكتور كامل الذى لا نقره عليه بل له استنتاجات كثيرة من هذا النوع ومنها: أنه عندما استعرض مصادر القول بالرجعة عنه الشيعة ذكر أن من مصادرها كلمات للإمام على عليه السلام وردت في نهج البلاغة عندما أظفر الله تعالى بأصحاب الجمل وقال له بعض أصحابه: وددت أن أختي فلاناً كان شاهدنا ليرى ما نصر ك الله به على أعدائك فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولعل الإمام يشير إلى الآية: (ولا- تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) ١٦٩/آل عمران. ولكن الخبر يتوجه إلى الرجعة بكل ما فيها من عبرة وعمق بل إن بقية الخبر تنفذ إلى أغوار بعيدة من فلسفة الرجعة وحكمتها فإن الإمام يقول: ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام فى أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمن ويقوى بهم الإيمان، ومن ذلك يبدو أن علياً لا يكتفى بتقرير عودة الماضين فى الجهاد ليقطفوا ثمرة جهادهم بل يقرر أن المجاهدين الآتين يحضرون هذا النصر، ليزيد ذلك من أيدهم ويربط على قلوبهم وتلك أمور فيها من [صفحة ١٧٠] الأفلاطونية القديمة والحديثه مدخل كبير انتهى كلامه [٢٣١]. وأنا أضع هذا النص بين يدي القارئ ليرى ما هو مقدار الصواب من هذه الإستنتاجات التى أوردتها الدكتور والآثار التى رتبها عليها والإكتشافات الأفلاطونية التى ذكرها، وأعقب على ذلك بما يلي: أولاً: إذا كان هذا النص وارداً فى الرجعة فمعنى هذا أن الإمام علياً عليه السلام هو الذى وضع عقيدة الرجعة وليس الغلاة كما يقول الدكتور كامل. ثانياً: إن هذا النص ولكل بساطة أجنبى بساطة أجنبى كما ذكره الدكتور ولا- صلة له بالمرء بالمعانى التى ذكرها وكل ما فى الأمر أن هذا النص يفيد معنى الرواية «من أحب عمل قوم حشر معهم وشاركهم فى عملهم» ولذلك سأل الإمام على عليه السلام الرجل عن هوى أخيه هل هو مع أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فلما أجابه بنعم قال: «لقد شهدنا» أى شاركنا بمشاعره ثم قال له الإمام: إن جميع من سيرعف بهم الزمان وهم على رأينا سيشاركوننا بعد ذلك بحصول الثواب والفرح بالنصر، وكم لهذا الموضوع من نظائر، ومن ذلك ما رواه مؤرخوا واقعة الطف حيث قالوا: إن جابر بن عبدالله زار الحسين عليه السلام بعد قتله فقال فى زيارة: «أشهد أنا شاركتناكم فيما أنتم فيه» فقال له رفيقه الأعمش: إن القوم قطعت رؤوسهم وجاهدوا حتى قتلوا فكيف شاركناهم نحن فيما هم فيه؟ فقال له جابر: إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحاب الحسين ذكر ذلك أصحاب المزرات كافة، هذا هو معنى كلام الإمام على عليه السلام لا كما ذهب إليه الدكتور.

ابن موضع الغلو

أعود بعد ذلك لأضع بين يدي الأستاذ فرغل بضع روايات من مئات من نوعها تدله على موضع الغلو ليعلم أن الغلو عند غير الشيعة، وعلى أسوأ [صفحة ١٧١] الفروض فإن عند السنة أضعاف ما عند الشيعة، وسأبدأ معه من الخلافة وأتسلسل معه. ١- الشاهد الأول: ذكر الشيخ إبراهيم العبيدى المالكي فى كتابه عمدة التحقيق فى بشائر آل الصديق قال روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يوماً لعائشة: إن الله لما خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة مرة وأربعين مرة - مع ملاحظة أن حجم الشمس كما يقول الفلكيون مليون وثلاثمائة ألف مرة تقريباً - وجعلها على عجله وخلق للعجلة ثمانمائة عروة وستين عروة وجعل فى كل عروة سلسله من الياقوت الأحمر، وأمر ستين ألفاً من الملائكة المقربين أن يجروها بتلك السلاسل مع قوتهم التى اختصهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهى تجول فى القبة الخضراء وتجلو جمالها على أهل الغبراء وفى كل يوم تقف على خط الإستواء فوق الكعبة لأنها مركز الأرض - ملاحظة: خط الإستواء ليس فوق الكعبة - وتقول يا ملائكة ربى إني لأستحيى من الله عز وجل إذا وصلت إلى محاذة الكعبة التى هى قبله المسلمين أن أجوز عليها والملائكة تجر الشمس لتعبر على الكعبة، بكل قوتها فلا تقبل منهم وتعجز

الملائكة عنها فالله تعالى يوحى إلى الملائكة ومن الإلهام فينادون: أيتها الشمس بحرمه الرجل الذى اسمه منقوش على وجهك المنير الا- رجعت إلى ما كنت فى من السير، فإذا سمعت ذلك تحركت بقدر المالك فقالت عائشة: يا رسول الله من الرجل الذى اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو بكر الصديق يا عائشة قبل أن يخلق الله العالم علم بعلمه القديم أنه يخلق الهواء ويخلق على الهواء هذا السماء ويخلق بحراً من الماء ويخلق عليه عجله مركباً للشمس المشرقة على الدنيا وإن الشمس تتمرد على الملائكة إذا وصلت الإستواء وإن الله قدر أن يخلق فى آخر الزمان نبياً مفضلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة على رغم الأعداء ونقش على وجه الشمس إسم وزيره أعنى أبا بكر صديق [صفحة ١٧٢] المصطفى فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس وعادت إلى سيرها بقدره المولى وكذلك إذا مر العاصى من أمتى على نار جهنم وأرادت النار أن تهجم على المؤمن فلحرمه محبة الله فى قلبه ونقش اسمه على لسامه ترجع النار إلى ورائها هاربة [٢٣٢]. ٢- الشاهد الثانى: ذكر محمد بن عبدالله الجردانى فى مصباح الظلام قال: روى عن ابن عباس جاء جبرئيل وقال يا محمد اقرأ عمر السلام وأخبره أن رضاه عز، وغضبه حلم، وليبك الإسلام بعد موتك على موت عمر فقال: يا جبرئيل أخبرنى عن فضائل عمر وما له عند الله تعالى؟ فقال: يا محمد لو جلست معك قدر ما لبث نوح لم أستطع أن أخبرك بفضائل عمر وماله عند الله تعالى [٢٣٣]. ٣- الشاهد الثالث: ذكر الإمام أحمد فى مسنده بإسناده عن عائشة: أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان مضطجعاً فى بيته كاشفاً عن فخذه وساقه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلس فجلست وسويت ثيابك فقال: ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة [٢٣٤]. هذا ثلاثة نماذج من عشرات من الروايات: التى يأبأها الخلفاء أنفسهم فإن لهم من مواقفهم ومناقبهم ما يكفيهم إنهم ليسوا بحاجة إلى أن تشاد لهم صروح من خيال أبله أن تاريخنا الإسلامى أعز علينا من أن نرضى بأن تكون [صفحة ١٧٣] مادته من هذا التخريف، فإن لنا من محتويات تاريخنا الناصح ما هو محل اعتزاز الإنسانية وإلحاقاً بهذا أشفع لك هذا الروايات ببعض النماذج الأخرى التى خلقها التنافس بين المذاهب بدون أن يلتفت إلى أنه بذلك يحط من قيمة المذاهب كلها. يقول ابن الجوزى فى كتابه الياقوتة: إن أبا حنيفة كان فى حياته يعلم الخضر ولما مات أسف الخضر وناجى ربه وقال إلهى إن كان لى عندك منزلة فأذن لأبى حنيفة حتى يعلمنى من القبر على حسب عادته حتى أتعلم شرع محمد على الكمال فأحياه الله تعالى وتعلم منه العلم إلى خمسة وعشرين سنة الخ [٢٣٥] فمن هو الذى يقول بالرجعة يا مسلمون؟ ويقول ابن الجوزية فى كتاب المناقب عن علي بن إسماعيل قال: رأيت القيامة قد قامت وجاء الناس إلى قنطرة ولا يترك أحد يجوز حتى يأتى بخاتم ورجل جالس ناحية يختم للناس ويعطيهم فقلت: من هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل [٢٣٦]. وبوسعك أن تقرأ روايات فى الإمام مالك وفى الإمام الشافعى وفى كثير من الفقهاء والأئمة مما نسج من الخيال ووضع فى طريق القارئ يؤذى ذوقه ويخدش حسه، وبعد ذلك فماذا يسمى مثل هذا هل هو غلو أم لا سؤال موجه للأستاذ فرغل؟ وسأقدم لفرغل نموذجاً واحداً فقط يقول صاحب تفسير روح البيان: عند تفسير قوله تعالى: (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) إن نصف الثمانية الذين ذكرتهم الآية هم أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل، ما يقول مولانا فرغل فى ذلك؟؟!! [صفحة ١٧٤]

من عقائدنا - المهدي

إشارة

ما رأيت كتاباً كتب عن الشيعة إلا واتخذ من عقيدتهم بالمهدى وسيلة للسخرية والتهريج ووضع للفكرة حواشى ورتب عليها لوازم وأشرف سلاحه وتفهيق بكلامه وصال وجال كأنه اكتشف كسفاً ضخماً وأنه وحده العبقري وأن الآخرين بلهاء، ولنر من أين جاءت

فكرة المهدي وهل أخذها الشيعة من مصدر ديني سليم أم لا؟ وهكذا نمشى مع الفكرة، إن الذين كتبوا عن المهدي ربطوا مصدر هذه الفكرة بأمرين أحدهما الفكر الوضعي والآخر العقيدة الدينية، والذين ربطوا العقيدة بالفكر الوضعي انقسموا أيضاً. وسنذكر أقوالهم حسب الشق الذي مالوا إليه ورجحوا أنه المصدر لهذه الفكرة: ١- القسم الأول: الذين ربطوا الفكرة الإمام المهدي بالفكرة الوضعي في بعده النفسي يرون أن عقيدة المهدي ليست وقفاً على الفكر الشيعي ولا- على المسلمين فقط بل ولا على الديانات السماوية كلها إنما هي على مستوى الشعوب ذلك أن العامل المشترك بين كل هذه الفئات هو عامل نفسي موحد: وهو الشعور بوضعية غير عادلة من حكم قائم بالفعل وخزين متراكم من حكام سابقين عاشوا مع شعوبهم على شكل قاهر ومقهور، ومتسلط ومسحوق، ورزحوا تحت نير الظلم والطغيان. ولذا كانت هذه العقيدة عند الشعوب الشرقية ونظائرها ممن يشترك [صفحة ١٧٥] مع الشعوب الشرقية بأنه مسحوق، وحيث أن بعض هذه الشعوب عنده عقيدة دينية تبشر بالمهدي أيضاً: فإن هذا العقيدة مهمتها تدعيم هذا العامل النفسي وخلق لون من المشروعية لهذه النزعة في نفوس الناس وهذا هو المعنى الذي عبر عنه برتراند رسل بقوله: ليس السبب في تصديق كثير من المعتقدات الدينية الإستناد إلى دليل قائم على صحة واقع كما هو الحال في العلم، ولكنه الشعور بالراحة المستمد من التصديق فإذا كان الإيمان بقضية معينة يحقق رغباتي فأنا أتمنى أن تكون هذه القضية صحيحة وبالتالي فأعتقد بصحتها [٢٣٧]. إذاً فالقدر الجامع بناءً على هذا هو الأمل بظهور مخلص من واقع سيئ تعيشه الجماعة، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد محمود: إن الإعتقاد بظهور مسيح أو انتظار رجعة مخلص وليد العقل الجمعي في مجتمعات تفكر تفكيراً ثيوقراطياً في شؤونها السياسية، وبين شعوب قاست الظلم ورزحت تحت نير الطغيان، سواء من حكامهم أم من غزاة أجنبية، فإزاء استبداد الحاكم وفي ظل التفكير الديني تتعلق الآمال بقيام مخلص أو محرر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً [٢٣٨]. فهذه العقيدة بالرغم من وجود مصادر دينية لها عند المسلمين واليهود والمسيحيين إلا أن هذه المصادر ليست هي العامل الأساسي في نظر هؤلاء بالإعتقاد بها، وإنما تلب دوراً مبرراً ثانوياً، ويرى الدكتور أحمد محمود أن عقيدة السنة بالصبر على الظالم وعدم الخروج عليه عمقت نزعة المهدي وتركت الوسط الديني السني الذي الذي يعتقد بموضوع المهدي يعيش بين عامل الألم من الواقع الفاسد الذي عاشه أيام الأمويين وما تلاها من عصور، وبين ضرورة الخلاص، فمال إلى الخلاص في المدى الأبعد الذي وجده في عقيدة المهدي وقد حاول إشراك [صفحة ١٧٦] الشيعة في ذلك باعتبارهم صابرين على الظلم حيث قال: إن هذه العقيدة لا يؤمن بها إلا أولئك الذين يعانون صراعاً نفسياً نتيجة السخط على تصرفات الحكام وعدم استحقاقهم لقب الخلافة لفسقهم، ونتيجة خضوعهم من ناحية ثانية للأمر الواقع أما خشية الفتنة كما هو عند السنة، الذين لا يرون الخروج على أئمة الجور استناداً إلى أدلة عندهم، أو نتيجة للتخاذل بسبب فشل كثير من الحركات الثورية كما هو عند الشيعة الذين يرون الصبر على الخلفاء تقيّة فعقيدة المهدي مخرج لهذا الصراع، أما الفرق التي تجعل من أصول مبادئها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيوف كالخوارج والزيدية: فإن هذه العقيدة عندهم غير ذات موضوع، إلى أن قال: ولذا لا تبلغ أهمية المهدي عند فرقة من الفرق كما تبلغ عند الشيعة الإثنى عشرية الذين يتطرف حكمهم على الخلفاء من ناحية كما يتطرف تحريمهم الخروج على الخلفاء من ناحية أخرى [٢٣٩] هذا ملخص ما قاله الدكتور أحمد محمود ولنا على مضامين هذا الفصل الملاحظات التالية: ١- الملاحظة الأولى: أن هذا الخلط بين السبب وبعض نتائجه ذلك لأن الشعوب المرتبطة بدين معين تربط مظاهرها العقائدية بدينها في الجملة، فإذا لم يوجد مصدر ديني لذلك المظهر يبحث عندئذ عن سببه الآخر، ولا شك أن الأديان الثلاثة بشرت بفكرة المخلص وهو إما واحد للجميع يوحد به الله تعالى الأديان في الخلاص من الظلم، أو متعدد لكل أمة من الأمم مهديها، والهدف منه ومن التبشير به أن يوضع أمام كل أمة مثل أعلى يجسد فكرة العدل ولتكون الشعوب على تماس مباشر مع فكرة الخير والمثل الأعلى كما هو متصور فالأصل في فكرة المهدي النصوص الدينية، وساعد على ترسيخها في النفوس ارتياح النفوس إليها، خصوصاً إذا لم تقو على تجسيد العدل لسبب ما. ولكنها إذ تتخذ من فكرة المهدي وسيلة تعويضية [صفحة ١٧٧] تمسخ الغرض الأصلي من فكرة المهدي وهو أن تكون حافزاً يدفع الناس إلى السعي إلى دفع الظلم وفكرة قيام الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر خصوصاً إذا كانت النصوص الدينية قائمة في تحميل الإنسان مسؤولية الدفاع عن نفسه وعن مقدساته بغض النظر عن قيام المهدي وعدمه كما هو واقع التعاليم الدينية، فلا ينبغي أن تتحول فكرة الإمام المهدي من نصب مثل أعلى لاستشعار سبل ومناهج الحياة الكريمة إلى مخدر يميّت في النفوس نزعات التطلع ووثبات الرجولة، أو من محفز إلى منوم. ٢ - الملاحظة الثانية: إنّ إشراك الشيعة مع السنة بأنهم لا ينهضون ضد الظالم تقيّة مغالطة صريحة، وذلك لأنّ عامل صبر السنة على الظلم عامل اختياري نتيجة تمسك بأحاديث يرون صحتها في حين أنّ صبر الشيعة على الظلم نتيجة عامل قهري لعدم وجود قدرة ووسيلة للنهضة، وهذا عامل عام عند كل الناس، أما لو وجدت عوامل النهضة فلا ينتظر الشيعة خروج المهدي ليصلح لهم الأمر بدليل أنّ حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما قائم عندهم فعلاً، وكذلك الجهاد بكل أقسامه بوجود نائب الإمام الخاص أو العام في رأي بعضهم قائم بالفعل، أما دفاع الظالم عن النفس والمقدسات فلا يشترط فيه وجود إمام أو نائبه على رأي جمهور فقهاء الشيعة لأنه دفاع عن النفس ويتعين القيام به في كل وقت من الأوقات [٢٤٠]. إنّ الرجوع إلى تاريخ الشيعة يشكل أدلة قائمة على ما ذكرناه لكثرة ثوراتهم على الباطل في مختلف العصور والجهاد مع باقي فرق المسلمين في ساحات الجهاد ضد الكفر والظلم ولست بحاجة للإطالة بذلك لوضوحه. ٣ - الملاحظة الثالثة: لا ينهض اشتراك الشعوب في عقيدة المهدي دليلاً على وحدة العامل، لأننا [صفحة ١٧٨] نرى كثيراً من المظاهر السلوكية سواء كانت مظاهر دينية أم لا تشترك بها شعوب دون أن تصدر عن علة واحدة. خذ مثلاً ظاهرة تقديم القرابين فهي عند معتنقي الأديان السماوية شعيرة أمر بها الدين بهدف التوسعة على الفقراء والمعوزين في حين نجد أنها عند بعض الشعوب بهدف اتقاء سخط الآلهة، وعند البعض الآخر لطرد الأرواح الشريرة وعند البعض الآخر تقدم الضحايا من البشر بهدف استدرار الخير كما هو عند قدماء المصريين، فلم تكن العلة واحدة عند الشعوب كما ترى، إذاً فمن الممكن أن تكون فكرة الإمام المهدي ليست عملية تعويض أو تنفيس وإنما هي فكرة تستهدف وضع نصب يظل شاخصاً دائماً يذكر الناس بأنّ الظالم قد يمهّل ولكنه لا يمهّل لأنّ الناس إذا تقاعسوا عن طلب حقوقهم فإنّ السماء لا تسكت بل لا بد من الانتقام على يد مخلص، مع ملاحظة أنّ الأصل في مثل هذه الحالات أن يتصدى الناس لتقويم الإعوجاج ولذلك يقول الله تعالى: (إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) الرعد/١٢ فإذا غلب عليهم التخاذل فإنّ الله تعالى لا يمهّل أمر عباده ولذلك تشير الآية الكريمة وهي قوله تعالى: (حتى إذا استيأس الرسل وظنّوا أنّهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) يوسف/١١٠ وقد حام المفسرون حول هذا المعنى الذي ذكرناه عند تفسيرها للآية المذكورة [٢٤١] وذكروا أنّ السماء تتدخل عندما يطول البلاء وتشتد الحالة ويهلع الناس إلى حد اليأس. ٢ - الشق الثاني: الذين ربطوا فكرة الإمام المهدي عليه السلام بالأخذ التقليدي وقالوا إنّها عبارة عن اقتباس أخذ المسلمون عن بعض الشعوب من دون أن يكون هناك عامل شعوري مشترك وسواء أخذت هذه العقيدة من هذا الشعب أو ذاك فإنّ جولد تسيهر، وفان فلوتن: المستشرقان قالوا إنّها مقتبسة من اليهود بشكل وبآخر، ويؤكد فان فلوتن أنّها جاءت من تنبؤات كعب الأبحار ووهب بن منبه فهي من [صفحة ١٧٩] الأفكار الإسرائيلية التي نشرت بين المسلمين [٢٤٢] في حين يذهب أحمد الكسروي إلى أنّها مقتبسة من الفرس حيث يقول: لا يخفى أنّ قدماء الفرس كانوا يعتقدون بإله خير يسمى يزدن، وإله شرّ يسمى أهريمن، ويزعمون أنّهما لا يزالان يحكمان الأرض حتى يقوم ساوشيان ابن زرادشت النبي، فيغلب أهريمن ويصير العالم مهدياً للخير وقد تأصل عندهم هذا المعتقد فلما ظهر الإسلام وفتح المسلمون العراق وإيران واختلطوا بالإيرانيين سرى ذلك المعتقد منهم إلى المسلمين ونشأ بينهم بسرعة غريبة ولسنا على بينة من أمر كلمة المهدي من وضعها ومتى وضعت. إنتهى بتلخيص [٢٤٣] إنّ هذا الرأي لا يستحق المناقشة في الواقع لأسباب كثيرة منها: افتراضه تساهل المسلمين بحيث يعتقدون بأمور لا يعرفون مصدرها ومنها عدم وجود صلة بين فكرة إلهي خير وشر وفكرة مخلص، ومنها أنّ حجم مسألة المهديوية ليس بهذه البساطة فالفكرة من الفكر الكبيرة الحجم بالعقيدة الدينية. ٣ - الشق الثالث: ربط فكرة المهدي بالفكر الوضعي في بعده السياسي ويقول أصحاب هذه الفكرة أنّ فكرة المهدي اخترعها بعض الحكام الذين حكموا ولم تتوفر فيهم صفات يفترضها المسلمون في الحاكم، فافترضوا أنّ هناك إماماً غائباً محرّراً سيظهر بعد ذلك وقد عهد إليهم بالقيام

بالحكم إلى أن يظهر وقالوا إن المختار الثقفي ممن سلك هذا الطريق وادعى أنه منصوب من قبل المهدي من آل محمد، وممن أكد هذا الرأي المستشرق وات [٢٤٤] وهذا الرأي يضع الأثر مكان المؤثر فإن الذين اتخذوا من فكرة المهدي سناداً لهم على فرض وجودهم بهذه الكثرة: لابد أن تكون فكرة المهدي شائعة عند الناس قبل مجيئهم فاستفادوا منها وركبوا ظهر العقيدة، على أن نسبة هذا الرأي للمختار باعتباره جزءاً من العقيدة الكيسانية [صفحة ١٨٠] فنده كثير من المحققين، وحتى مع فرض صحته يبقى متأخراً عن وجود عقيدة المهدي كما ذكرنا. وليس للمختار تلك المكانة الكبيرة عند فرق المسلمين حتى يأخذوا عنه ويتأثروا بآرائه مع التفات المسلمين لهده.

عقيدة المسلمين بالمهدي

إن فكرة الإمام المهدي في نطاق العقيدة الدينية بغض النظر عن تفاصيلها موضع اتفاق جمهور المسلمين فإن روايات المهدي وانتظار الفرج على يديه وظهوره ليملاً الأرض عدلاً وردت عند كل من الشيعة والسنة، وممن رواها من أئمة السنة: الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، وأبو داود في سننه، وابن ماجه في سننه، الحاكم في مستدركه، والكنجي الشافعي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان وابن حجر العسقلاني في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، ويوسف بن يحيى الدمشقي في عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر، وأحمد بن عبدالله أبو نعيم صاحب الحلية في نعت المهدي، ومحمد بن ابراهيم الحموي في مشكاة المصابيح، والسهمودي في جواهر العقدين وعشرات من أعلام السنة وغيرهم [٢٤٥] لا أريد الإطالة بذكرهم. وقد أخرج أئمة السنة أحاديث المهدي عن طريق الإمام علي عليه السلام وابن عباس، وعبدالله بن عمر، وطلحة، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وغيرهم. ومن تلك الأحاديث ما رواه ابن عمر بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ذلك هو المهدي، وكقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: المهدي من عترتي من ولد فاطمة، وقد صحح هذه الأحاديث وغيرها مما ورد في الإمام المهدي: ابن تيمية [صفحة ١٨١] مستنداً إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل وصحيح الترمذي، وسنن أبي داود [٢٤٦]. وقد ذهب ابن حجر تبعاً للنصوص إلى تكفير منكر المهدي فقد أجاب في الفتاوى الحديثية حين سئل عن ينكرون خروج المهدي المنتظر فقال: فهؤلاء المنكرون للمهدي الموعود به آخر الزمان وقد ورد في حديث عن أبي بكر الأسكافي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر، إلى أن قال: ونملي عليك من الأحاديث المصرحة بتكذيب هؤلاء وتضليلهم وتفسيقهم مافيه مقنع وكفاية لمن تدبره: أخرج أبو نعيم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: يخرج المهدي وعلى رأسه عمامة ومعه مناد ينادي هذا خليفة الله فاتبعوه، ثم أخذ يورد الأحاديث الواردة في المهدي [٢٤٧] هذا بعض المأثورات السنية في الإمام المهدي، أما الشيعة فرواياتهم في موضوع الإمام المهدي بكل جوانبه كثيرة واردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وقد ألفوا في ذلك كتباً كثيرة استوفت وغطت كل التساؤلات حول موضوع الإمام المهدي: مثل كتاب الغيبة لمحمد بن ابراهيم النعماني، وكمال الدين وتمام النعمة لمحمد علي بن بابويه القمي، وكتاب الغيبة لمحمد ابن الحسن الطوسي [٢٤٨] وغيرهم كثير وقد تناولها فكتب بالمهدي كل من الصدوق في علل الشرائع، والمرتضى في تنزيه الأنبياء والمجلسي في البحار والمفيد في الفصول، وفي الإرشاد ومن المتأخرين كتب عشرات المؤلفين بالمهدي وأشبعوا الموضوع. وقد استعرضوا الأدلة في موضوع المهدي وأذكر من أدلتهم دليلين فقط: ١ - فمن الأدلة العقلية التي أوردتها دليل اللطف ومفاد هذا الدليل: أن العقل يحكم بوجود اللطف على الله تعالى وهو فعل ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية ويوجب إزاحة العلة وقطع العذر بما لا يصل حد الإلجاء لئلا يكون للناس على الله حجة فكما أن العقل حاكم بوجود إرسال الرسل وبعثه [صفحة ١٨٢] الأنبياء ليبينوا للناس ما أراد الله منهم وللحكم بينهم بالعدل: كذلك يجب نصب الإمام ليقوم مقامهم تحقيقاً لنفس العلة، فإن الله لا يخلي الأرض من حجة، وليس زمان بأولى من زمان في ذلك، إلى آخر ما أوردوه. ٢ - أما من الأدلة النقلية فذكروا ما يلي:

قال الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنهم دينهم) فقد فسرت هذه الآية كما عن الإمام الصادق عليه السلام بخروج المهدي وتحقيق هذه الأشياء على يديه [٢٤٩] وقد قيل إن لسان هذه الآية عام يشير إلى تحقيق هذه الأمور على أيدي المسلمين فأجابوا أن القرائن تفيد أن هذه الأمور لم تتحقق على النحو الذي ذكرته هذه الآية من مجيء الإسلام حتى يومنا هذا، ووعده الله لا بد تحقيقه، وتلك قرينه على تحققه في المستقبل، يضاف لذلك أن من أساليب القرآن الكريم أن يعبر عن الخاص بصيغته العام وعن المفرد بالجمع في كثير من الموارد، ولذلك قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) الخ المائدة: ٥٧/ قال: إنها نزلت في أبي بكر بقرينه أنه هو الذي قاتل المرتدين مع أن لسان الآية عام [٢٥٠]، ومن الأحاديث التي استدلت بها الشيعة في موضوع المهدي ما رواه الطوسي في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي [٢٥١]، هذه فكرة موجزة أردت بها الإشارة إلى إجماع المسلمين على موضوع المهدي. وحينئذ لا يبقى قيمة لأقوال المهرجين الذين يريدون إبعاد الفكر عن الإسلام غير عابئين بما ورد فيها من آثار ونصوص، وإذا كان البعض قد استغل الفكرة عبر التاريخ فما ذلك بموجب لنكرانها ورمي من يعتقد بها [صفحة ١٨٣] بالتحريف، وما أسهل نفى فكرة إذا كانت لا تلتقى مع مصلحة شخص أو كان يجهلها. على أنني لا أصحح جميع ما أحاط بها من ذيول بل لا بد من الإقتصار على ما تثبت صحته بالطرق المعتمدة ويجدر بالبعض أن يتعد عن التهريج الذي يصل إلى القول: ما أن للسرداب أن يلد الذي ++ صيرتموه بزعمكم إنسانا فعلى عقولكم العفاء لأنكم ++ ثلثتموا العنقاء والغيلانا إن هؤلاء تسرعوا فقالوا بما لا يعرفون واننا نقول لأمثال هؤلاء سلاماً كما أمر القرآن الكريم.

المردود الإيجابي في عقيدة المهدي

بقي أن يعرف ما هي حصيلة عقيدتنا بوجود المهدي فإن تقييم مثل هذه الأمور يصحح كثيراً من التصورات الخاطئة من أمثال هذه العقائد خصوصاً إذا عرفنا أن العقائد فواعل بالنفوس. ١- المردود الأول: فأول المردودات الإيجابية بهذه العقيدة حصول الإمثال لأمر الله تعالى بهذه العقيدة ككل العقائد، فإن المفروض أن النصوص تحتم الإيمان بها كما ذكرنا آراء العلماء بذلك. ٢- المردود الثاني: الشعور بقيام الحجّة على العباد لله تعالى بوجود الإمام إذ لو حصلت الكفاية بغيره لما حصل الخلاف بي المسلمين، فإن قيل إن الخلاف حاصل بالفعل قيل: إن ذلك ناتج من عدم الالتزام بإمامته، بالإضافة إلى الشعور بالتسديد في آراء العلماء بوجود الإمام بين أظهرهم وإن لم يعرفوه. [صفحة ١٨٤] ٣- المردود الثالث: في وجود المهدي لطف يقرب العباد إلى الله تعالى لشعورهم بأن الله تعالى يهتئ لإقامة العدل ورفع الظلم، فإن قيل إن رفع الظلم يجب أن يحدث بالأسباب الطبيعية من قبل الناس: قيل إن ذلك صحيح ولكن إذا تهاونوا بذلك فلا بد أن يدافع الله تعالى عن الذين آمنوا، فإن قيل إن ذلك يحصل بالآخرة، قيل إن مثل ذلك كمثل إقامة الحدود في الدنيا مع أن المجرم لا يترك بالآخرة. هذه بعض الفوائد في موضوع الإمام المهدي وليست هي علة تامّة بل حكمه ونحن نتعبد بما ورد في النصوص، وهناك فوائد أخرى ذكرتها المطولات وغطت أبعاد المسألة يمكن الرجوع إليها.

المردود السلبي في عقيدة المهدي

١- المردود الأول: إن أول المردودات السلبية أن هذه الفكرة تشل الإنسان وتمنعه عن القيام بواجباته وتخدّر الإنسان وتتركه خائفاً ذليلاً بانتظار ظهور الإمام ليأخذ له بحقه، وقد صور بعضهم شدة لهفة الشيعة بانتظار ظهور الإمام بأنّ قسماً من الشيعة لا يصلون مخافة أن يخرج الإمام وهم مشغولون بالصلاة فلا يستطيعون اللحاق به [٢٥٢] وهذا التصور مردود جملة وتفصيلاً فلا أحتاج إلى إكثار القول فيه بل ألفت النظر إلى كتب فقه الإمامية فإنّ الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوب الدفاع عن النفس قائم بالفعل ولا

يرتبط بالمهدى من قريب أو بعيد ومن ادعى خلاف ذلك فليدنا على المصدر، وأما الدعاوى الفارغة والقول البذى فمردود على القائل وهو به أولى، ومن قفا مؤمناً بما ليس فيه حسبه الله تعالى فى ردغة الخبال، كما يقول الحديث النبوى الشريف [٢٥٣]. [صفحة ١٨٥] ٢- المردود الثانى: أن اللإيمان بفكرة المهدي يؤدى إلى الإزدراء بالعقل لما فى ذلك من مفارقات مثل طول العمر غير المعتاد، وغيبته عن الأبصار، وعدم وجود فائدة فى إمام كهذا وغير ذلك. والجواب على ذلك بالإختصار: أن الشيعة لا يجعلون بقاءه هذه المدة أمراً طبيعياً وإنما هو معجزة لأنهم يقولون لما ثبت بالأدلة وجوده وغيبته والوعد بظهوره فلا بد والحالة هذه من الإيمان بذلك بالإضافة لعدم خلو الزمان من إمام مفترض الطاعة، وبناءً على أن وجوده معجزة ينقل حينئذ الكلام إلى المعجزات ككل فأما أن تصدق أو تكذب وإذا كذبتها كذبنا الثابت فى الإسلام أما أنه لا يرى فليس بمعلوم بل يجوز أن يرى ولا يعرف ويستفاد بآرائه لأنه يشترك مع الناس بالآراء ويلقى بالرأى الصحيح، يبقى الكلام على عدم تعليل اختفائه، وما أكثر العقائد والأحكام التى لا نجد لها علة ونقول بمضمونها مثل رمى الجمرات فى الحج، والهرولة، ومعاقله المرأة الرجل إلى ثلث الديه وأعداد ركعات الصلاة وهكذا. فإنها كلها أحكام غير معللة بل معظم الأحكام هكذا، وكذلك كثير من العقائد. ٣- المردود الثالث: الإزدواجية التى تحصل من وجود إمام تجب طاعته ولا يحكم وآخر يحكم ولا تجب طاعته، والجواب أن فقهاء الإمامية بالجملة فى حال غيبة الإمام يقرون حكومة الحاكم العادل الذى يعرى مصالح المسلمين ويحمى ثغورهم ويجاهد عدوهم ويرتبون المشروعية على تصرفاته بالجملة. أما بعد فهذه الإمامة موجزة بفكرة الإمام المهدي أردت أن أذكر من يكتبونها عنها فيصورون الشيعة كأنهم اقتبسوا أحكامهم من كسرى وقصر مع وفرة ما أوردناه من أحاديث حول فكرة المهدي فهل يسع مسلماً يؤمن بالله نكرانها أو رميها بعيداً عن الإسلام، اللهم إلا أن يقال إن أحاديث اللهمدى دسها الشيعة فى كتب السنة كما يقل ذلك موارد أخر فإن بعضهم إذا لزمته الحجة بحديث قال ذلك، [صفحة ١٨٦] وعليه يجب أن نرمى كل كتب التراث بالبحر إذا كانت قابلة لهذا التصور ولا يبقى بها ثقة إرضاء لسواد عيون بعض من لا يروق له الإذعان للحق ويطره أن يتأصل الخلافة بين المسلمين إننا مدعوون الى حمل شعار القرآن: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الأنبياء/٩٢ وما أروع إيماءة القرآن بالأمر للامة بعبادة الله عقب ذكر وحدة الأمة فى الآية إشارة إلى أن كثيراً من الناس يعز عليهم وحدة الأمة لأن مصلحتهم المادية فى فرقتها ولأن أصناماً من العصبية فى رؤوسهم يعبدونها وقد أمرهم الله تعالى ببنائها وعبادته وحده لأنه وحده الأمة وصهرها بكلمة التوحيد.

التقية وأحكامها

ومما ألقى بالشيعة وأصبح لا يتخلف عنهم عندما يخطرون فى الذهن وكأنه عضو منهم خاصة دون باقى المسلمين: التقية، والذى ساعد على ذلك أن التشيع انفرد على مدى تاريخه بالتعرض إلى ضغط يفوق الوصف لأنه يشكل جبهة المعارضة فى وقت لا معنى للمعارضة إلا العداة وليس كما تعطيه لفظة المعارضة من مدلول فى الوقت الحاضر، وكان اعتيادياً أن يتعرضوا إلى مطاردة وتنكيل، وكان لا بد من المحافظة على أنفسهم من الإبادة التامة فلجئوا إلى التقية باعتبارها وسيلة يقرها الدين للإحتماء بها عند الضرورة ورووا لها سندها من الكتاب والسنة وكان من الأولى أن يمدحوا على ذلك لأنهم استعملوا ما أمر به الشارع لحفظ النفس عند الخطر، ولثلا يعرضوا إلى أحد أمرين اما الإبادة، أو الإنهيار، والإرتماء فى أحضان الظالمين كما فعل غيرهم ممن آوى إلى فراش الحكم والحكام يرتع فى موائلهم ويعيش فى حمايتهم ويتكلف الأدلة لتصبح آراؤهم منسجمة مع الشرع، كما قال ابن خلكان فى ترجمة أبى يوسف القاضى: قال: إن زبيدة زوجة الرشيد كتبت إلى أبى يوسف القاضى ما ترى فى كذا، وأحب الأشياء إلى أن يكون الحق فيه كذا فأفتاها بما أحببت فبعثت إليه بحق فضة فيه حقاق فضة [صفحة ١٨٧] مطبقات فى كل واحد لون من الطيب وفى جام دراهم وسطها جام فيه دنانير، والخ [٢٥٤]. وقد كان للشيعة مندوحة عن كل ما عانوه من الجور والظلم بشيء من مجاراة الحكام ولكنهم أبوا ذلك وتصلبوا من أجل مبادئهم إلا فى حالات شاذة. على أن هناك ظاهرة ألفت النظر إليها: وهى أن الشيعة منذ تعرضوا للضغط عاشت

شابهت حالهم الحال مع الكافرين أى فى حال عدم قدرة المسلم على [صفحة ١٩٠] إظهار عقيدته المذهبية بين مسلمين من فرق أخرى وممن ذهب لهذا رأى الإمام الشافعى وابن حزم الظاهرى [٢٦٤]. وحكم التقيّة كباقي الأحكام باق إلى يوم القيامة خلافاً لمن قصره على أيام ضعف الإسلام وفى ذلك يقول الفقهاء: إنها جائزة للمسلم إلى يوم القيامة، مستندين إلى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر لما قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ما تركونى حتى نلت منك فقال له: إن عادوا فعد لهم بما قلت، ذكر ذلك البيضاوى فى تفسيره لآية ١٠٦ من سورة النحل فراجعه. ٤ - رأى الشيعة بالتقيّة: لا يختلف الشيعة عن السنة فى القول بالتقيّة فإنها عندهم وسيلة أرشد إليها الشرع لحفظ النفوس الواجب حفظها، وحفظ باقى الأمور التى أمر الشرع بحفظها هذا كل هدف التقيّة عندهم لا- غير، وليس كما يقول البعض إن الشيعة اتخذوا من التقيّة أداة للختل والمراوغة والإزدواجية ولأجل المؤسسات السريّة الهدامة [٢٦٥]. والتقيّة عند الشيعة تختلف باختلاف المقام فقد تكون واجبة وقد تكون مباحة وقد تكون محرمة، ولذلك تجد عبارات فقهاء الشيعة قد ذكرت الحالات الثلاث يقول ابن بابويه القمى: إعتقادنا فى التقيّة: أنّها واجبة وأنّ من تركها فكأنما ترك فرضاً لازماً كالصلاة، ومن تركها قبل ظهور المهدي فقد خرج عن دين الله ودين نبيه والأئمة، بينما يقول الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان: التقيّة جائزة عند الخوف على النفس وقد تجوز فى حال دونه عند الخوف على المال وللضروب من الإستصلاح، وأقول إنها قد تجب أحياناً من غير وجوب وأقول إنها جائزة فى الأقوال كلها عند الضرورة وليس تجوز فى الأفعال فى قتل المؤمنين وما [صفحة ١٩١] يغلب أنه استفساد فى الدين [٢٦٦]. بينما يقول فقيه شيعى معاصر: وللتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر وليس هى بواجبة على كل حال بل قد يجوز أو يجب خلافها فى بعض الأحوال كما إذا كان فى إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجهاد فى سبيله فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس، وقد تحرم التقيّة فى الأعمال التى تستوجب قتل النفوس المحترمة، أو رواجاً للباطل، أو فساداً فى الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم أو إفشاء الظلم والجور فيهم، إلى أن قال: إن عقيدتنا فى التقيّة قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جملة المطاعن فيهم وكأنهم لا يشفى غليلهم إلا أن تقدم رقابهم - أى رقاب الشيعة - إلى السيوف لا ستئصالهم [٢٦٧]. ومن هذه المقتطفات التى ذكرتها يتضح أنّ التقيّة تتبع الحالات والظروف وتكون محلاً - للأحكام المذكورة تبعاً لاختلاف العناوين، وقد سبق أن ذكرنا استدلالات الشيعة للتقيّة من الكتاب والسنة، ولذلك كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «التقيّة دينى ودين آبائى» وخصوصاً فى عصره حيث كانت السيوف هى اللغة الوحيدة، وقد حاول بعضهم أن يفلسف من موقف الإمام الصادق ومواقف الشيعة فى التقيّة بأنّ التقيّة علاج لأمرين: أ - هو أنّ سكوت أئمة أهل البيت عن المطالبة بحقهم والتصدي للظالمين من ناحية، ومن ناحية أخرى إنّ المفروض أنّهم الأئمة المفترضة طاعتهم، إنّ ذلك يشكل تناقضاً لا مخرج منه إلا التقيّة، قال بذلك كل من الرازى فى كتابه محصل آراء المتقدمين والمتأخرين والملطى فى كتابه التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع [٢٦٨]. [صفحة ١٩٢] ب - والأمر الثانى هو ما يظهر من اختلاف فى أقوال الأئمة بعضهم مع بعض وفى أقوال الإمام الواحد فى مقامات مختلفة مما يشكل علامة استفهام ودفعاً لذلك قالوا بالتقيّة حتى لا يبقى إشكال فى ذلك، محصل قولهم ذكره صاحب كتاب دراسات فى الفرق والعقائد [٢٦٩]. إنّ هذا الباحث يظهر من تصويره لمسألة التقيّة عند الأئمة أنّه اختلط عليه المقسم بالقسم، وذلك أنّ الموردتين اللتين ذكرهما إنما هما من موارد تطبيق مبدأ التقيّة لا أنّ التقيّة أنشئت من أجلهما، هذا مع أنّ هذا الباحث هو الدكتور عرفان من أكثر الناس إنصافاً للشيعة فيها كتب عنهم بالقياس إلى غيره فانظر لما كتبه حولهم [٢٧٠] وقد اعتبر كثير من الكتّاب أنّ موقف الإمام الصادق عليه السلام من التشديد على التقيّة فيه ضعف وتخاذل بينما الواقع أنّ الإمام بموقفه هذا حفظ أصحابه من هجمات شرسة فقدت صوابها ولم يعد لها من منطلق غير المخلب والناج وفى مثل هذا الحالات لا بد من الحكمة، وسأذكر لك صوراً مصغرة عما كان عليه الحال: يقول الخطيب البغدادي بسنده عن أبى معاوية قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لى: لقد هممت أنّ من يثبت الخلافة لعلى أن أفعل به وأفعل قال أبو معاوية: فسكت، فقال لى: تكلم، قلت: إن أذنت لى؟ قال: تكلم، قلت: يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله، وقال عدى منا خليفة رسول الله، وقالت

بنو أمية: منا خليفة الخلفاء، فأين حظكم يا بني هاشم، والله ما حظكم إلا ابن أبي طالب فسكت [٢٧١] لقد أحسن الرجل الدخول وعرف من أين يأتيه، وهنا نقول إذا كان من يذكر حق علي بالخلافة يصنع به ما يصنع فما رأى هؤلاء المتفهبين في أيام الرخاء الذين لم تفتح وجوههم النار ولم يعضهم الحديد. [صفحة ١٩٣] على أن هناك شيئاً آخر وهو أن أئمة المسلمين الآخرين اضطروا إلى استعمال التقيّة فيما تعرضوا له من مواقف، ومن ذلك ما ذكره أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبى عند استعراضه لموقف الإمام أحمد بن حنبل أيام المحنة والقول بخلق القرآن قال: لما امتنع أحمد بن حنبل من القول بخلق القرآن وضرب عدة سياط قال إسحق بن إبراهيم للمعتصم ولنى يا أمير المؤمنين مناظرتي فقال: شأنك به، فقال إسحق للإمام أحمد ما تقول في خلق القرآن؟ فقال الإمام أحمد: أنا رجل علمت علماً ولم أعلم فيه بهذا، فقال: هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أم علمته من الرجال، فقال أحمد: بل علمته من الرجال، فقال إسحق علمته شيئاً بعد شيء قال نعم، قال إسحق: فبقى عليك شيء لم تعلمه؟ فقال: نعم، قال: فهذا مما لم تعلم وعلمك أمير المؤمنين، فقال أحمد: فإننى أقول بقول أمير المؤمنين، فقال إسحق في خلق القرآن، قال أحمد في خلق القرآن فاشهد عليه، وخلع عليه وأطلقه إلى منزله [٢٧٢]. ولهذا قال الجاحظ في حواره مع أهل الحديث بعد أن ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل وامتحانه: قد كان صاحبكم هذا - يعنى الإمام - يقول لا تقيّة إلا في دار الشرك فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقيّة فلقد أعملها في دار الإسلام وقد أكذب نفسه، ولو كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فليست منه وليس منكم على أنه لم ير سيفاً مشهوراً ولا ضرب ضرباً كثيراً، ولا ضرب إلا الثلاثين سوطاً مقطوعاً الثمار مشبعة الأطراف حتى أفصح بالإقرار مراراً، ولا كان في مجلس ضيق، ولا كانت حالته مؤيسة، ولا كان مثقلاً بالحديد، ولا خلع قلبه بشدة الوعيد، ولقد كان ينازع بألبن الكلام ويجب بأغلظ الجواب ويزنون ويخف ويحلمون ويطيش [٢٧٣]. على أن سيرة المسلمين بالفعل قائمة على التقيّة فهناك أمور لا يقرها بعض [صفحة ١٩٤] المسلمين وهى قائمة عندهم. خذ مثلاً بقاء قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنّ الوهابيين لا يتركون قبراً قائماً فقد رووا فى الصحاح عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى عليّ ابن أبى طالب عليه السلام ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أدع قبراً قائماً الا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته وعلى هذه الرواية استند الوهابيون أو هى أحد مستنداتهم فى تهديم القبور [٢٧٤] ولكنهم لم يتعرضوا لقبر النبي مع أن لسان الرواية عام لم يستثن قبراً وليس ذلك إلا تقيّة من المسلمين. وقد كان خبر أبى الهياج سبباً للتهريج عند ابن تيمية على الشيعة مع أن الرواية ما ثبتت عندهم من ناحية سندها، لقد شحن ابن تيمية كتابه بقوارص من الشتم يابها خلق الإسلام وأدب القرآن ومن ذلك أنه إذا مرّ بذكر العلامة ابن المطهر الحلى يسميه بابن المنجس [٢٧٥]. فى حين كان العلامة فى خصومته مع العلماء فى غاية التهذيب وبوسع القارئ أن يرجع إلى الكتابين الذين طبعوا معاً وأن يحكم على الأسلوبين ليرى الفرق بينهما. وإلى هنا أرجو أن أكون قد وضعت بين يدي القارئ فكرة عن التقيّة كافيّة لأخذ صورة عن الموضوع ولا يخلو الواقع المعاصر من تقيّة متجسدة عند مختلف الشعوب. [صفحة ١٩٧]

من الاقتراءات على الشيعة

إشارة

استهدفت فيها قدمته من بحوث توضيح هوية التشيع عرقياً وفكرياً، وكنت قد ذكرت سابقاً أن قصة عبدالله بن سبأ تؤلف جزءاً من كل يراد من ورائه مسخ صورة التشيع ولثلا- يقول القارئ إن مسألة ابن سبأ لا- يمكن أن تكون أمراً وهمياً فإننى أقدم له هنا نماذج من المفتربات على الشيعة مقطوعة الكذب حتى يرى بأم عينه صدق دعوانا. إن هذه الأمور التى سيرد ذكرها وغيرها تحتم إعادة النظر فى محتوى تاريخنا وعقائدنا ومحاولة تصحيح هذا المحتوى لأن بقاء هذه الذخيرة الفاسدة فى تاريخنا سيظل يعمل عمل السوس فى أسس البناء حتى ينهار البناء فجأة ولا يكون ضحية هذا الإنهيار إلا المسلمون أنفسهم، أما من كتب بهذه الأمور وسطرها فقد مضى إلى ربه

وسيقف أمام حكم عدل، ولكننا نحن ملزمون في تصحيح أوضاعنا فلا يجوز بحال من الأحوال أن نلقح أنفسنا وأبنائنا ضد مرض الحصبة مثلاً وهو لا يمكن إلا بضعة أيام، ولا نلقح أنفسنا ضد الفرقة والتناحر، وضد الأوبئة الفكرية التي تبقى ويبقى أثرها طويلاً، وقد آن الأوان لأقدم لك نماذج من هذه المفتريات.

في الجمع بين النساء

الجمع بين النساء وعددهن، وجمهور المسلمين على أنه لا يجوز للحر أن يجمع زيادة على أربع زوجات لقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) النساء/٣، وللسنة الشريفة التي حددت الزوجات بأربع كما سيأتي، والشيعه في ذلك كسائر فرق المسلمين لا يبيحون الجمع بين أكثر من أربع زوجات، وعندهم حتى لو طلق الرجل زوجته واحدة من الأربع فلا يجوز له [صفحة ١٩٨] أن يكمل العدد برابعة حتى تنتهي عدة المطلقة، وقد أجمعوا على ذلك وإليك نموذجين من أقوالهم: أولاً - يقول الشهيد الأول في اللمعة: لا يجوز للحر أن يجمع زيادة على أربع حرائر أو حرتين وأمتين، أو ثلاث حرائر وأمة، ولا للعبد أن يجمع أكثر من أربع إماء أو حرتين أو حره وأمتين، ولا - يباح له ثلاث إماء وحره [٢٧٦]. ثانياً - يقول المقفداد السيوري في كنز العرفان: الحصر في الأربع وعدم جواز الزائد في النكاح الدائم إجماعاً، وحتى المنقطع عند كثير من فقهاءنا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لغيلان لما أسلم وعنده عشر نسوة أمسك أربعاً وفارق سائرهن أي باقيهن، ولقول الإمام الصادق عليه السلام لا يحل لِماء الرجل أن يجري في أكثر من أربعة أرحام من الحرائر [٢٧٧] وبوسع القارئ أن يرجع لأي كتاب فقهي من كتب الإمامية في باب النكاح ليري أن هذه المسألة إجماعية عندهم، ومع ذلك استمع إلى بعض فقهاء المسلمين من أهل السنة الذين يجب أن يكونوا قدوة في الأمانة والصدق: أ - يقول ابن حزم في المحلى لم يختلف في أنه لا يحل لأحد زواج أكثر من أربع نسوة: أحد من أهل الإسلام وخالف في ذلك قوم من الروافض لا يحل لهم عقد الإسلام [٢٧٨]. ب - قال محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي: وأجاز الروافض تسعاً من الحرائر، ونقل عن النخعي وابن أبي ليلى - أي جواز التسع - وأجاز الخوارج ثمانى عشرة، وحكى عن بعض الناس إباحة أى عدد شاء بلا حصر: وجه الأول: أنه بين العدد المحلل بمثنى وثلاث ورباع بحرف الجمع [صفحة ١٩٩] والحاصل من ذلك تسع، ووجه الثاني ذلك إلا أن مثنى وثلاث ورباع معدول عن عدد مكرر على ما عرف في العربية، فيصير ثمانية عشر، ووجه الثالث العمومات من نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء، ولفظ مثنى وثلاث ورباع تعداد عرفى لا قيد، كما يقال خذ من البحر ما شئت قريبه أو قريبتين أو ثلاثاً، ويخص الأولين تزوجه تسعاً والأصل عدم الخصوصية إلا بدليل، إلى آخر ما أورده، ثم شرع يقدم أدلته على الحصر بأربع [٢٧٩]. وقد اتضح من قول ابن الهمام أمران: أولهما نسبة إباحة التسع للإمامية وهو محض اختلاق وتحدى من يذكر لنا مصدراً واحداً يقول بذلك من الشيعة، وثانيهما أن هناك من أهل السنة من يقول بإباحة التسع والأكثر من التسع كما نص عليه، ابن الهمام نفسه. ج - يقول محمد أبو زهرة في الأحوال الشخصية: إن بعض الشيعة يجوز الزواج بتسع حرائر لأدنى معنى قوله تعالى: (مثنى وثلاث ورباع) يعنى اثنين وثلاثة وأربعة [٢٨٠] وهذا من أبى زهرة كأمثال له كثيرة، إن الرجل فيما أعرفه من مؤلفاته كثير التساهل فيما ينسبه للغير، ولا يحتاط بالنقل وللمناقشة مكان غير هذا لأن موارد تساهله كثيرة تحتاج إلى جهد ومكان. وبعد ما ذكرته سأقدم لك الأدلة على أن هذا الرأي عند أهل السنة وليس عند الشيعة كما مر عليك: ١- يقول الكاساني علاء الدين في البدائع: لا يجوز للحر أن يتزوج أكثر من أربع زوجات من الحرائر والإماء عند عامة العلماء، وقال بعضهم: يباح له الجمع بين التسع، وقال بعضهم: يباح له الجمع بين ثمانية عشر، واحتجوا بظاهر قوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) الخ فالأولون قالوا إنه ذكر هذه الأعداد بحرف الجمع وهو الواو وجملتها تسعة، واستدلوا أيضاً بفعل [صفحة ٢٠٠] رسول الله وأنه تزوج تسع نسوة وهو قدوة الأمة، والآخرون قالوا إن المثنى ضعف الإثنين والثلاث ضعف الثلاثة، والرابع ضعف الأربعة وجملتها ثمانية عشرة، إلى آخر ما ذكره وظاهر قوله إن هذه الآراء عند أهل السنة لأنه لو كان للشيعة رأى هنا لنص عليه كعادته [٢٨١]. ٢- يقول إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى صاحب الموافقات فى

كتابه الإعتصام: ثم أن بعض من نسب إلى الفرق ممن حرف - من الحرفة - التأويل في كتاب الله تعالى أجاز نكاح أكثر من أربع نسوة إما اقتداءً في زعمه بالنبي حيث أحل له أكثر من ذلك ولم يلتفت إلى إجماع المسلمين أن ذلك خاص به، وإما تحريفاً لقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب) الخ فأجاز الجمع بين تسع نسوة في ذلك فأتى ببدعة أجازها في هذه الأمة [٢٨٢] وما ذكره الشاطبي هو عند السنة ولو كان عند الشيعة، لنص عليه أولاً، وثانياً لتغيرت لهجته، فإن لهجة هذا الرجل مع الشيعة أترك نعتها بعد أن تسمعها فاسمع قول: «قال: يحكى عن الشيعة أن النبي أسقط عن أهل بيته ومن دان بحبهم: جميع الأعمال، وأنهم غير مكلفين إلا - بما تطوعوا به، وأن المحظورات مباحة لهم كالخنزير والزنا والخمر وسائر الفواحش، وعندهم نساء يسمين النوبات يتصدقن بفروجهن على المحتاجين رغبة في الأجر، وينكحون ما شاؤوا من الأخوات والبنات والأمهات لا حرج عليهم ولا في تكثير النساء، ومن هؤلاء العبيدية الذين ملكوا مصر وأفريقية ومما يحكى عنهم في ذلك أن يكون للمرأة ثلاثة أزواج وأكثر في بيت واحد يستولدونها وتنسب الولد لكل واحد منهم» إنتهى وقد عقب عليه الناشر بالحاشية بقوله: إنما يريد بعض فرق الشيعة الباطنية المارقين عن الإسلام [٢٨٣] إني أدعو القارئ ليضع يده على أنفه لئلا يشم هذه الجيف، وبعد ذلك أعقب على قوله بما يلي: [صفحة ٢٠١] أولاً: إن العبيدين وغيرهم ليسوا من الشيعة الإمامية وإن كنت أعتقد جازماً عدم صحة ما نسبته إليهم قياساً على ما نسبته لغيرهم وهو غير صحيح. ثانياً: لسنا الذين نبيح نكاح المحارم وحكم من يقع على إحدى محارمه عندنا القتل فراجع أى كتاب من كتب فقه الشيعة باب الحدود، وإنما يقول الإمام أبو حنيفة من عقد على أمه وأخته أو بنته، عالماً عامداً ودخل بها فلا يقام عليه الحد وإنما يعزر لأن العقد أورث شبهة [٢٨٤]. إذاً فلسنا نحن الذين نتساهل في الإعتداء على المحارم كما أننا لا نريد التهريج على أبي حنيفة بل رأيه هنا خطأً في تطبيق معنى الشبهة هنا على هذا العقد. لأن المحارم ليست محلاً للعقد. ثالثاً: أنا أسأل الله تعالى أن يجعل حصيلة هذا القول في ميزان الشاطبي يوم يلقاه وسوف يسأله عن ذلك لأنه تعالى يقول: (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ٧٧ من سورة الزلزال، وأنا إنما أطلت الكلام في هذه المسألة وهي من البديهيات تقريباً حتى أوقفك على مدى أمانه بعض الناس، ولست أدري بماذا يتعلل هؤلاء وحولهم كتب الشيعة تملأ المكتبات فهل ذكروا لنا كتاباً واحداً يفتى بإباحة لحم الخنزير أو شرب الخمر إن الذي يقول بذلك غيرنا إذا أحببت فراجع تفسير قوله تعالى: (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقًا حسنًا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) النحل/٦٧ في تفاسير أهل السنة لترى رأى الإمام أبي حنيفة حول النيذ فرأيه معروف، ودعنى أذكر لك فتوى واحدة من فتاواه توضح لك رأيه في هذا الموضوع يقول أبو زهرة في كتابه فلسفة العقوبة: والسبب في تساهل أبي حنيفة في موضوع بعض المسكرات هو أنه ثبت بالرواية عنده أن بضع الصحابة تناول بعض هذه الأشربة، فامتنع عن تحريمها حتى لا يتهم الصحابة بالمعصية وقال في ذلك: لو غرقوني في الفرات لأقول إنها [صفحة ٢٠٢] حرام ما فعلت، حتى لا أفسق بعض الصحابة ولو غرقوني في الفرات على أن أتناول قطرة منها ما فعلت، فالأمر بالنسبة لأبي حنيفة احتياط لكرامة الصحابة واحتياط لدينه [٢٨٥] ولست أفهم الإحتياط هنا فإن الحرام حرام على الصحابة وغيرهم، إن استنتج أبو زهرة لا يقبل بحال من الأحوال وصدق في تسمية كتابه فلسفة العقوبة فهو فلسفة غير ذات معنى أحياناً. ٣- الرأى الثالث الذى يدل على أن الجمع بين أكثر من أربع عند غير الشيعة ما ذكره ابن قدامة في المغنى معلقاً على قول المتن: وليس للحر أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات أجمع أهل العلم على هذا ولا نعلم أحداً خالفه إلا شيئاً يحكى عن ابن القاسم بن ابراهيم أنه أباح تسعاً لقوله تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم) الخ والواو للجمع، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات عن تسع، وهذا ليس بشيء لأنه خرق وترك للسنة، فإن رسول الله قال لغيلان بن سلمة حين أسلم وتحتة عشرة نسوة: أمسك أربعاً وفارق سائرهن [٢٨٦] ومن ذلك يظهر أن لا قول للشيعة في المسألة فما أدري من أين جاء من ينسب هذا القول للشيعة بهذا القول. لقد أصبح هذا الخلط من الشاطبي وغيره زاداً دسماً للمستشرقين الذين أخذوا يؤكدون على أن الشيعة والصوفية يسقطون الشريعة ويحلون المحارم عند وصول الحقيقة، الخ. [٢٨٧].

وإذا كانت بعض الإفتراءات على الشيعة قيلت ثم ماتت واندرت، وبعضها قيلت ولكنّها لم تشتهر كما هو الحال في النموذج الأول الذي ذكرناه، فإن [صفحة ٢٠٣] هذه الفرية التي سأذكرها تعيش فعلاً وقد سئلت عنها حيثما ذهبت، وبالرغم مما شرحته لمن سألتني في أنها كاذبة، فإنّي أعتقد أنّها لم تمسح من أذهانهم، فإن ما يشب عليه الإنسان ليس من السهل الخلاص منه إنّ هذه المسألة هي: أنّ الشيعة يعتقدون أنّ الوحي أراد الله تعالى لعلّي بن أبي طالب ولكن جبرئيل خان أو خطأ فذهب بالوحي إلى النبي، هذا ملخص الفرية المنسوبة للشيعة ولقد وضعت هذه الفرية على لسان الشعبي عامر بن شراحيل في مقالة سبق أن ذكرت مقطوعاً منها وبينت كذب مضمونها، والآن أذكر لك صدر الكلمة وما يتصل بموضوعنا منها فقد ذكر ابن شاهين عمر بن أحمد في كتابه اللطف في السنة، كما ذكره ابن تيمية في منهاج السنة، قال: حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر بن نصير الطوسي عن عبدالرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال: قال لي الشعبي: اخذركم أهل هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة، لم يدخلوا غي الإسلام رغبة ولا رهبة، إلى أن قال: واليهود تبغض جبرئيل ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون غلط جبرئيل بالوحي على محمد الخ [٢٨٨] إنّ هذه الصورة التي وضعت على لسان الشعبي: أخذها ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل فنسبها لفرقة من الغلاة سماهم الغرابية: لأنهم قالوا إنّ علياً أشبه بمحمد من الغراب بالغراب، ولذلك غلط جبرئيل بالوحي فذهب به لمحمد وهو مبعوث لعلّي ولا لوم عليه لأنّه اشتبه، وبعضهم شتمه وقال بل تعتمد ذلك، هكذا رواه ابن حزم [٢٨٩] في حين ذهب الرازي في كتابه اعتقادات فرق المسلمين إلى أنّهم قالوا غلط ولم يعتمد [٢٩٠] وقد عرفت أنّ منشأ الرواية الشعبي ونظراً لأهمية الموضوع فسأناقش هذه الرواية وأذكر لك سخفها وإن الذين وضعوها لم يتفطنوا إلى ما فيها من ثغرات: أ - أول ما يقال في هذه الرواية أنّ الشعبي عندما كان يقارن بين اليهود [صفحة ٢٠٤] والشيعة يسمى الشيعة بالرافضة، وهذا اللقب الذي نيز به الشيعة وفندناه سابقاً، ذكر مؤرخوا السنة أنّه عرف في آخر أيام زيد بن عليّ عندما طلب منه أفراد جيشه البراءة من الخليفتين فأبى فرفضه قوم منهم سموا بالرافضة هذه هي رواية هذا اللقب وهذه الواقعة كانت سنة مقتل زيد أي ١٢٤ هجرية في حين أنّ الشعبي ولد سنة عشرين أو ثلاثين على رواية أخرى من الهجرة فالفرق بين وجوده والرواية سبعة عشر سنة لأنّه مات سنة مائة وخمس من الهجرة، فأما أن يكون لفظ الرافض ورد قبل هذا وهو مالا تقول به رواياتهم أو أنّ القصة مخترعة وهو الأصح [٢٩١]. ب - إنّ رجال سند هذه الرواية بين متهم مثل عبدالرحمن بن مالك بن مغول فقد قالت عنه كتب التراجم بأنّه ضعيف، وكذاب، ووضع، ويقول عنه الدارقطني متروك، ويقول عنه أبو داود كذاب وضع، ويقول عنه النسائي ليس بثقة [٢٩٢]. وبين مجهول: كمحمد الباهلي ولم أجد لمحمد هذا أي ذكر في لسان الميزان وتاريخ بغداد وغيرهما. ج - سبق أن ذكرنا أنّ الشعبي يرمى بالتشيع وقد نص على تشيعه كل من ابن سعد والشهرستاني ولا- يعقل أن يقول شيعي هذا القول. د - وعلى فرض صحة جميع هذه المقدمات فمن هم هؤلاء الغرابية وكم عددهم وأين مكانهم وهل لهم من وجود خارجي، أغلب الظن أنّهم من المقلع الذي نحت منه عبدالله بن سبأ خلقتهم نفس الأهداف التي خلقتهم. هـ - إنّ الذي يدعى نبوة شخص فلا بد أن يكون هذا النبي منصوباً من رب وهنا يقال هل أنّ هذا الرب الذي أرسل رسوله لنبيه كان يعلم أنّ هذا الرسول مغفل لا- يفرق بين أرسل إليه وغيره أم لا فإذا كان لا يعلم فهو لا [صفحة ٢٠٥] يصلح للالوهية وإذا كان يعلم وأرسله مع علمه فأى رب هذا الذي يرسل من لا ينفذ أوامره أو أنه متواطئ مع جبرئيل فلا اشكال حينئذ. و - وأليس القرآن الكريم يقول عن جبرئيل: (مطاع ثم أمين) التكوير/٢١. ويقول عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم: (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) الأحزاب/٤٠. والشيعة مسلمون يقرؤون القرآن آناء الليل وأطراف النهار فكيف لا يفهمون ذلك، أللهم إلا أن يقال كما قيل: إنّهم يرون القرآن محرّفاً، وقد فندنا هذا القول بما أوردناه من نصوص أنّ الثابت عند المسلمين قول النبي صلى الله عليه وآله وسلّم لا نبي بعدي والمسلمون سمعوا منه ذلك. ز - كل من له إمام بالتاريخ يعلم مدى طاعة الإمام عليّ عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم وجهاده بين يديه فكيف يجتمع ذلك مع علمه بأنّه أخذ منه الرسالة إلا أن يقال إنّّه لا يعلم أنّ الرسالة هي له. ح - إنّ مصدر

التشريع الأول والأساس هو القرآن الكريم عند كل فرق المسلمين ومنهم الشيعة فإذا نزل القرآن على مغفل ويبد خائن فأى ثقة تبقى به بعد ذلك. ط - ألا تكفى آلاف المنائر والمساجد عند الشيعة والتي تصرخ ليل نهار أشهد أن محمداً رسول الله للتدليل على أن هذه القصة فريضة مفتعلة كأخواتها. ي - إن كتب عقائد وفقه الشيعة تملأ الدنيا فهل يوجد في كتاب واحد منها ما يشير إلى هذه الفريضة ونرضى بأن يكون حتى من المخرفين ممن نراهم عند فئة أخرى. إننا نطالب بمصدر واحد اعتمد عليه هؤلاء في نقل ما نقلوه. وإذا كان العوام يتلقون أقوال رجال فكرهم بالقبول مهما كانت فما بال المثقفين يعيشون نفس العقليّة وما فائدة العلم إذا لم يقوم تفكير الإنسان، وإلى كم يبقى المسلمون بجترّون ما أدخل إلى أمعائهم يوماً ما، ليت هؤلاء يصارحونا بأن لهم مصالح في بقاء هذه المهازل إذا لأراحوا الأجيال وكانوا صادقين مع أنفسهم كما صنع مروان ابن الحكم في لحظة من لحظات استيقاظ ضميره وقد سئل عن موقف الإمام عليّ عليه السلام [صفحة ٢٠٦] من عثمان بالثورة فقال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ فليل له: ما لكم تسبونني على المنابر؟ فقال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك [٢٩٣] ويبدو أن بعض الناس لا يصدق أن هذه الإفتراءات لا أساس لها لأنّ تصديقه بذلك فيه تبرئة للروافض ومعناه ترك بعض الناس بدون عمل، على أتى لا أشك أن كثيراً من الناس لا مصلحة لهم في أمثال هذه التهم لكن ليس من السهل التخلص من محتوى نفسى نشأ معهم خلال أحوال العمر ولكن ذلك لا يبرر الإصرار على الخطأ. ك - إن الله تعالى يقول (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) وعليّ عند البعثة طفل ابن سبع سنين فالآية تنص على ان النبوة لا تكون الا لرجل. وفي ختام هذا الفصل يحسن بنا الإشارة إلى ما كتبه جهابذة الشيعة في كتب العقائد عن النبوة وشخص النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم في كتب العقائد وأنا ألفت النظر إلى عقائد الصدوق وأوائل المقالات للمفيد، والشريف المرتضى في تنزيه الأنبياء وغيرهم وأكتفى بفقرتين: الأولى: يقول السيد محسن الأمين العاملي: إن من شك في نبوة النبي وجعل له شريكاً في النبوة فهو خارج عن دين الإسلام [٢٩٤]. الثانية: يقول الرضا المظفر في عقائد الإمامية. نعتقد أن صاحب الرسالة الإسلامية هو محمد بن عبد الله وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، وأفضلهم على الإطلاق كما أنه سيد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل ولا يدانيه أحد في مكرمه، وأنه لعلي خلق عظيم [٢٩٥]. [صفحة ٢٠٧]

رمى التشيع بالشعوبية

والشعوبية لغة: جمع شغوبى نسبة للشعب، وقد تطلق ويراد بها النزعة العدائية للعرب، وهي بالإطلاق الثاني مصدر صناعي، والشعوبى فى إطلاق آخر هو الذى يسوّى بين العربى وغيره ولا يفضل العربى وقد اشتق هذا الإسم من الآية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣. وذلك لأنّ المسلمين من غير العرب دعوا إلى التسوية وكانت هذه الآية من شعاراتهم، ومن شعاراتهم الحديث النبوى الشريف لا فضل لعربى على عجمى كلكم لآدم وادم من تراب، ثم توسع العرب فأطلقوا لفظ الشعوبى على من يحقر العرب وتوسعوا بعد ذلك فأطلقوه على الزنديق والملحد، معتبرين الزندقة والإلحاد مظهراً ينم على كره العرب لأنه كره لدينهم، ثم أطلق بعد ذلك على الموالى. أسباب نشوء الشعوبية: تنقسم الأسباب إلى قسمين: القسم الأول: فعل والثانى رد فعل، وهذا الأخير أعنى ردة الفعل: ملخصه أن العرب كانوا فى الجاهلية ممزقين لا تجمعهم جامعة، وكانت الدولة لغيرهم، فجاء الإسلام ووحدهم وأوطأهم عروش كسرى وقيصر فنظر العرب فجاءة فإذا بهم أمة عظيمة بيدها أكثر من سلاح تخافها الأمم وينظر إليها الناس بإجلال باعتبارها المباشرة بالإسلام والحاملة لتعاليمه، فنفخ ذلك فيهم روح الغرور وأخذوا يعاملون الشعوب التى افتتحوها معاملة فيها كثير من الغطرسة والصلف ولم يسووهم بهم، ومنعوا الموالى من الزواج بالعربية وسموا من يولد من زواج كهذا [صفحة ٢٠٨] هجيناً، وكانوا إذا عربى بحى من أحيائهم فمن العار أن يباع عليه الطعام بيعاً بل يقدم له بعكس الموالى: يقول جرير الشاعر: وقد نزل بنى العنبر فلم يضيفوه وباعوه القرى بيعاً: يمالكك بن طريف إن بيعكم ++ رقد القرى مفسد للدين والحسب قالوا نبيعكم بيعاً فقلت لهم ++ بيعوا الموالى واستحيوا من العرب [٢٩٦]. وذكر ابن عبد ربه الأندلسى فى العقد الفريد

أن العرب كانوا يقولون: لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار، أو كلب، أو مولى، وكانوا لا يكون المولى ولا يمشون معه في الصف ولا يواكلونه بل يقف على رؤوسهم فإذا أشركوه بالطعام خصصوا له مكاناً ليعرف أنه مولى وكانت الأمة لا تخطب من أبيها وأخيها وإنما من مولاها وكانوا في الحرب يركبون الخيل ويتركون الموالى مشاة [٢٩٧]. ومن الحق أن يشار إلى أن فعل العرب هذا بالموالى هو ردة فعل لما كان يعامل به العرب من قبل الروم والفرس، وكان ما أشرنا إليه من معاملته للموالى هو على مستوى سائر الناس، أما ما كان على مستوى الحكام فكان لا يلتقى بحال من الأحوال مع الإنسانية وخصوصاً ولاء الأمويين كالحجاج الذى لم يرفع الجزية عن أسلم من أهل الذمة، والذى وسم أيدي الموالى وردهم إلى القرى لما هاجروا للمدن [٢٩٨] كل ذلك دفع هؤلاء الموالى إلى تبنى شعار الإسلام والدعوة للمساواة فسموا أهل التسوية، ثم مرت ظروف أدت إلى رفع شأن الموالى خصوصاً أيام عمر بن عبدالعزيز وما بعده فتحفزوا لإثبات وجودهم وتطور الأمر بعد ذلك أن بدأت ردود الفعل تشتد فتصل إلى احتقار العرب وشتيمهم. أما القسم الثانى: الذى هو فعل فهو امتداد للعصور السالفة عندما كان العرب أيام الأكاصرة [صفحة ٢٠٩] والقيصرة ليس لهم شأن يذكر، وقد اختلفت هذه النظرة للعرب لفترة طويلة بعد حكم الإسلام هذه الشعوب، ولكن عادت إلى الظهور بفضل عوامل كثيرة لا سبيل للإفاضة بها هنا، وساعد على هذا أن الموالى من أمم ذات خلفية حضارية فكان أن نبغ مجموعة من الشعوبيين فى مختلف الشؤون الإدارية والعلمية فلعبوا دوراً كبيراً فى أبعاد المجتمع المختلفة، يضاف لذلك أن الدولة العباسية اعتمدت على كثير منهم لأمرين: الأول: لحاجتها لتنظيم شؤون الدولة والإستفادة من خبرات هذه الأمم فى التطبيق وما لهم من قدم وعراقة فى ذلك وتشبهاً بهم فى البذخ والترف. والثانى: للإستعانة بهم فى كسر شوكة العرب لأنهم خافوا من العرب وخصوصاً عندما شاهدوا ميل العرب للعلويين، وقد لعب الفرس والترك دوراً شرساً فى كسر شوكة العرب وتحقيق مآرب العباسيين فى ذلك ولكنهم بعد ذلك قضوا على الخلافة العباسية وحتى على مظهرها العربى، وأحالوا بغداد إلى مؤسسها انمحت فيها آثار العروبة فى تفصيل ليس محله هنا. مظاهر الشعوبية: المجالات التى ظهرت فيها الشعوبية أهمها الأدب بقسميه الشعر والنثر، ابتداءً من أيام الامويين حتى العصر العباسى، وظهرت فى تاريخ مرويات تحط من شأن العرب وترفع من غيرهم، ومظاهر أخرى تجسدت فى إحياء طقوس وعادات وعقائد كانت عند بعض تملك الأمم التى دخلت الإسلام، وحتى السلوك الاجتماعى عند الحكام والمواطنين فى الأكل واللباس وانماط السلوك الاجتماعى الأخرى ظهرت عليها سمات غير عربية وكان طبيعياً أن يكون هناك اقتباس لو اقتصر على ذلك ولكنه اقتباس يرافقه تحدى وفخر بهذا المظهر وحط من مظاهر العرب وانتقاص من انماط معيشتها وحياتها. [صفحة ٢١٠] علامة الشعوبية بالتشيع: وبعد هذه الجمل الموجزة عن الشعوبية نتساءل ما هى علاقة الشعوبية بالتشيع؟ وما هو منشأ رعى التشيع بالشعوبية الأمر الذى دفع مثل الدكتور أحمد أمين أن يقول: وأما التشيع فقد كان عش الشعوبية الذى يأوون إليه وستارهم الذى يتسترون به [٢٩٩]. ان رعى التشيع بالشعوبية أمر يدعو للاستغراب فليس هناك أى علاقة بين الشعوبية والتشيع، وسنحاول استقصاء الامور التى تكون علامة أو منشأ للشعوبية لنرى أين مكان الشيعة من هذه الامور، وبالتالي ما هى قيمة هذه التهمة: ١- الأصل غير العربى: لم يكن الشيعة الرواد والذين يلونهم: من الموالى أو من أى عنصر غير العنصر العربى كما أسلفنا ذلك وذكرناه مفصلاً فيما سبق من هذا الكتاب فلا حاجة لاعادته. ٢- مواقف الشيعة إزاء العروبة: لقد وقف مؤلفوا ومفكروا الشيعة إزاء العروبة والعرب موقفاً جليلاً- فى تكريم العرب وتكريم الفكر العربى والإشادة بإسهامه فى خدمة الشريعة مبرهنين على أن الله تعالى كرم العرب بحملهم للرسالة وجعل لغة القرآن الكريم لغتهم، واعتبر أرضهم مهداً لا نطلاق الدعوة والدود عن حياضها وقد شرحنا موقفهم من اللغة وعروبة الخليفة وغير ذلك مفصلاً. ٣- موقفهم من حضارة العرب: لم يكن للشيعة موقف سلبى إزاء حضارة العرب بل العكس فالشيعة هم الرواد الأوائل فى خدمة الحضارة العربية فى مختلف أبعادها وإليك شريحة من [صفحة ٢١١] أعلامهم الذين خدموا فى ميادين الثقافة فمن الرواد فى علم السير والتواريخ عبدالله بن أبى رافع صاحب كتاب تسمية من شهد من الصحابة مع على عليه السلام، ومحمد بن اسحق صاحب السيرة النبوية، وجابر بن يزيد الجعفى ومن الرواد فى علم النحو: أبو الأسود الدؤلى، والخليل بن أحمد إمام البصريين، ومحمد بن الحسين الرواسى إمام الكوفيين وأستاذ الكسائى والفراء،

وعطاء بن أبي الأسود الدؤلي، ويحيى المبرد بن يعمر العدواني، ويحيى بن زياد الفراء، وبكر بن محمد أبو عثمان المازني، ومحمد بن يزيد أبو العباس المبرد، وثعلبة بن ميمون أبو إسحق النحوي، ومحمد بن يحيى أبو بكر الصولي، وأبو علي الفارسي الحسن بن علي، والأخفش الأول أحمد بن عمران، ومحمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الذي يقول عنه الثعالبي في يتيمة الدهر: نابغة الدهر وبحر الأدب وعيلم النظم والنثر وعالم الظرف والفضل، كان يجمع بين الفصاحة والبلاغة ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر، والتنوخي علي بن محمد، والمرزباني محمد بن عمران صاحب التصانيف الرائعة في علوم العربية، وملك النحاة الحسن بن هاني، ومعاذ الهراء واضع علم التصريف، وعثمان بن جني أبو الفتح وأبان بن عثمان الأحمر، ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق، وأبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة، ومحمد بن عمران المرزباني صاحب المفصل في علم البيان وصفى الدين الحلبي صاحب الكافية في البديع والخالغ النحوي الحسين بن محمد صاحب كتاب صنعة الشعر، والخ [٣٠٠]. تعقيب هذه مجموعة بسيطة أردت منها أن تكون مجرد مؤشر إلى سبق الشيعة في خدمة الفكر العربي والإشادة به، وليرجع القارئ إلى المصادر لأجل المزيد من ذلك. [صفحة ٢١٢] ٤- شعراء الشيعة: مواقف شعراء الشيعة في الذود عن العرب والعروبة مشهورة ودفاعهم عن كل ماله صلة بوجود العرب ومجدهم، والوقوف بوجه خصوم العرب يشكل سفيراً كبيراً لو جمع وسأورد لك نماذج: من مواقفهم في ذلك منهم: أ- أبو الأسد نباتة بن عبدالله الحماني: لقد سكت عن تعيين مذهبه كل من أبي الفرج في الأغاني، والعباسي في معاهد التنصيص، وابن قتيبة في الشعر والشعراء، ولكنه شيعي لعدة قرائن منها: أولاً ارتباطه بأهل البيت بشعره، وولادته في محلة حمانا بالكوفة مهد التشيع، وانقطاعه لأبي دلف القائد الشيعي، وإليك قصيدته في هجاء الشعوبية ضمن هجائه لعلي بن يحيى المنجم، وسنرى إمامه القوي بالمصطلحات المحلية: صنع من الله أنى كنت أعرفكم++ قبل اليسار وأنتم في التباين [٣٠١]. فما مضت سنة حتى رأيتكم++ تمشون في القز والقوهي وفي اللين وفي المشاريق ما زالت نساؤكم++ يصحن تحت الدوالي بالوراشين فصرن يرفلن في وشى العراق وفي طرائف الخز من دكن وطاروني نسين قطع الحلاني من معادنهم++ وحملهن كشوشاً في الشقاين حتى إذا أيسروا قالوا وقد كذبوا++ ونحن الشهاريج أولاد الدهاقين لو سيل أوضعهم قدراً أو اندلهم++ لقال من فخره أنى ابن شوبين وقال أقطعني كسرى وورثني++ فمن يفاخرني أم من يناويني فقل لهم وهُم أهل لتربية++ شر الخليفة يا بحر العثانين ما الناس إلا نزار في أرومتها++ وهاشم سرحة الشم العرائن والحي من سلفي قحطان انهم++ يزرون بالنبط اللكن الملاعين أما تراهم وقد حطوا براذعهم++ عن أتهم واستبدوا بالبراذين وأخرجوا عن مشاربات البقول إلى++ دور الملوك وأبواب السلاطين [صفحة ٢١٣] تغلى على العرب من غيظ مراجلهم++ عداوة لرسول الله والدين يقول فون كريم في كتابه الحضارة الإسلامية ان هذه القصيدة تمثل مشاعر الحزب العربي تمثيلاً صادقاً [٣٠٢]. ب- الشريف الرضى محمد بن الحسين: ملأ- ديوانه بالإشادة بالعرب والعروبة ومن ذلك قوله في إحدى روايته: أثرها على ما بها من لغب++ يقلقل أغراضها والحقب وأنا نرى لجوار الديار++ حقوقاً فكيف جوار النسب فان ترع شركة أحسابنا++ جميعاً فذلك دين العرب إذا لبست بقواها قوى++ وان طب مسن منها طناب [٣٠٣]. ويقول في رائعة ثانية: نا الدوحة العليا التي نزعت لها++ إلى المجد أغضان الجدود الأطائب علونا إلى اثباجها ولغيرها++ عن المنكب العالي إذا رام ناكب فان تر فينا صولة عجرفية++ فقد عرقت فينا الجدود الأعارب [٣٠٤]. والجدير بالذكر أن ديوان الشريف الرضى وديوان أخيه المرتضى وسائر مؤلفاتهما تعتبر من خمائل الفكر العربي المترفة ومن رياضه الأنيقة. ج- أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين: والتمنى عروبة متجسدة بالدم والفكر وقد عاش عمره يتطلع إلى تحقيق الوجود العربي على مختلف المستويات ويرسم نهايات كل فضيلة على انها بداية من حالة عربية وكم له في ثنايا شعره من اشادة بالعرب والعروبة وفخر واعتزاز بهذا الدم وهذه الأرومة، يقول، في مدح سيف الدولة: [صفحة ٢١٤] رفعت بك العرب العماد وصيرت++ قمم الملوك مواقد النيران أنساب فخرهم إليك وإنما++ أنساب أصلهم إلى عدنان ويقول: تهاب سيوف الهند وهي حدائد++ فكيف إذا كانت نزارية عربا ونراه يتطلع إلى سيادة العرب وحكم العرب فلا خير في قوم يحكمهم أجنبي فيقول: وإنما الناي بالملوك وما++ تفلح عرب ملوكها عجم لا أدب عندهم ولا حسب++ ولا عهود لهم ولا ذمم بكل أرض وطنتها أمم++

ترعى بعبد كأنها غنم [٣٠٥]. د - الحارث الحمداني أبو فراس: من ألسنة العريية الفصاح وممن أشاد بمجدهم وقد تألم لمنابهم إذ يفترعها غيرهم: يقول في قصيدته الشافية: أبلغ لديك بنى العباس مألكة++ يدعوا ملكها ملاكها العجم أى المفاخر أضحت فى منابر كم++ وغير كم أمر فيهن محتكم [٣٠٦]. هذه مجرد نماذج بسيطة من مواقف شعراء الشيعة ازاء العرب والعروبة وبوسع القارئ مراجعة دواوين شعراء الشيعة فى مختلف العصور ليرى مدى عروبة الشيعة. هـ - الشعوبيون البارزون ليسوا بشيعة: أن أبرز من عرف بالشعوبية فى مختلف الأبعاد الفكرية والإجتماعية هم من غير الشيعة وسأذكر لك جملاً قصيرة من تراجمهم تنهض بالمطلوب. [صفحة ٢١٥] أ - معمر بن المثنى أبو عبيدة: من أبرز المؤلفين وممن عرف بأنه من أئمة الشعوبية وهو من موالى بنى تيم بالبصرة وكان يهودى الأصل اسلم جده على يد بعض أولاد أبى بكر وهو الذى جدد كتاب مثالب العرب وزاد فيه: كان خارجياً يرى رأى الأباضية [٣٠٧]. ب - الهيثم بن عدى بن زيد: كانت امه أمة وأبوه عربياً وكان من أبرز الشعوبيين وكان كذلك خارجياً فى عقيدته وقد وضح ذلك فى كل كتبه منها كتاب المثالب الكبير، وكتاب المثالب الصغير [٣٠٨]. ج - علان الشعوبى: وهو علان بن الحسن الوراق كان من أبرز الشعوبيين وكان كما يقول الألوسى زنديقاً ثنويّاً عمل كتاباً لطاهر بن الحسين بدأ فيه بمثالب بنى هاشم، ثم بطون قريش، ثم سائر العرب [٣٠٩]. د - عبدالله بن مسلم بن قتيبة: كان من أئمة أهل السنة ومبرزينهم كان من الشعوبيين كما نص على ذلك ابن عبد ربه الأندلسى فى العقد الفريد، ولكن الدكتور محمد نبيه حجاب حاول تنزيهه عن الشعوبية لأنه كما يقول ورد له مدح للعرب، فى حين ورد لابن المقفع أكثر من نص فى مدح العرب ومع ذلك كان الدكتور محمد نبيه إذا مر بالنصوص التى لابن المقفع فى مدح العرب يقول إنه عمل ذلك للتستر، والسبب فى موقف محمد نبيه هذا: ان عبدالله بن مسلم من أهل السنة فى حين لم يكن ابن المقفع [صفحة ٢١٦] شيعياً ولكن لأنه يميل للعلويين كما يقول محمد نبيه، وإذا عرف السبب بطل العجب [٣١٠]. هـ - عبدالله بن المقفع: عدّه الباحثون من الشعوبيين ولكن الأستاذ محمد كرد على فى كتابه أمراء البيان تصدى للدفاع عنه واعتبره ممن أسلم وحسن إسلامه فى حين يذهب جماعة من قدامى المؤرخين كابى الفرج الأصبهاني والمسعودى والجهشيارى إلى أنه زنديق، أما الدكتور محمد نبيه حجاب فيرى أنه مجوسى الدين ثنوى العقيدة وانه لم يتخلّ عن الطقوس المجوسية، ومع آراء المؤرخين القدامى فيه ومع رأى محمد نبيه نفسه فى أنه مجوسى مع كل ذلك يقول نبيه حجاب إنه علوى السياسة وذلك استناداً إلى رأى رآه حنا فاخورى فى كتابه تاريخ الأدب، وما أدرى اين هى علويته مع ما ذكره عنه [٣١١]. و - سهل بن هارون بن رهبون الفارسى: كان من صنائع البرامكة ورئيس بيت الحكمة للمأمون ترجم له أكثر من واحد ومنهم ياقوت الحموى فى معجم الأدباء وابن النديم فى الفهرست وفريد وجدى فى دائرة معارفه. وغيرهم، وعلى هؤلاء اعتمد محمد نبيه حجاب فى ترجمته ولم ينص احد من هؤلاء الذين ذكرنا انهم ترجموا له: على أنه من الشيعة، ولكن نبيه حجاب يقول: كان سهل علوى المذهب ميالاً إلى الاعتزال كغيره من شيعة العراق فى عصره وكان فارسى النزعة، فى حين يذهب محمد كرد على فى كتابه أمراء البيان للدفاع عنه ويبرئه من الشعوبية [٣١٢]. ز - بشار بن برد: كان زنديقاً يكفر الناس كلها بما فيهم الهاشميين ويكفر الأمة كلها لأنها [صفحة ٢١٧] حادت عن الجادة فى نظره فقيل له وعلى ابن أبى طالب فقال متمثلاً: وما شر الثلاثة أم عمرو++ بصاحبك الذى لا تصحينا وله مدح لابراهيم بن عبدالله بن الحسن لما خرج على المنصور وذلك بأبياته التى يقول فيها: أقول لبسام عليه جلاله++ غدا اريحيا عاشقا للمكارم من الفاطميين الدعاء إلى الهدى++ جهاراً ومن يهديك مثل ابن فاطم سراجاً لعين المستضىء وتارة++ يكون ظلاماً للعدو المزاحم فاستدل نبيه حجاب من هذه الآيات على أنه من الشيعة، مع أنه مدح العباسيين بقصائد أكثر وأبيات أكثر حرارة وذلك كقوله: انصفتونا فعاوبوا حكمكم حسداً++ والله يعصمكم من غل حساد لولا الخليفة أنا لا نخالفه++ لقد دلفنا لأرواد بأرواد ومدح غيرهم وغيرهم وذلك واضح فى ديوانه ولكنه لم ينسب لمن مدحهم ولكن بمدحه لابراهيم صار شيعياً والغرض من ذلك أن يكون شيعياً وهو فى نفس الوقت شعوبى حتى تنسب بعد ذلك الشعوبية للشيعة: فاستمع إلى ما يقول محمد نبيه حجاب: يقول فى آخر ترجمته: هذا هو بشار الزنديق المارق الماجن المستهتر الزرادشتى العقيدة الشيعى المذهب الشعوبى المتعصب [٣١٣]. وتذكرنى هذه العبقريات المتوثبة من نبيه حجاب بحكاية مثلها أذكرها

لك وقد رواها عبدالحى الكتابى فى كتابه التراتيب الإدارية: قال: كان عند أولاد تيم الدرأى كتاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى قطعة أديم: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أنطى محمد رسول الله تميماً للدارى أقطعه قريتين جبرون، وبيت عينون ببلد الخليل، فبقى ذلك فى يده ويشاهد الناس كتابه إلى [صفحة ٢١٨] أن غلب الإفرنج على القدس والخليل سنة ٤٩٢ هـ. وقال ولقد اعترض بعض الولاة على آل تميم أيام كنت بالشام - الحديث لأبى بكر القاضى - وأراد انتزاعها منهم فحضر القاضى حامد الهروى وكان حنيفياً فى الظاهر، معتزلياً فى الباطن ملحداً شيعياً، فاحتج أولاد تميم بالكتاب فقال القاضى هذا الكتاب ليس بلازم إلى آخر القصة [٣١٤] رأيت كيف يتفق منطق المهرجين فى كل عصر: قاضى من الأحناف يريد أن يدفعه عن الأحناف فيجعله تارة معتزلياً وفى نفس الوقت حنيفياً وملحداً وشيعياً وهكذا انه نفس منطق نبيه حجاب. ان أمثال هذا الأقوال يجب أن ترمى فى الكتاسه لنخلص أجيالنا من هذه الجيف. ح - يزيد بن ضبة مولى ثقيف: كان مع الأمويين ويرمى بالمانوية والشعوبية وانقطع للوليد بن يزيد وعده أكثر من مؤلف من الشعوبيين [٣١٥]. ط - حماد بن سابور: ابن المبارك المعروف بحماد الراوية ديلمى الأصل بكرى الولاء وهو من أكابر الشعوبية [٣١٦]. ي - إسماعيل بن يسار: كان منقطعاً لآل الزبير ثم مال لبني مروان وعده بعضهم انتهازياً وكان يعد من أبرز الشعوبيين وأشدهم تعصباً على العرب [٣١٧]. ك - إسحاق بن حسان الحریمی: لم يرد نص على أنه من النحلة الفلانية أو غيرها وكان من كبار الشعوبيين [صفحة ٢١٩] ولكن الخطيب البغدادي يقول عنه كان يتأله ويتدين فهو عنده مؤمن [٣١٨]. ل - إبراهيم بن حمشاذ المتوكلى: وقد كان من ندماء المتوكل الخليفة العباسى (مضى السنة) وكان ينادمه على الشراب حتى نسبه إليه، ولم يذكر له عقيدة خاصة ولكن انتمائه إلى المتوكل قد يقوم قرينه على الإتحاد فى الميول وكان من كبار الشعوبية [٣١٩]. م - الحسن بن هانى أبو نواس: مولى الجراح بن الحكم اعتبره بعضهم مجرد متهتك، واعتبره البعض الآخر زنديقاً، واعتبره آخرون مانوياً ورموه بالشعوبية، واعتبره نبيه حجاب كافراً ملحداً لا دين له [٣٢٠]. ن - ابن الرومى على بن العباس بم جريح: يقول عنه نبيه حجاب: ولم يشر أحد من رواة الأدب ومؤرخيه إلى ما كان عنده من عصبية لقومه، ولكن أشعاره لا تخلو من هذه النزعة وان بدت فى أبيات قليلة ومن هذه الأبيات قوله: ونحن بنو اليونان قوم لنا حجبى ++ ومجد وعيدان صلاب المعاجم ومنها قوله: وإذا ما حكيت الروم أهلى ++ فى كلام معرب كنت أهلاً أما البيت الوحيد الذى قطع فيه نبيه حجاب على شعوبية ابن الرومى فهو البيت الآتى: آباءى الروم توفيل وتوفلس ++ ولم يلدنى ربعى ولا شبت [صفحة ٢٢٠] مع أن ابن الرومى لم يقصد بربرى وشبت الكلى الطبيعى وإنما أراد به شبتاً وربيعاً أباه الذى ثبت انه أحد قتلة الحسين عليه السلام، وكأن ابن الرومى يريد أن يقول مع أنى ابن توفيل ولكنى محب لآل رسول الله، ومع أن شبتاً وربيعاً من العرب وممن رفعتهم رسالة النبى ولكنهم أعداء لآله وعلى العموم فابن الرومى شيعى مشهور وهذا هو السر فى أن نبيه حجاب يعتبره من الشعوبيين وإلا فقد سمعت شهادة نبيه حجاب نفسه على أنه لم ينص أحد المؤرخين وكتاب الأدب على عصبية لقومه [٣٢١]. س - عبدالسلام بن رغبان: اعتبره من الشعوبيين ويقول نبيه حجاب لم نجد به بيتاً واحداً يشير إلى شعوبيته ومع ذلك فقد نص ابن خلكان على عصبية لقومه بقوله: مالههم - يعنى العرب - فضل علينا أسلمنا وأسلموا، وبالوقت الذى يقول فيه نبيه حجاب ما سمعته لكنه فى الأخير: يقول وإذا علمنا أنه كان متشيعاً وانه كان ماجناً خليعاً عاكفاً على اللهو والقصف كما يقول ابن خلكان، وهذان من مظاهر الشعوبية فقد حق لنا بعد هذا أن ننظمه فى سمط الشعوبية كما فعل الأستاذ السباعى بيومى مع الخريمى وبشار وغيرهما: [٣٢٢]. وأنا أريد أسأل القارئ هل لاحظ هذه الأدلة القوية على الشعوبية التى يوزعها هؤلاء العباقرة يميناً وشمالاً بأدلة كهذه الأدلة. اللهم إنك تعلم اننا نأسى على الجيل الذى يربيه أمثال هؤلاء فان بليء العلم والأدب والفكر بهؤلاء عظيمه، واروع من ذلك ما سأقدمه لك فى المثل الأخير وهو منطق فى الإستدلال على شعوبية دعبل بن على فاستمع إليه. ع - دعبل بن على الخزاعى: وهو خزاعى صلبى وليس من الموالى كما حاول البعض أن يصوره وكتب [صفحة ٢٢١] الأنساب قد أكدت ذلك. وكان من مشاهير الشيعة وأدبائهم وحممة المبادئ فيهم وهو صاحب القصائد الرائعة فى مدح أهل البيت وراثتهم والتفجع لهم. وقد صورته كتب الأدب بأنه هجاء خبيث اللسان لم يسلم أحد من لسانه، وقد استدلل نبيه حجاب على أنه من الشعوبية لأنه هجا المأمون وفى ذلك يقول نبيه: وفى هجائه المأمون وتطاوله عليه تتجلى عصبية

وشعوبيته حيث فخر بقومه وبلائهم في الحروب واياديهم عليه في ارتقاء عرش الخلافة استمع إليه يقول: أيسومنى المأمون خطه عاجز++ أو ما رأى بالأمس رأس محمد انى من القوم الذين سيوفهم++ قتلت أحاك وشرفتك بمقعد رفعوا محلحك بعد طول خموله++ واستنقذوك من الحضيض الأوهده ويقول في آخر ترجمته: هذا هو دعبل الخزاعي وهذا هو لسانه السليط الذى جرده على العرب وخلفائهم [٣٢٣]. وهذه هي الأدلة المثبتة التى تساق لنسبة الشعوبية إلى الشيعة فاعطفها على ما سبقها من التهم. وبعد هذه الجولة نعود ثانية لسائل الدكتور أحمد أمين ما هو دليله لنسبة الشعوبية للشيعة فانه عندما نطق بالعبارة التى أثبتناها فى صدر هذا العنوان وعد بأنه سيبحث موضوع الشعوبية عند ذكره للمذاهب فى فصل الشيعة لكنه لم ينفذ وعده لأنه لم يجد ولن يجد أى دليل على قوله، وقد ذكرنا لك فى هذا الفصل أسماء أبرز الشعوبيين كما ينص عليهم المؤرخون والكتاب وعرفت أين هم من الشيعة. وأختم هذا الفصل بصورة أضعها امامك فهى قوية فى تعبيرها: يقول شكرى الألوسى فى كتابه بلوغ الإرب فى معرفة احوال العرب ما يلى: قال ابو عبيد البكرى فى شرح امالى القالى: كتاب مثالب العرب اصله [صفحة ٢٢٢] لزياد بن ابىه فانه لما ادعى ابا سفيان أبا علم ان العرب لا تقّر له بذلك مع علمهم بنسبه فعمل كتاب المثالب والصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وافك وبهت ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدى وكان دعياً فأراد أن يعير أهل الشرف تشفياً منهم ثم جدد ذلك ابو عبيده محمد بن المثنى وزاد فيه لأن اصله كان يهودياً اسلم جده على يد بعض آل أبى بكر فانتفى الى ولاء تيم، انتهى النص كما ذكره الألوسى فى فصل الشعوبية من كتابه المذكور. ان زياداً يعتبر مؤرخوا السنة وكتابهم من اسره تمثل نموذجاً للحكم العربى وتطلعاته القومية وكان موقفه من العرب كما سمعت موقف مشوه لتاريخهم طاعن فى أنسابهم باحث فى مثالبهم رائد من رواد الشعوبية بأقذر صورها. وبعد هذا سأقدم لك موقف شيعى من الشيعة وان كان من اصل غير عربى حتى تتخذ من الموقفين مؤشراً يدل على اتجاه كل من الفريقين ازاء الشعوبية لتعليم اين مكان الشعوبية من الفريقين: يقول بديع الزمان الهمدانى كنت عند الصباح اسماعيل بن عباد يوماً وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم فأنشده قصيدة يفضل فيها قومه على العرب ويذم العرب وهى: غنينا بالطبول عن الطلول++ وعن عيس عذافرة ذمول واذهلنى عقار عن عقار++ ففى استام القضاء مع العدول فلست بتارك ابوان كسرى++ لتوضح أو لحومل فالذحول وضب بالفلا- ساع وذئب++ بها يعوى وليث وسط غيل يسلون السيوف لراس ضب++ حسراًشاً بالغداة وبالأصيل اذا ذبحوا فذلك يوم عيد++ وان نحروا ففى عرس جليل اما لو لم يكن للفرس الا++ نجار الصباح القرم النبيل لكان لهم بذلك خير فخر++ وجيلهم بذلك خير جيل فلما وصل إلى هذا الموضوع من الانشاد قال له الصباح فذاك ثم اشرب ينظر الى الزوايا والى اهل المجلس وكنت جالساً فى زاوية من البهو فلم يرني فقال [صفحة ٢٢٣] اين أبو الفضل. فقلت وقبلت الأرض وقت امرك فقال اجب عن ثلاثتك. قلت وما هى قال: ادبك ونسبك ومذهبك فقلت لا فسحة للقول ولا راحة للطبع الا السرد تسمع، ثم انشدت اقول: اراك على شفا خطر مهول++ بما اودعت لفظك من فضول تريد على مكارمنا دليلاً++ متى احتاج النهار الى دليل السنا الضارين جزى عليك++ وان الجزى اولى بالذليل متى قرع المنابر فارسى++ متى عرف الأغر من الحجول متى عرفت وانت بها زعيم++ اكف الفرس اعراف الخيول فخرت بملء ما ضغتيك هجراً++ على قحطان والبيت الأصيل وتفخر ان ماكولا ولبساً++ وذلك فخر ربات الحجول ففاخرهن فى خد اسيل++ وفرع فى مفارقها رسيل فامجد من ابيك اذا تزيراً++ عراه كالليوث على الخيول قال فلما اتممت انشادى التفت إليه الصباح وقال كيف رأيت. قال لو سمعت به ما صدقت. قال فإذا جائزتك جوازك، ان رأيتك بعد هذا ضربت عنقك، ثم قال لا أدري احداً يفضل العجم الا وفيه عرق من المجوسية ينزع اليه. [٣٢٤] واظنك تلمح معنى نظرة الشيعى الايجابية التى ترى فى العرب موئل امجاد وموضع تشريف لحملهم رسالة الإسلام وهى رسالة الخلود ولا أريد الإطالة لأترك لك ان تتمتع بأصداء هذا الموقف المشرف وتجيل ذهنك فى اجوائه، اما بعد فإننى فى ختام هذا البحث أرجو أن أكون قد وضعت بين يدي القارئ بطاقة واضحة عن هوية التشيع ولم يكن رائدى والله يعلم حب التهجم أو الانتقام وممن ينتقم المسلم أمن أخيه المسلم؟ وذلك تفاهة وأى تفاهة وإنما كان رائدى لذلك رغبة ملحّة فى جلاء الضباب الذى حجب الرؤية الواضحة زماناً طويلاً لشيعة أهل البيت عن أنظار الباحثين مما سبب كثيراً من الخلط والتجديف، والله

تعالى [صفحة ٢٢٤] هو المسؤول أن يجمع كلمة المسلمين ويلم شعثهم والحمد لله أولاً- وآخراً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باورقى

[١] صحاح الجوهري: ٣/١٥٦، وتاج العروس ولسان الميزان مادة شيع.

[٢] شرح اللمعة ٢/٢٢٨.

[٣] موسوعة العتبات المقدسة المدخل ص ٩١.

[٤] الملل والنحل ص ١٠٧.

[٥] فرق الشيعة.

[٦] دائرة المعارف ٥/٤٢٤.

[٧] مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢.

[٨] دائرة معارف فريد وجدى ٥/٤٢٤.

[٩] الصلوة بين التصوف والتشيع ص ٢٣.]

[١٠] فجر الإسلام ص ٢٧٦.

[١١] نظرية الإمامة ص ٣٥.

[١٢] تاريخ ابن خلدون: ٣/٣٦٤.

[١٣] فجر الإسلام ص ٢٦٦.

[١٤] تاريخ الإسلام: ١/٣٧١.

[١٥] تاريخ اليعقوبى: ٢/١٠٤.

[١٦] نظرية الإمامة ص ٣٣.

[١٧] العقيدة والشريعة ص ١٧٤.

[١٨] عوامل أهداف نشأة علم الكلام ١/١٠٥.

[١٩] فرق الشيعة ص ١٦.

[٢٠] الفهرست لابن النديم ص ١٧٥.

[٢١] الصلوة بين التصوف والتشيع ص ٢٣.

[٢٢] مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢.

[٢٣] تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٢٨.

[٢٤] عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ١/١٠٦.

[٢٥] الدر المنثور للسيوطى ٦/٣٧٦.

[٢٦] روضان الجنات للخونسارى ص ٨٨.

[٢٧] نظرية الإمامية ص ٣١.

[٢٨] مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص ٧٢.

[٢٩] عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ١/١٠٥.

- [٣٠] المصدر السابق ص ١٠٦.
- [٣١] حياة محمد لهيكل ط مصر الطبعة المؤرخة ١٣٥٤ ص ١٠٤.
- [٣٢] الفرق والمقالات للتوبختى باب تعريف الشيعة.
- [٣٣] تاريخ الطبرى ٢/٢١٦، وتاريخ ابن الأثير ٢/٢٨.
- [٣٤] تفسير الرازى ٣/٤٣١.
- [٣٥] الصواعق المحرقة الباب الثانى من الفصل التاسع.
- [٣٦] البيان والتعريف ٢/١٣٦.
- [٣٧] أعيان الشيعة ج ٣ باب الغدير.
- [٣٨] الكامل للمبرد هامش رغبة الأمل ٧/١٣٠، وأسد الغابة ١/٣٥ ط أوفست حرف الألف، و١/٦١ طبع دمشق، وفجر الإسلام ص ٢٦٧، والاستيعاب ١/٢٨٠، ومدخل موسوعه العتبات المقدسه الفصل الخاص بالشيعة بقلم عبدالواحد الأنصارى.
- [٣٩] صفين لنصر بن مزاحم ص ١١٥.
- [٤٠] فجر الإسلام ص ٢٦٨.
- [٤١] تاريخ ابن خلدون ٣/٣٦٤.
- [٤٢] الإستيعاب ٢/٤٥٢.
- [٤٣] الكامل للمبرد هامش رغبة الأمل ج ٧.
- [٤٤] وفيات الأعيان ٢/٢٦٩.
- [٤٥] تاج العروس ٥/٣٤.
- [٤٦] صحاح الجوهري ٣/١٠٧٨ تسلسل عام الكتاب.
- [٤٧] ترتيب المدارك ١/٥١.
- [٤٨] تاج العروس ٥/٣٥.
- [٤٩] انظر مورج الذهب للمسعودى ٣/١٢ و ٥٠، وانظر تاريخ الطبرى ٦/٣٤٤.
- [٥٠] تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/٣٤٧.
- [٥١] إحياء العلوم ٢/٢٧٦.
- [٥٢] انظر الغدير للأمينى ١١/١٦١.
- [٥٣] المصدر السابق نفس الصفحات.
- [٥٤] الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٨.
- [٥٥] مستدرک الحاكم ٣/١٤٨.
- [٥٦] نقلت هذا الفصل من كتاب مبادئ الفقه لمحمد سعيد العوفى ص ٥٢ طبع دمشق الثالثة ١٩٧٧.
- [٥٧] نيل الاوطار للشوكانى ط مصر ١٩٥٢ ٢/٢٧.
- [٥٨] الفصول المهمة لشرف الدين ص ١٦٣، والبيان للخوئى ص ١٩٧.
- [٥٩] الأصول العامة للفقه المقارن ص ١٧٩ حتى ص ٣٠٠ وانظر أصول الفقه للمظفر ٣/٣٣٨ فصاعداً وانظر البيان للسيد الخوئى مبحث صيانة القرآن عن التحريف.
- [٦٠] تفسير الطبرى ١/٢٣٤.

- [٦١] تاريخ الطبرى ١/١٤٢. وإذا كان يمكن لكبش أن يعيش هذه المدّة الطويلة كما هو فى الفكر السنّى فلماذا يستكثر علينا اذا قلنا أنّ شخصاً عاش منذ ألف ومائة سنه تقريباً للآن ولا يستكثر على من يفرض أنّ كبشاً عاش آلاف مؤلفه من السنين.
- [٦٢] تاريخ الطبرى ١/١٦٤.
- [٦٣] البخارى ٤/١٦٤.
- [٦٤] البخارى ٤/١٢٢.
- [٦٥] البخارى ٤/١٥٧.
- [٦٦] البخارى ٨/١٨.
- [٦٧] البخارى ٨/٥٠.
- [٦٨] انظر صحيح مسلم ج ٢ باب فضائل على، البخارى ج ٣ باب غزوة خبير.
- [٦٩] الفصول المهمه لشرف الدين ص ١٨.
- [٧٠] الفصل لابن حزم ٣/٢٤٧.
- [٧١] الفصول المهمه لشرف الدين ص ٣٢.
- [٧٢] تاريخ المذاهب الإسلاميه لأبى زهرة ١/٤١.
- [٧٣] نفس المصدر السابق والصفحة.
- [٧٤] فجر الإسلام ص ١١١.
- [٧٥] فجر الإسلام ص ٩٢.
- [٧٦] تاريخ الشعوب الإسلاميه ص ١٢٨.
- [٧٧] مؤرخ العراق ابن الفوطى ١/٣٦ و ٣٧.
- [٧٨] ضحى الإسلام ج ص ٣.
- [٧٩] راجع الإمام الصادق لأسد حيدر ١/٣٤٤.
- [٨٠] مروج الذهب ج ٢.
- [٨١] ضحى الإسلام ١/٢٠.
- [٨٢] الزندقه والشعوبيه لسميره الليثى ص ٨١.
- [٨٣] فجر الإسلام ص ٢٧٦.
- [٨٤] فجر الإسلام ص ١١١.
- [٨٥] تاريخ المذاهب الإسلاميه ١/٤١.
- [٨٦] القاموس الإسلامى ٣/٢٢٢.
- [٨٧] الزندقه والشعوبيه ص ٥٦.
- [٨٨] تاريخ المذاهب الإسلاميه ١/٤٠.
- [٨٩] فجر الإسلام ص ٢٧٦.
- [٩٠] فجر الإسلام نفس الصحيفه ٢٧٦.
- [٩١] مجلة المنار لرشيد رضا مجلد ١١ سنه ١٣٢٦ هـ.
- [٩٢] فجر الإسلام ص ٩١.

- [٩٣] تاريخ الخميس للديار بكرى ٢/٣٢١ و ٣٢٢.
- [٩٤] فجر الإسلام ص ٢٨٤.
- [٩٥] الفصول المهمة لشرف الدين ص ٢٨١، وعقائد الإمامة للمظفر ص ٧١.
- [٩٦] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٩٧.
- [٩٧] انظر صحيح البخارى ٥/١٣٧، انظر طبقات ابن سعد ٤/٦١، وانظر النهاية لابن الأثير ٥/٢٤٦ فى مادة هجر. وفى هذا المعنى يقول أحد الشعراء: أوصى النبى فقال قائلهم ++ قد راح يهجر سيد البشر لكن أبا بكر أصاب ولم ++ يهجر وقد أوصى إلى عمر لأن كلاً منهما كانت وصيته فى مرض الموت.
- [٩٨] أنظر القومية العربية للدكتور حازم زكى نسيبه ص ١٠١، وأنظر نحو الوحدة العربية ليوستف هيكل فصل اللغة، وانظر آراء وأحاديث فى الوطنية والقومية لساطع الحصرى ص ٢٠.
- [٩٩] مجلة عالم الفكر الكويتية مجلد ٦ العدد الخاص باللغة.]
- [١٠٠] انظر أسد الغابة ١/٣٥، وأعيان الشيعة للأمين ١/٦١.
- [١٠١] انظر الفقه على المذاهب الأربعة ١/٣١٤، وفجر الإسلام ص ٢٥٠، وكنز العرفان للمقداد السيورى ١/١١٧.
- [١٠٢] كنز العرفان ٢/٧٢.
- [١٠٣] الأحوال الشخصية لمحمد أبو زهرة ص ٢٧ ط مصر الأولى.
- [١٠٤] الفصل بين الملل والنحل ٤/٨٩.
- [١٠٥] طبقات ابن سعد ٣/٣٤٣.
- [١٠٦] ضحى الإسلام ١/٦٢.
- [١٠٧] الفرق بين الفرق للبغدادي باب الخوارج.
- [١٠٨] الإمام الصادق لأسد حيدر ١/١٥٧.
- [١٠٩] فجر الإسلام ص ٢٧٦.
- [١١٠] الدولة العربية ص ١٢٧.
- [١١١] الشيعة والخوارج ص ٢٤١.
- [١١٢] الحضارة الإسلامية ١/١٠١.
- [١١٣] العقيدة والشريعة ص ٢٠٤.
- [١١٤] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٣٢٦.
- [١١٥] طبقات ابن سعد ج ٦ تراجم من سكن الكوفة من التابعين.
- [١١٦] دائرة المعارف ١٤/٦٦.
- [١١٧] معجم البلدان لياقوت الحموى ٤/٣٩٧.
- [١١٨] أحسن التقاسيم للشارى ص ١٩٩.
- [١١٩] ترتيب المدارك ١/٥٣.
- [١٢٠] تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٤٩٧.
- [١٢١] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٢٦.
- [١٢٢] مناقب أبى حنيفة للموفق بن أحمد ١/١٦.

- [١٢٣] انظر الإمام الصادق لأسد حيدر ٣/٢٢٠.
- [١٢٤] الإمام الصادق لأسد حيدر ٢/٢٠٠.
- [١٢٥] طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/٤.
- [١٢٦] أنظر في تلك وفيات الأعيان ١/٢١، والكنى والألقاب ٣/٢٠٧، ومعجم المؤلفين ١٢/١١٥، ومقدمات الصحاح الستة في تراجم أصحابها.
- [١٢٧] فجر الإسلام ص ١٩١، و٢٠٤، ومعجم المؤلفين ١/٥٩.
- [١٢٨] انظر في تراجم هؤلاء معجم المؤلفين لكحالة ١/٢٠٦، فجر الإسلام ص ٢٤١ والكنى والألقاب للقمي ١/٦ فصاعداً.
- [١٢٩] زعماء الإصلاح لأحمد أمين ص ١٠.
- [١٣٠] معجم البلدان ٣/٣٧٧.
- [١٣١] المناظرات للرازي ص ٢٥ بتوسط الإمام الصادق ٥/٤٨.
- [١٣٢] الملل والنحل هامش الفصل ١/١٩٣، وحتى ٢/٣.
- [١٣٣] صحيح البخارى ٤/١٤٦ باب ما ذكر عن بنى إسرائيل.
- [١٣٤] البيان للخوئي ص ٣٩٠.
- [١٣٥] البيان للخوئي ص ٣٨٥ فصاعداً.
- [١٣٦] الشيعة والرجعة للطبسي ٢/٢٤٨.
- [١٣٧] الملل والنحل فصل الشيعة.
- [١٣٨] شذرات الذهب ٣/٢٩٩، والسيف اليماني للبرلسي رسالة صغيرة مع عدة رسائل، ووفيات الأعيان ١/٣٦٩، ولسان الميزان ٤/١٩٩ فصاعداً.
- [١٣٩] الفصل فى المل والنحل ٤/١٨١.
- [١٤٠] المنحول للغزالي ص ٣٥٤، و٤٨٨.
- [١٤١] العقد الفريد ٢/٤٠٤ فصاعداً.
- [١٤٢] الملل والنحل هامش الفصل ١/١٩٥.
- [١٤٣] الفصل فى الملل والنحل ٤/١٧٩.
- [١٤٤] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٢٥.
- [١٤٥] انظر فجر الإسلام ص ٢٣٤.
- [١٤٦] الجزء الأول من كتاب الغدير للأميني، والإصابة لابن حجر فى ترجمة الإمام على عليه السلام والإستيعاب لابن عبد البر فى ترجمة الإمام على، وأعيان الشيعة ج ٣، وتفسير كل من الرازي، والدرر المنتور للسيوطي عند تفسير الآية المذكورة وتفسير مجمع البيان كذلك.
- [١٤٧] السيرة الحلبية ٣/٣٥٨، وصحيح البخارى باب فضل أبو بكر، والغدير للأميني ٧/١٤١.
- [١٤٨] انظر تاريخ الطبرى ٣٠١ و٣٣٠.
- [١٤٩] تاريخ الطبرى ٤/٥٤.
- [١٥٠] الطبرى ٥/٣٥.
- [١٥١] الطبرى ٦/١٢٦ طبعه ١٩٣٢.

- [١٥٢] اعتقادات فرق المسلمين ص ٦٠.
- [١٥٣] دراسات فى الكافى والصحيح لهاشم معروف طبعه بيروت الأولى.
- [١٥٤] العقد الفريد ٢/٤٠٩.
- [١٥٥] انظر دراسات فى الفرق والعقائد: ص ٣٠.
- [١٥٦] دراسات فى عقائد والفرق الإسلامية ص ١٨.
- [١٥٧] سورة طه آية ١١٤.
- [١٥٨] أوائل المقالات للمفيد ص ٥٣ إلى آخر الفصل.
- [١٥٩] أعيان الشيعة للأمين ١/٩١.
- [١٦٠] عقائد الإمامية للمظفر ص ٤٣ فصاعداً.
- [١٦١] تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/٢٩٥، والغدير للأمينى ٨/٦٨.
- [١٦٢] لسان الميزان ٣/١٢، والغدير للأمينى ٨/١٤٣.
- [١٦٣] انظر الغدير للأمينى ٩/٢١٨.
- [١٦٤] تاريخ المذاهب الإسلامية ١/٣٢.
- [١٦٥] تاريخ المذاهب الإسلامية ١/٤٣.
- [١٦٦] داورة معارف القرن العشرين ٥/١٧ فصاعداً.
- [١٦٧] القاموس الإسلامى ٣/٢٢٢.
- [١٦٨] انظر فجر الإسلام ص ٢٧٦، والتمهيد والبيان ص ٩٦، والأعلام للزركلى ٤/٢٢٠.
- [١٦٩] انظر هامش منهاج السنة لابن تيمية ص ٢٢٠.
- [١٧٠] المقالات والفرق ص ١٥.
- [١٧١] انظر هامش منهاج السنة لابن تيمية ص ١٥.
- [١٧٢] الإمام الصادق لأسد حيدر ٦/٢٣٧.
- [١٧٣] طه حسين الفتنة الكبرى فصل ابن سبأ.
- [١٧٤] انظر آراء المستشرقين المذكورة فى نظرية الإمامة لأحمد محمود ص ٣٧.
- [١٧٥] خطط الشام ٦/٢٥١.
- [١٧٦] نظرية الإمامة ص ٣٧، وعاظ السلاطين ص ٢٧٩ والصلة بين التصوف والتشيع ص ٨٤.
- [١٧٧] مروج الذهب للمسعودى ٣/٣٠.
- [١٧٨] نشأة الفكر الفلسفى ص ٢٨.
- [١٧٩] مجلة الكاتب عدد أذار ١٩٦٥.
- [١٨٠] نظرية الإمامة ص ٣٩.
- [١٨١] انظر تاريخ الطبرى ٢/٢١٦، وتاريخ ابن الأثير ٢/٢٨، وتفسير الدر المنثور للسيوطى ٤٥/٩٧ طبعه أوفست.
- [١٨٢] توفيق التطبيق للكيلانى ص ١٦.
- [١٨٣] نظرية الإمامة ص ١١١ و ١١٢.
- [١٨٤] معالم الفلسفة لمغنية ص ١٩٣.

- [١٨٥] الألفين للعلامة الحلبي ص ٥٤.
- [١٨٦] الأربعين للرازي ص ٤٣٤.
- [١٨٧] نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٨٥.
- [١٨٨] كشف المراد للعلامة الحلبي ص ١٢٤.
- [١٨٩] انظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٥/٢١٩ فصاعداً.
- [١٩٠] المستصفي مبحث أركان الإجماع.
- [١٩١] نظرية الإمامة: ١١٧.
- [١٩٢] نظرية الإمامة ١٢٠.
- [١٩٣] طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٣.
- [١٩٤] الآية ٧ من سورة الحشر.
- [١٩٥] شرح المقاصد بتوسط الغدير للأميني ٩/٣٧٥.
- [١٩٦] الغدير نفس ٩/٣٧٥.
- [١٩٧] الغدير لأميني ٧/١٤٠. المواقف ص ٣٩٩.
- [١٩٨] نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ١/١٢٧٩ حتى ١٤٢.
- [١٩٩] مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ٤٩٢.
- [٢٠٠] ميزان الاعتدال ١/١٦٦.
- [٢٠١] روح المعاني ٢٠/٩.
- [٢٠٢] البحار للمجلسي ١٢/٢٢.
- [٢٠٣] مقتل الحسين للمقرم باب علم الإمام ص ٢٤ فصاعداً.
- [٢٠٤] انظر القرطبي تفسير سورة الحج من تفسيره.
- [٢٠٥] انظر الدر المنثور ٤/٣٦٦.
- [٢٠٦] صحيح البخاري وصحيح مسلم باب فضائل عمر.
- [٢٠٧] الغدير للأميني ٦/١٨٦.
- [٢٠٨] التهذيب لابن حجر ٧/٤٧٧.
- [٢٠٩] البيان والتعريف لابن حمزة الحنفي ٢/١٣٦.
- [٢١٠] مستدرک الحاكم ٣/٧٤٥.
- [٢١١] نظرية الإمامة ص ٦١.
- [٢١٢] المستصفي ١/٢٦٠.
- [٢١٣] أعلام الموقعين ٤/١١٨.
- [٢١٤] تفسير المنار ٢/٨٣.
- [٢١٥] الغدير للأميني ٦/٢٢٣.
- [٢١٦] مجمع البيان ٢/٢٣٠.
- [٢١٧] نظرية الإمامة ص ١٣٥ فصاعداً.

- [٢١٨] عقيدة الشيعة لدونالدسن ص ٢٢٨.
- [٢١٩] بحار الأنوار للمجلسي ٣/٥١.
- [٢٢٠] اللمعة الدمشقية ١/٢٨٨ طبع إيران.
- [٢٢١] الإمام الصادق لأسد حيدر ٤/١٥٠.
- [٢٢٢] شرح عقائد الصدوق للشيخ المفيد باب الغلاة.
- [٢٢٣] دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٦٣.
- [٢٢٤] نظرية الإمامة ص ٤٣٦ هامش.
- [٢٢٥] فجر الإسلام ص ٢٣٧١.
- [٢٢٦] الفرق بين الفرق ص ٥٣.
- [٢٢٧] الفرق بين الفرق ص ٤٤.
- [٢٢٨] تاج العروس ٨/١٩٤.
- [٢٢٩] تطور المجتمع الإسلامي ص ٤٨.
- [٢٣٠] الصلة بين التصوف والتشيع - فصل الغلاة.
- [٢٣١] الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٤.
- [٢٣٢] عمدة التحقيق ص ١٨٤.
- [٢٣٣] مصباح الظلام ٢/٢١٦.
- [٢٣٤] مصباح الظلام ٢/١٦.
- [٢٣٥] الإمام الصادق لأسد حيدر ٥/١١٧.
- [٢٣٦] المصدر السابق ٣/٤٧٠.
- [٢٣٧] نظرية الإمامة ص ٤٢٠.
- [٢٣٨] نفس المصدر السابق ص ٣٩٩.
- [٢٣٩] نظرية الإمامة ص ١٢٧.
- [٢٤٠] شرح اللمعة للشهيد الثاني ٢/٣٨١، وكنز العرفان للمقداد ١/٣٤٢.
- [٢٤١] صفوة البيان لمخلوق ١/٣٩٧، ومجمع البيان للطبرسي ٣/٢٧١.
- [٢٤٢] نظرية الإمامة ص ٣٩٩.
- [٢٤٣] التشيع والشيعة ص ٣٥.
- [٢٤٤] تاريخ الإمامية وأسلافهم ص ١٦٥.
- [٢٤٥] راجع أعيان الشيعة ٤/٣٤٨.
- [٢٤٦] نظرية الإمامة ص ٤٠٥.
- [٢٤٧] الإمام الصادق ٦/١٤٦.
- [٢٤٨] أعيان الشيعة ٤/٣٨٨.
- [٢٤٩] أعيان الشيعة ٤/٣٨٩.
- [٢٥٠] تفسير الرازي ٣/٤١٦.

- [٢٥١] أعيان الشيعة ٤/٣٩٠.
- [٢٥٢] منهاج السنة لابن تيمية ١/٢٩.
- [٢٥٣] تفسير الفخر الرازي عند قوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) الخ.
- [٢٥٤] وفيات الأعيان ٢/٤٦٥.
- [٢٥٥] البخارى ٤/٤٣.
- [٢٥٦] أحكام القرآن لابن العربي ص ١١٦٦ تسلسل عام.
- [٢٥٧] المصدر السابق ٢/١٢٥٧.
- [٢٥٨] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٤٥.
- [٢٥٩] أوائل المقالات ص ٦٦.
- [٢٦٠] الانتصار للخياط ٨/١٢٨.
- [٢٦١] الملل والنحل هامش الفصل ٤/٦٨.
- [٢٦٢] إحياء العلوم ٣/١١٩.
- [٢٦٣] تفسير الطبرى ٣/٢٢٩، وتفسير الرازي عند تفسير الآية المذكورة.
- [٢٦٤] المحلى لابن حزم ٨/٣٣٥، والمسألة ١٤٠٨.
- [٢٦٥] ضحى الإسلام ٣/٢٤٦.
- [٢٦٦] أوائل المقالات ٩٧.
- [٢٦٧] عقائد الإمامية للمظفر ص ٨٧.
- [٢٦٨] التنبيه والرد بحث التقية.
- [٢٦٩] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٥٣.
- [٢٧٠] دراسات فى الفرق والعقائد ص ٤٢.
- [٢٧١] الإمام الصادق لأسد حيدر ٢/٣١٠.
- [٢٧٢] تاريخ يعقوبى ٣/١٩٨.
- [٢٧٣] الإمام الصادق لأسد حيدر ٢/٣١٠.
- [٢٧٤] منهاج السنة لابن تيمية ١/٣٣٣.
- [٢٧٥] المصدر السابق ١/١٣.
- [٢٧٦] شرح اللمعة ٢/٧٣.
- [٢٧٧] كنز العرفان ٢/١٤١.
- [٢٧٨] المحلى لابن حزم ٦/٤٤١.
- [٢٧٩] شرح فتح القدير ٢/٣٧٩.
- [٢٨٠] الأحوال الشخصية ص ٨٣.
- [٢٨١] بدائع الصنائع ٧/٦٥.
- [٢٨٢] الاعتصام ٢/٤٤.
- [٢٨٣] الاعتصام ٢/٤٤.

- [٢٨٤] بدائع الصنائع ٧/٣٥.
- [٢٨٥] فلسفة العقوبة لأبي زهرة ص ١٨٣.
- [٢٨٦] المعنى لابن قدامة ٦/٤٣٩.
- [٢٨٧] الحضارة الإسلامية لادم متر ٢/٣٠.
- [٢٨٨] منهاج السنة ١/١٦.
- [٢٨٩] الفصل بين الملل والنحل ٤/١٨٣.
- [٢٩٠] اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٩.
- [٢٩١] راجع ترجمة الشعبي وفيات الأعيان ١/٢٦٦.
- [٢٩٢] لسان الميزان ٤٢٧/.
- [٢٩٣] الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٥٣.
- [٢٩٤] أعيان الشيعة ١/٩٢.
- [٢٩٥] عقائد الإمامية ص ٦٤.
- [٢٩٦] الكامل للمبرد ٢.
- [٢٩٧] مظاهر الشعوبية لمحمد نبيه حجاب ص ٥١.
- [٢٩٨] تاريخ الطبري ٨/٣٥.
- [٢٩٩] ضحى الإسلام ١/٦٣.
- [٣٠٠] تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ٤٦ إلى ١٨٢، والغدير للأميني ٣/٣٣٠.
- [٣٠١] الأغاني ١٢/١٦٧ ط الساسي.
- [٣٠٢] انظر مظاهر الشعوبية ص ٣١٧.
- [٣٠٣] ديوان الرضي ١/١٢٨.
- [٣٠٤] ديوان الرضي ١/١٤٥.
- [٣٠٥] ديوان المتنبي ٤/١٧٩ و ٢٦١.
- [٣٠٦] شرح الشافية ص ٢١٩.
- [٣٠٧] معجم الأدباء ١٩/١٥٦ وانظر سر انحلال الامة العربية.
- [٣٠٨] معجم الأدباء ١٩/٣١٠.
- [٣٠٩] معجم الأدباء ١٢/١٩١.
- [٣١٠] مظاهر الشعوبية ص ٤٢٢.
- [٣١١] المصدر السابق ص ٣٩٧.
- [٣١٢] دائرة معارف وجدي ٢٠/٥٠٥.
- [٣١٣] مظاهر الشعوبية ص ٢٧٤.
- [٣١٤] التراتيب الإدارية ١/١٥٠.
- [٣١٥] مظاهر الشعوبية ص ١٦١.
- [٣١٦] مظاهر الشعوبية ص ١٥٣.

- [٣١٧] مظاهر الشعوبية ٢/١٥٩.
- [٣١٨] تاريخ الخطيب ٦/٣٢٦.
- [٣١٩] مظاهر الشعوبية ص ٣٠٧.
- [٣٢٠] مظاهر الشعوبية ص ٢٨٦.
- [٣٢١] مظاهر الشعوبية ص ٣٠٩.
- [٣٢٢] مظاهر الشعوبية ص ٣١٣.
- [٣٢٣] مظاهر الشعوبية ص ٣٠١.
- [٣٢٤] انظر انحلال الأمة العربية ص ٢٩ لمحمد سعيد العوفي.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريبات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مُجْتَمَعِ "القائمية" الثَّقَافِي بِأَصْبَهَانَ - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جَهَابِذَةِ هذه المدينة، الذي قد اشْتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صلواتُ اللهِ عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ و لهذا سُمِّيَ مع نظره و درايته، في سَنَةِ ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسًا و طريقةً لَمْ يَنْطَفِئِ مِصْبَاحُهَا، بل تُتَّبَعُ بِأَقْوَى و أَحْسَنِ مَوْقِفٍ كُلِّ يَوْمٍ.

مركز "القائمية" للتحريبات الحاسوبية - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أَنْشِطَتَهُ من سَنَةِ ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دامَ عَزُّهُ - و مع مساعِدةٍ جمعٍ من خَرِيجِي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالاتٍ شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدِّفَاعُ عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافتهم الثَّقَلَيْنِ (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّيِ الأَدَقِّ للمسائل الدِّينِيَّةِ، تخليف المطالب النَّافِعَةَ - مكانَ البَلاتِيَّةِ المبتدلة أو الرَّدِيئةِ - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعَة ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطُّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالهُ المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعة، و...

- مِنْهَا العَدَالَةُ الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يُمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهةٍ أُخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرِّسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدَّة مواقع أُخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسه

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فائى/ "بنايه" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

